

تلخيص البيان
في
بازن القرآن

تأليف
الشريف الرضي

تحقيق وتقديم
الدكتور علي محمود مقلد

منشورات حمار مكتبة الحباب
ببيروت لبنان

تلخيص البيان في مجازات القرآن

تأليف
الشريف الرضي

تحقيق وتقديم
الدكتور علي محمود معتد

منشورات دار مكتبة الحياة
بيروت - لبنان

أبو سلوم المعتزلي

تنويه بالطبعة الحاضرة

تتميز هذه الطبعة عما سبقها من طبعات بالتصحيح الدقيق كما تميزت بشرح بعض المعاني التي اغفلت شرحها الطبعات القديمة نظراً لبعدها عن الاجيال الحاضرة عن التعمق في اللغة ، وربما بسبب تطور ادوات اللغة المستعملة في عصرنا واختلافها عن الادوات التي كانت مستعملة في مطلع القرن ، وهذا امر طبيعي جداً لان اللغة ، في كل مكان ، كائن حي يتطور ويتغير ، كما تميزت بدراسة حول مجازات القرآن وحول « المتشابهات » من الآيات والتي يظن البعض انها « منسوخة » . ولكن الحقيقة هي ان كلام الله ازلي لا ينسخ ولكن فهمنا المقصر والمحدود بالزمان وبالمكان ، لا يتقبل الا كل ما هو متغير ومتبدل ، بحكم الفطرة ، وينفر من « الفكرة الازلية » لذا قضت « المشيئة واللطف » بالتيسير رأفة ومنة ، فوردت الآيات محكمات مرة ومرة متشابهات ، بحسب عقلنا وفهمنا وتسرعنا . . .

وتميزت هذه الطبعة بنبذة عن حياة الشريف الرضي .

ومما تتميز به هذه الطبعة أيضاً مقابلاتها على ثلاث نسخ مطبوعة من هذا الكتاب ثم الاشارة اليها في الحواشي بالرموز التالية :

ن : ترمز الى نسخة مخطوطة في الكتاب موجودة في النجف عند السيد محمد الموسوي الجزائري .

ط : ترمز الى نسخة مطبوعة في طهران باشراف الاستاذ محمد المشكاة .

م : ترمز الى نسخة ثالثة مطبوعة في مصر اشرف عليها الاستاذ محمد عبد الغني حسن .



مقدمة المحقق

المجاز في القرآن الكريم

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ
آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ ، هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ
مُتَشَابِهَاتٌ . . . ﴾ (آل عمران ٧) .

المتشابهات من الآيات هُنَّ الأكثر اعجازاً اذ لا يفهما الا الراسخون في العلم ، لذا وجب التنبيه الى سوء ما يقع فيه البعض من الظن ان بعض الآيات من القرآن قد نسخت بالبعض الآخر نسخ أبطال . وحاشا لكلام الله ان يبطل بعوامل الظروف الزمنية . انما قضى اللطف بالتيسير للامة ان تجعل بعض الآيات ذات مدلولات شمولية بحيث يتيسر لكل قوم في كل عصر ، ان يفهموها بحسب مقتضيات الاحوال . منعا للخرج في الدين ، وربما لان الراسخين في العلم لا يسمع لهم قول في كل زمان والله اعلم .

وفي كتاب « تلخيص البيان في مجازات القرآن » للشريف الرضي شيء من هذا القصد . والعودة الى القرآن ذخر لكل فرد . واقصد العودة الفردية ، العودة غير المقرونة بالطقوس والمظاهر ، عودة الانسان الى ربه المتجلي له في آيات القرآن ومعانيه دون شرح ولا تاويل ولا تفسير ، بل تفرغ فردي وتسليم فردي وعدم هجران للقرآن ، فردي . ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَادِعًا . . . ﴾ [الحشر ٢١] .

وفي ما يلي نقدم بحثاً عن المجاز والتأويل ثم التأويل والمعرفة ، ونختتمها
بنبذة عن حياة الشريف الرضي . مع جدول بالتأليف حول مجازات القرآن .

المجاز والتأويل في القرآن الكريم

ارتبط تأويل القرآن الكريم - اي العودة بمعانيه الى اساسها ، الى اولها ، الى حقيقتها - بالخلاف حول المحكم والمتشابه من جهة ، وبالخلافات السياسية والعقائدية من جهة اخرى ، وارتباط التأويل بالخلاف حول المحكم والمتشابه ، وبخلافات السياسية ما ذكر عن ابن عباس قوله في الخوارج : يؤمنون بمحكمه ويهلكون عند متشابهه .

وردت الآية : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ الْكِتَابَ ، فِيهِ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ، وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ، فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ، فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ، ابْتِغَاءَ الْقِتَّةِ ، وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ، وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ، يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ، كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا . . . ﴾ [آل عمران ، ٧] ؛ والآية ١٦٢ من سورة النساء : ﴿ لَكِنَّ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ ﴾ . وكثر القول حول معنى « المتشابه » ؛ فبعضهم قال ان المتشابهات هي كلمات مطالع السور من الاحرف المجمعة . ومنهم كالقاضي عبد الجبار ، من يرى ان بعض الآيات التي وردت في المسيح بأنه « كلمة الله » ألغها الى مريم ، فسرهما قوم من النصارى بما يلائم قولهم فيه ، فنزلت الآية المحكمة : ﴿ إِنْ مَثَلٌ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ﴾ [آل عمران ٥٩] . فالآية الاولى من المتشابهات ، والثانية محكمة . ويقال ان القصد من الاولى المجاز .

فبعض العبارات المجازية في القرآن أولها إخصام محمد (ص) تأويلاً هو أقرب إلى التفسير منه إلى التأويل . أي أولوها بظاهر المعنى دون إدراك البواطن أو الحقيقة من وراء ظاهر الكلام : ولا بد من تعريف المحكم والمتشابه في مطلع البحث .

فالمتشابه ، ليس هو الحروف المقطعة في أوائل السور . بل المتشابه من الآيات هي الآيات الصعبة الفهم على البشر عامة بحيث لا يفهمها إلا الله والراسخون في العلم . بمعنى أن المتشابه من الآيات ليس هو الغامض ، بل هو الذي يعجز عامة البشر من العلماء عن فهمه . لأن فهم المتشابه يقتضي رسوخاً في العلم . وهذا لا يتم بالجهد والإرادة فقط بل لا بد فيه من اللطف . فالرسوخ في العلم يعني نوعاً من المعرفة اللدنية .

فالمحكم عند ابن عباس هي الآيات المتعلقة بالتشريع العملي . أما المتشابهات فهي التي يؤمن بها فقط . وهناك تعريف أقرب إلى الصحة يقول فيه محمد بن جعفر بن الزبير : المحكمات « فيهن حجة الرب ، وعصمة العباد ، ودفع الخصوم والباطل ، ليس لهن تصريح ولا تحريف عما وضعت له » أما المتشابهات فهي « متشابهات في الصدق ، لهن تصريح وتحريف وتأويل ، ابتلى الله فيهن العباد كما ابتلاهم في الحلال والحرام ، لا يصرفن إلى الباطل ولا يحرفن عن الحق »^(١).

يفهم من هذا أن المتشابه يحتاج لتأويل أو تصريح ، يقوم به الراسخون في العلم . فالمتشابه هو مشكل في عين غير الراسخين في العلم . وهو بهذا المعنى محوج لهم اللجوء إلى الراسخين ، ابتلاءً وامتحاناً واختباراً .

وامام الراسخين في العلم تنحل مشكلة تفسير القصد من المتشابهات من الآيات . سواء كانت أوائل السور أم السور التي فيها أشكال في نظر غير الراسخين .

١- تاريخ الطبري ، جزء ٦ ، ص ١٧٧ .

فالقُرآن كلام الله باجماع المسلمين المؤمنين . ومتشابهه ومحكمه من الله .
اما المحكم فهو الواضح ، والوضوح هنا ليس ميزة . اما المتشابه فلا يقل عن
المحكم قيمة بأي معنى من المعاني . ولكن الحكمة فيه انه لفهمه يحتاج الى
علم الراسخين فيفسرونه لغير الراسخين . ووجه الابتلاء هو ان غير الراسخين
ملزمون بطلب تفسيره من الراسخين . والا وقعوا في الجهل . وفي هذا تحدي
لهم . وبهذا المعنى يكون العلم بالقُرآن علماً لَدُنْياً لا يؤخذ بالكسب ولا
بالاجتهاد . ان الرسوخ في العلم يتطلب اهلية يمنحها الله من يشاء ، ولا تمنح
الا لمن عناية الله بهم اكبر .

وهذا يعني ان مجازات القُرآن التي غالباً ما تقتزن بالآيات المتشابهات هي
تذكير للناس بوجوب السعي الى الراسخين في العلم ، اي الى من اختصهم
الله برحمته . وهنا تطرح مسألة تتعلق بمباهية القُرآن . ان القُرآن فيه الآيات
التي تحير المفكر العادي ، من ذلك مثلاً الجبر والاختيار ، والمشيئة
والمسؤولية . . . وهذا يعني عدم الوضوح ، ان لم يطرح مشكلة التناقض ،
وفي منطق قرآني ، يحل كلام الله عن ذلك . وفي منطق قرآني كلام الله لا
يشمله الزمان والمكان ، ولا يحدانه . واذا فهو كلام غير زماني اي غير
تاريخي ، ولا هو مرتبط بجغرافيا . وفي الوقت نفسه هو كلام ككلام الناس
من حيث حروفه وتركيبه ، واذا فكيف يكون القُرآن غير محكوم بالتاريخ
والجغرافيا ، ويكون مفهوماً من البشر . ان معجزة القُرآن ليست مربوطة
بعصر النبي ، انها خالدة ، وسر خلودها لا يعلمه الا الله والراسخون في
العلم . من هنا كان التعامل مع القُرآن امر صعب ، اذ ما جدوى اعجاز
القُرآن ، وانه الآية وانه احد الثقلين اللذين يمنعان من الضلالة . وما هو
الثقل الآخر ان لم يكن ذاك الشخص او اولئك الاشخاص القادرين على فهم
القُرآن فهماً يشبه فهم من انزله على عبده : اي الراسخون في العلم . من هنا
كان فهم المتشابه من الآيات هو المعجزة الابدية التي يقتضي دوام وجودها
دوام وجود العلم بها ، وبالتالي العالم بها او العالمين بها .

ان الراسخين في العلم الذين جعلهم الله اسرار علمه ، ليسوا اشخاصا
كبقية الاشخاص العاديين . انهم من المصطفين الاطهار .

ويقول الراغب الاصفهاني^(١): والعلم ادراك الشيء بحقيقته . اما المعرفة
فهي ادراك الشيء بتفكير وتدبر لاثره . وهذا يعني ان الانسان لا يستطيع
القول : علمت الله ما دام العلم اراك ذات الشيء وحقيقته . وكل ما
يستطيع الانسان قوله : عرفت الله من حيث ان المعرفة تكون بتدبر اثر
الشيء . ومصدر العلم والمعرفة بالنسبة الى الانسان هما الله سبحانه بما يوجه
لرسل ويطلب اليهم ان يبلغوه البشر ، ثم العقل البشري الذي ينظر ويفكر
ويتدبر في الكون^(٢) . من هنا تكون المعرفة بالمحكمات وللمحكمات ويكون
العلم بالمشابهات وللمتشابهات . ويكون العلم محصوراً بالله وبمن ان اسبغ عليهم
نعمة العلم من فضله وهم الاولياء المختارون .

وعلى هذا التأسيس تكون مجازات القرآن هي الايات المتشابهات التي
يعجز عن فهم معانيها العلماء بعقلهم والعارفون بعلمهم ، ولا يتيسر فهمها
الا للراسخين . وسر ذلك كي تبقى معجزة القرآن قائمة ، اذ لو كانت معاني
القرآن كلها محكمة ، وكلها واضحة لستقط في التاريخية ومن ثم سرت عليه
قوانين الزوال . وبما ان القرآن ازلي سرمدي فإن فهم متشابهه هو السر في
ديمومة بقائه هادياً .

(١) د . محمد أحمد حلف الله ، معاهم قرآنيه ، عالم المعرفة ، عدد ٧٩ . ص ١٣٩ / الكويت ١٩٨٤ ، نور .

(٢) نفس المصدر ص ١٤٠ .

التأويل والمعرفة

ان القرآن هو الوجود الجامع . وهو كلمات الله المرقومة . وتتجلى في القرآن ثنائية الظاهر والباطن . ويمكن النظر الى هذه الثنائية من خلال ثنائية المحكم والمتشابه . او التنزيه والتشبيه ، او الجبر والاختيار او الظهور والحجاب . والتقابل او الثنائية في آيات القرآن يحتاج الى التأويل الذي يقرب لفهم من ثنائيات النص القرآني . ان معضلة التنزيه والتشبيه تعد طرحا دينيا شكلية اللغة . ان اللغة تتاج بشري ومن ثم فهي تعكس خبرة الانسان لحدود في الزمان والمكان . وحين تعبر اللغة عن المطلق والمثالي فهي انما تعبر عناهيم المحدود والمحسوس . ومعضلة الثنائية في القرآن لها بعد معرفي . فالسؤال - ضمن المعطيات اللغوية الأرضية - كيف نفهم النص القرآن المحدود بحدود الزمان والمكان على انه كلام الله الازلي^(١) .

ان الوجود واحد في حقيقته . والكثرة تقوم على وحدة باطنية . ولا تدرك هذه الوحدة الا من قبل اصحاب الادراك . والحقيقة الإلهية لا تدرك ولا تعلم . والعلم بها يكون جزئياً ، فاذا عجز العقل البشري عن ادراك الحقيقة ارتد الى الشريعة ، اي الى الاكتفاء بالعلم الظاهر . وقصة صاحب موسى في القرآن معروفة ، ودلالاتها على المعرفة الحققة والمعرفة الظاهرة واضحة ، والجمع بين العقل والشرع مطلوب لان الشرع فيه رفع للحدود . وفيه الاعذار للجهال ، او لعامة الناس .

(١) أبو زيد (نصر حامد) فلسفة التأويل ، دار الوحدة ، التنوير ، بيروت ١٩٨٣ ص ٣٦٠ - ٣٦٢ .

اما آيات التشبيه في القرآن ، سماها العامي بمقدار فهمه . اما العقل فلا يستطيع ان يقبلها على ظاهرها دون تأويل . والمتشابه من آيات القرآن يجب ان يفهم على ظاهره دون لجأ من لا يستطيع الغوص . ان ادراك العامة يكون بضرب من التخيل والتوهم . اما ادراك الراسخين في العلم ، فيغوص الى بواطن المعرفة بالمقدار الذي تسمح به الالطاف الربانية ، فالقرآن كلام الله وجنته . والله وحده يتيح لمن يشاء وبالمقدار الذي يشاء دخول هذه الجنة جنة المعرفة . « وعلى الانسان العادي ، او الانسان الحيوان ان يقنع بالتسليم بما جاء به الشرع دون محاولة للتأويل او اعمال العقل حتى لا يزيغ ، يكفي ان يقلد الشرع فيلزم جانب الامان من الزيغ والضلال » (١) . ان المتشابه ، في حقيقته ، محكم . ويجب ان لا تفهم الاسماء التي توهم التشابه بين الله وخلقه ، في اطار البعد الاصطلاحي للغة ، بل يجب على المؤمن ان يؤمن بهذه الاسماء ، ويتلوها دون محاولة لفهمها ، فيكون كغير العربي الذي يقرأ القرآن تعبداً دون فهم . لأن فهم المعاني الحقيقية الباطنة لكلام القرآن لا يكون الا لاهل الله وبالمقدار الذي سمح به الله (٢) .

« على المؤمن العادي ان يقنع بظاهر النص ، وهو يدل على التنزيه والتشبيه معاً ، وعليه ان يقنع بفهم هذا الظاهر في اطار فهمه للغة دون تشبيه ، فالقرآن نزل للعامة بلغتهم . « ففيه ما في اللسان العربي ، ولما كانت عامة الناس لا تعقل ما لا يعقل الا حتى ينزل لها في التوصل لما تعقله ، لذلك جاءت هذه الكلمات على هذا الحد كما قال : « ثُمَّ دُنِيَ فَتَنَلَى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى » . ولما كانت الملوك عند العرب تجلس بعدها المقرب المكرم منها بهذا القدر في المساحة فعقلت عن هذا الخطاب قرب محمد صلى الله عليه وسلم من ربه ، ولا تبالي بما فهمت من ذلك سوى القرب » (٣) .

(١) أبو زيد (نصر حامد) ، فلسفة التأويل ، دار الوحدة ، التنوير ، بيروت ١٩٨٣ ص ٣٧٥ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٣٧٦ .

(٣) الفتوحات المكية ، ٣٨ / ١ .

اما الانسان العارف فهو يعرف المعنى الحقيقي الباطن وراء هذه الالفاظ
والعبارات الموهمة التشبيه ، وذلك بتخلية القلب والاستعداد للفهم عن الله
« وذلك بان نفرغ قلوبنا من النظر الفكري ، ونجلس مع الحق تعالى بالذكر
على بساط الادب والمراقبة والحضور والتهيه لقبول ما يرد علينا منه تعالى حتى
يكون الحق تعالى يتولى تعليمنا على الكشف والتحقيق »^(١). وبهذا الكشف
يمكن للعارف تأويل هذه الآيات تأويلاً يردّها الى اصلها في العالم الإلهي ،
والتأويل بهذا المعنى - من الاول وهو الرجوع - هو رد الاشياء الى اصولها
وحقيقتها الباطنة .

بعد هذه المقدمة حول مجازات القرآن وتأويله نخلص الى نتيجة موجزة
بالآية الكريمة ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به
كلّ من عند ربنا . . . ﴾ . فالراسخون في العلم هم العارفون وهم قلة .
ولكنهم الدعامة التي تجعل القرآن شأناً فوق الزمن الارضي وفوق الفضاء
الارضي .

والشريف الرضي حين تعرض لمجازات القرآن قام بالامر بلباقة
العارف . يتحصل هذا من عنوان الكتاب : « تلخيص البيان في مجازات
القرآن » . والشريف لم يتعرض لبحوث خارج نطاق الدلالة الواردة في بعض
الآيات . وأعرض عن التفلسف حول هذه المجازات ربما احتراماً لدلالاتها .
وهذا من شأن العلماء بحق انهم متواضعون .

ونحن حين تولينا اعداد هذا السفر الجليل لاعادة الطباعة كان همنا
بالدرجة الاولى توضيح بعض المعاني لبعض الكلمات التي تحتاج بفضل تغير
نوعية القراء الى مزيد من التوضيح، وقد حقناها بالهوامش حسب مقتضى
الحال .

والخطوة الثانية التي قمنا بها اننا صححنا الاخطاء المطبعية التي وردت في

(١) الفتوحات المكية ١/ ٨٨ ، أورده أبو زيد ص ٣٧٧ .

طبعة ١٩٥٥ المعتمدة . وهذه الاخطاء التي وردت ضمن ما يقارب ست عشرة صفحة بلغ مجموعها ٣٦٨ كلمة واصفنا تصحيح بعض الاخطاء التي اغفلت ، ثم اوردنا مقدمة حول مجازات القرآن وتأويله . كما اثبتنا ملخصاً لحياة الشريف الرضي استقيناها من مقدمة شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد . واخيراً اوردنا لائحة بالكتب المؤلفة في معاني القرآن ومشكله ومجازه ، وكان مرجعنا في هذا الفهرست لابن النديم .

اما مرجعنا في ما يتعلق بتأويل مجازة القرآن فقد عدنا فيه الى الجزء السادس من تاريخ الطبري والى كتاب الدكتور نصر حامد ابو زيد وعنوانه « فلسفة التأويل » (دراسة في تأويل القرآن عند محيي الدين بن عربي ، ثم الكتاب الآخر لنفس المؤلف وعنوانه « قضية المجاز في القرآن عند المعتزلة ») . والكتابان نشرتهما دار التنوير في بيروت ، سنة ١٩٨٢ ، و١٩٨٣ على التوالي .

وبهذا نقدم للقراء كتاب « تلخيص البيان في مجازات القرآن » في اطار يستحقه . والله ولي التوفيق .

بيروت في اول آب ١٩٨٤

علي مقلد

دكتور في الفلسفة

ترجمة المؤلف
الشريف الرضي
(٣٥٩ هـ - ٤١٤ هـ)

محمد بن حسين بن موسى بن محمد بن ابراهيم ابن الامام موسى الكاظم . وكنيته ابو الحسن الشهير بالشريف الرضي . ورد ذكره في كتاب الرجال للامير مصطفى التفرشي . وروى عنه شيخ الطائفة الطوسي ، وجعفر ابن محمد الدورستي ، والسيد عبد الرحمن النيسابوري ، وابن قدامة ، وجماعة ، اما هو فقد روى عن جماعة منهم الشيخ المفيد .

صفاته - يروى عن الشريف الرضي نوادر عن انفته ، من ذلك انه كان يوماً عند الخليفة الطايغ بالله العباسي ، وكان الشريف يعبث بلحيته ويرفعها الى انفه ، فقال له الطايغ : اظنك تشم منها رائحة الخلافة . فقال الشريف بل رائحة النبوة اعتدادا بنسبه الشريف ، وان الخلافة ليست كل ما بطمح اليه ، بل لجعلها بالمقام الذي يقربها من النبوة . اما لقبه الرضي فقد لقبه به بهاء الدولة بن بويه . وكان يخاطبه بالشريف الاجل ، كما ورد في الدرجات الرفيعة للسيد علي خان الشيرازي . وأورد ذكره ايضا الباخريزي في دمية العصر والثعالبي في يتيمة الدهر ، وابن ابي الحديد في شرح نهج البلاغة .

وذكر ابن ابي الحديد انه كان عفيفا شريف النفس ، عالي الهمة لم يقبل من احد صلة ولا جائزة ، حتى من ابيه .

كان طموحاً تنازعه نفسه الى امور عظيمة فينظمها في شعره ولا يجد

عليها من الدهر مساعداً حتى مات دماً دون ان يبلغ غرضه .

ابتداً ينظم الشعر وهو ابن عشر سنين ، فبرز به اهل زمانه . وكان ابوه يتولى نقابة الطالبين ويحكم فيهم . وكان له النظر في المظالم والحج بالناس . فتخلى الاب عن هذه المناصب لولده الرضي سنة ٣٨٠هـ وابوه حي .

ومن غرر شعره ما كتبه الى الخليفة القادر بالله العباسي ، من قصيدة يقول فيها :

عظفاً امير المؤمنين فإننا في دوحة العلياء لا نتفرق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت ابدأ كلانا في المعالي معرق
الا الخلافة ميزتك فإنني انا عاطل منها وانت مطوق
ومن شعره ايضا يخاطب نفسه :

دنت المعالي فامتنعن ولم يزل ابدأ بمانع عاشقاً معشوق
وصبرت حتى تلتهن ، ولم اقل ضجراً دواء الفارك التطليق

وذكر انه تلقى القرآن بعد ان دخل في السن فحفظه في مدة وجيزة . وصنف كتاباً في معاني القرآن قل نظيره ، كما صنف كتابه هذا في « مجازات القرآن » .

قال ابو الحسن العمري وكان يقدم على الشريف المرتضى ، اخي الشريف الرضي ، والمرضى اكبر لمحل في نفوس العامة والخاصة ، ان الشريف الرضي بعد ان حفظ القرآن على الكبر ، وهب له معلمه داراً يسكنها فاعتذر الرضي منه وقال : اني لا اقبل عطاء ابي فكيف اقبل عطاءك ؟ فقال المعلم : ان حقي عليك اعظم من حق ابيك . وتوصل اليه فقبل منه الدار .

وذكر ان الشريف المرتضى استأذن للدخول على الوزير ابي محمد المهلبى ، ذات يوم فأذن له ، فلما دخل قام اليه الوزير واكرمه واحله معه في مقامه واقبل عليه يحدثه حتى فرغ من مهمته . ثم قام فقام اليه وودعه وخرج ، فلم تكن ساعة حتى دخل الحاجب واستأذن للشريف الرضي ،

كان الوزير قد ابتداءً بكتابة رغبة ، فالتقاهما وقام يستقبل الشريف من دهليز
 لدار واخذ بيده واجلسه في مقامه ثم جلس بين يديه متواضعا ، فلما خرج
 الرضي خرج معه وشيعه الى الباب ، ثم رجع . فلما خف المجلس قال
 الكاتب : يا أذن لي الوزير ان اسأله عن شيء ؟ قال : نعم . وكأني بك تسأل في
 اعظمي للرضي على المرتضي . فقال : نعم . فقال : اعلم ان الرضي بلغني
 ذات يوم انه ولد له غلام ، فارسلت اليه بطبق فيه الف دينار ، فردده وقال : قد
 علم الوزير اني لا اقبل من احد شيئا ، فرددته اليه وقلت : انما ارسلته
 للقوابل . رده الثانية ، وقال : قد علم الوزير ان القوابل لا يولدن نساءنا ،
 وانما يتولى ذلك عجائزنا ، ولسن ممن يأخذن اجرة . فرددته اليه وقلت : يفرقه
 الشريف على طلابه . فلما جاءه الطبق وحوله طلاب العلم قال : ها هم حضور
 فليأخذ كل احد ما يريد . فقام رجل منهم واخذ دينارا فصرفه واخذ منه
 حاجته ورد الباقي الى الطبق . فسأله الشريف عن ذلك فقال الطالب : اني
 احتجت الى دهن السراج الليلة ولم يكن الخازن حاضرا . فاقترضت من
 البقال . واخذت هذه القطعة لادفعها اليه . وكان الرضي قد اقام عمارة
 لطلابه سماها دار العلم وعين لهم ما يحتاجون اليه فلما سمع الرضي ذلك امر
 في الحال بأن يتخذ للخزانة مفاتيح بعدد الطلبة فيأخذ كل منهم ما يحتاجه ولا
 ينتظر الخازن . ثم رد الطبق على هذه الصورة ، فكيف لا اعظم مثل هذا
 الرجل .

وروي ان ابي الحسن النحوي قال : دخلت على الشريف المرتضي يوماً
 وكان قد نظم ابياتا من الشعر ، فوقف به بحر الشعر ، فقال : يا ابا الحسن
 خذ هذه الابيات الى اخي الرضي وقل له تممها . وهي هذه :

سرى طيب سلمى طارقاً فاستفزني	سحيراً وصحبي في الفلاة رقود
فلما انتهينا للخيال الذي سرى	اذا الارض قفري والمزار بعيد
قلت لعيني عاودي النوم واهجعي	لعل خيالاً طارقاً سيعود

قال فأخذتها ومضيت الى الشريف واعطيته القرطاسة ، فلما رآها كتب :

فردت جوابا والدموع بواور
فهيئات من ذكرى حبيب تعرضت
وقد ان للشمل المشت ورود
لنا دون لقياء مهامه بيد
فأدرك المرتضى قرب اجل اخيه . وهكذا حصل .

توفي الشريف الرضي في المحرم من سنة اربع واربعمئة (٤٠٤ / هـ) ،
ومما رثاه به اخوه المرتضى الابيات المشهورة التي هي من جملة مراثيه :

يا للرجال لفجعة جزمت يدي
ما زلت أصدر وردها حتى أتت
وودت لو ذهبت علي براسي
فحسوتها في بعض ما انا حاسي
ومطلتها زمنا فلما صممت
لم يثنها مطلي وطول مكاسي
لله عمرك من قصير طاهر
ولرب عمر طال بالادناس

وكان الشريف الرضي قدرثي والده الذي توفي قبله بأربع سنوات عن
عمر يناهز سبعا وتسعين سنة بقصيدة اولها هذه الابيات نوردها للدلالة على
فخامة افكاره والفاظه :

وسميتك جالية الربيع المرهم
سبع وتسعون اهتبلن لك العدى
وسقتك ساقية الغمام المرزم
حتى مضوا ، وغبرت غير مذمم
لم يلحقوا فيها بشأوك بعدما
أملوا فعاقهم اعتراض الازم
الا بقايا من غبارك . اصبحت
غصصا واقداء لعين او فم
ان يتبعوا عقبيك في طلب العلى
فالدثب يعسل في طريق الضيغم

المعاني باختصار :

وسم : سقى . جالية الربيع : الغمامة البيضاء . والمرهم : المطر الخفيف
الدائم . والمرزم : الذي يلف ويشد . اهتبل الاعداء : اي اخذهم وقضى
عليهم بالحيلة . وغبرت : بقيت وتأخرت ، الشأو : المرتبة والمنزلة . عاقهم اخرهم
والازم السهام التي لا ريش لها ، القذاء : قشة او نحوها تدمع العين .
وعسل الدثب اضطرب واهتز . والضيغم : الاسد .

الشريف الرضي يجمع أقوال الإمام علي (ع)

يقول الشريف الرضي في مطلع كتاب شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : « فاني كنت في عنفوان السن فابتدأت بتأليف كتاب في خصائص الائمة يشتمل على محاسن اخبارهم . . وفرغت من الخصائص التي تخص امير المؤمنين علياً (ع) وعاقبت عن اتمام بقية الكتاب محاجزات الايام . . وكنت قد بويت ما خرج من ذلك ابوابا وفصلته فصولاً . فجاء فصل يتضمن محاسن ما نقل عنه (ع) من الكلام القصير . . . دون الخطب . . فاستحسن جماعة من الاصدقاء ما اشتمل عليه الفصل . . وسألوني . . ان ابدأ بتأليف كتاب يتنوع على المختار من كلام امير المؤمنين (ع) . . اذ كان (ع) مشرع الفصاحة وموردها ومنشأ البلاغة . . فاجبتهم الى الابتداء بذلك . . ورأيت كلامه يدور على اقطاب ثلاثة : اولها الخطب والاوامر وثانيها الكتب والرسائل ، وثالثها الحكم والمواعظ . . .

هل مات الشريف الرضي مسموماً ؟

لقد مات الشريف عن خمس واربعين سنة وترك مثل هذه الاثار . وربما مات مسموماً تخلصاً من طموحه . وهذه الرواية قد توحى بهذا الزعم :

« ذكر ابو الحسين الصابي وابنه غرس النعمة محمد في تاريخهما ان القادر بالله عقد مجلساً احضر فيه الطاهر ابا احمد الموسوي وابنه ابا القاسم المرتضى وجماعة من القضاة والشهود والفقهاء وبرز اليهم ابيات الشريف الرضي ابي الحسن التي اولها :

مَقُولٌ صارم وانف حيّ	مامقامي على الهوان وعندي
كما زاغ طائرٌ وحشيّ	واباء علق بي عن الضيم
غلام في غمده المشرفي	ايّ عذر له المجد ان ذلّ
وبمصر الخليفة العلويّ	احمل الضيم في بلاد الاعادي
اذا ضامني البعيد القصي	من ابوه ابي ومولاه مولاي

لف عرقي بعرفه سيد الناصر جميعاً محمد وعلي
وقال الحاجب للنجيب ابي احمد قل لولدك محمد ابي هوان قد اقام عليه
عندنا واي ضيم لقي من جهتنا . . الم نولّه النقابة الم نوله المظالم الم نستخلفه
على الحرمين والحجاز وجعلناه امير الحجيج فهل كان يحصل له من صاحب
مصر اكثر من هذا . .

فقال النقيب ابو احمد : اما هذا الشعر فلم نسمعه منه ولا رأيناه بخطه
ولا يبعد ان يكون بعض اعدائه نحله وعزاه اليه . فقال القادر : ان كان
كذلك فليكتب الآن محضراً يتضمن القدح في انساب « ولاية مصر » ويكتب
محمد خطه فيه . فكتب محضراً بذلك شهد فيه جميع من حضر المجلس ومنهم
النقيب ابو احمد وابنه المرتضى . وحمل المحضر الى الرضي ليكتب خطه فيه ،
حمله ابوه واخوه فامتنع من تسطير خطه وقال : لا اكتب واخاف دعاة
« صاحب مصر » وانكر الشعر وكتب خطه واقسم فيه انه ليس بشعره وانه لا
يعرفه . فاجبره ابوه على ان يسطر خطه في المحضر فلم يفعل . وقال أخاف
دعاة المصريين وغيلتهم لي فإنهم معروفون بذلك . فقال أبوه : يا عجباً اتخاف
من بينك وبينه ستمائة فرسخ ، ولا تخاف من بينك وبينه مائة ذراع . وحلف
أن لا يكلمه وكذلك المرتضى ، فعلا ذلك تقية وخوفاً من القادر وتسكيناً له .
ولما انتهى الأمر الى القادر سكت على سوء اضمرة له . وبعد ذلك بأيام صرفه
عن النقابة

[ثم امر من دس له السم . .]

هذه الرواية تدل على ان الشريف الرضي كان مخشياً لطموحه والدلائل
على ذلك كثيرة: ان الشريف المرتضى حين ارسل له ابيات الشعر لئتممها امتهما
الرضي فلما جاء الرد الى المرتضى توقع له الموت بعد ايام . والامر الثاني هو
ان الابيات التي حوكم من اجلها الرضي تنقسم الى قسمين : الابيات الثلاثة
الاولى فيها جزالة وقوة اما الابيات الثلاثة الاخيرة فظاهرة الركافة ومبتذلة .
بل انها تتضمن قولاً « وبمصر الخليفة العلوي » لا يصدر عن الرضي المشهور

جراته وعدم نفاقه فلو كان يؤمن ان « ولاية مصر » هم خلفاء علويون لصرح بذلك في غير موضع من شعره وهذا لم يحصل فضلاً عن ان الرضي اذا كان يعني الخلافة في بغداد لنفسه فلا يمكن ان يقر بصحة خلافة العلويين في مصر .

ولكن يبدو ان الرضي كان شخصاً محبوباً لكرمه وفهمه وسمو أخلاقه . هذا يشكل خطراً لا على الخليفة فقط بل حتى على الطامعين في المناصب . اذ لا يعقل ان تسلم الى الشريف الرضي اربعة مناصب كلها برتبة « وزارة » اولها « نقابة الاشراف » وهي وظيفة لها مخصصات ضخمة ولها هبة ومكانة ثم ولاية « المظالم » اي رئاسة القضاء العليا . وكانت عند العباسيين اعلى من الوزارة لان المأمون مثل امام قاضي القضاء هو وابنه . اما الامارة على الحرمين مكة والمدينة ثم الحجاز فهي الولاية الاولى في الولايات كلها . واما امارة الحج فان مخصصاتها تعادل خمس ما في ميزانية الخلافة من اموال .

وهكذا تكون النية قد بيتت للتخلص من الشريف الرضي بهذا الاسلوب . وفي تاريخ الخلفاء شواهد على ذلك كثيرة منذ ايام معاوية .

بيروت في اول آب ١٩٨٤
علي مقلد
دكتور في الفلسفة

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد ، فإن بعض الأخوان جاران^(١) وذكر ما يشتمل عليه القرآن من عجائب الاستعارات وغرائب المجازات التي هي أحسن من الحقائق معرضاً وأنفع^(٢) للعلّة معنى ولفظاً وإن اللفظة التي وقعت مستعارة لو وقعت في موقعها لفظة الحقيقة لكان موضعها نائياً بها ونصابها^(٣) قلقاً بمركبها ، إذ كان الحكيم سبحانه ، لم يورد الفاظ المجازات لضيق العبارة عليه ، ولكن لأنها أجلى^(٤) في أسماع السامعين ، وأشبهه بلغة المخاطبين . وسألي أن أجود جميع ما في القرآن في ذلك على ترتيب السور ليكون اجتماعه أجل موقعاً وأعم نفعاً وليكون في ذلك أيضاً فائدة أخرى ، وهو أن الخطيب البليغ والشاعر المطبوع إذا رأى ما في هذا الكتاب العزيز الذي شال ميزان^(٥) كل كلام وخرج عن مقدورات الأنام من الاستعارات العجيبة والاشارات اللطيفة شجع على استعمال مثل ذلك فيما يسمعه وجعله سلفاً يتبعه . ومما أسرع [بي]^(٦) إلى ذلك أنني لم أجِد أحداً ممن تقدم رمى إلى هذا الغرض وأجرى

(١) لعل الأصل جاران ذكر . ان النص اعلاه هو الأصح ، بمعنى أن الشريف الرضي هو الذي بدأ بالموضوع وقد جراه سامعه .

(٢) الأمثل أن تكون العبارة (أنفع للعلّة) .

(٣) ونصها قلقاً بمركبها أي بمكانها .

(٤) لعلها (أحلى) .

(٥) نرجع شال ميزانه كل كلام .

(٦) زيدت (بي) عل النص لما يفتضيه السياق .

إلى هذا الأمد بل هو ذروة [ما] (١) افترعت (٢) وعذره ما افترعت (٣) وقد كنت أوردت في كتابي الكبير الموسوم « بحقائق التأويل في مشابه (٤) التنزيل » طرفاً كثيراً (٥) من هذا الجنس أطلقت الكلام والتنبيه على غوامض العجائب التي فيه من غير استقصاء أوانه (٦) وأرتب أوضاعه . فعزمت بتوفيق الله على إجابة سؤال السائل وإسعاف طلب الطالب إذ كان خاطر المجيب تكفيه قدحة حتى تتأجج ناره ويطير شرره وعملت على أن أجرد ذلك تجريداً مختصراً يكثر نفعه ويخفف حجمه وأشير إلى ما أورده من ذلك إشارة مخففة تغني عن تطويل الإسهاب وبلغ الاطناب ليكون ذلك مبالغة في الاختصار وغاية في الاقتصار فتكون الرغبة فيه أكثر والقلوب إليه أميل واجتنب بجهدي تكرير اللفظ الواحد إذا ورد مثله مكرراً في السور ومن الله سبحانه أستمد التوفيق واستدل الطريق وهو حسبي ونعم الوكيل .

(الشريف الرضي)

-
- (١) زيدت (ما) على افترعت الأولى .
 (٢) افترع الذروة علاها وافترع المرأة افترضها (لسان العرب) .
 (٣) لعلها افترعت أي اخترت .
 (٤) في الأصل مشابه التنزيل .
 (٥) لعلها (كبيراً) . بل هي طرفاً كثيرة .
 (٦) لعل العبارة من غير استقصاء لأبوابه وترتيب لأوضاعه .

سورة الفاتحة

فمما في فاتحة الكتاب من المعنى الذي قصدناه

قوله سبحانه : ﴿ إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾

[الفاتحة - الآية ٧]

وهذه استعارة على أحد التأويلين لأن الصراط في أصل اللغة اسم للطريق . . وهو هنا كناية عن الدين لأن الدين مؤدٌ إلى استيجاب الثواب واستدفاع العقاب فهو كالنهج المسلك إلى مظنة^(١) النجاة والسلامة ودار الأمن والأقامة . ولما جعل سبحانه الدين ، كالطريق القاصد ، والمنهج الواضح ، أقام إرشاده إليه ودلالته عليه مقام الدليل يدل على السم^(٢) والهادي الذي يهدي إلى القصد فقال سبحانه : ﴿ إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ .

والتأويل الثاني في الصراط يخرج الكلام عن حيز الاستعارة وهو أن يكون المراد به المجاز المسلك إلى الجنة والنار على ما جاءت به الأخبار فكأنهم سألوه سبحانه توفيقهم منجاته^(٣) ومأمنة والعدول بهم عن مشاقه^(٤) ومخافته .

(١) ربما كان الأصل : (لمنجاته) .

(٢) وجدت غير واضحة في الأصل .

(٣) من ظن : مظنة الشيء : موضعه ومألفه الذي يظن فيه وجوده .

(٤) من سم : لزم السم : أي الطريق . سار على الطريق بالظن . ومنه قوله : ومن إلى

البيت سوامت : أي قواصد .

سورة البقرة

٢- وقوله تعالى : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ ﴾ [البقرة - الآية ٧] .

وهذه استعارة لأن الختم الحقيقي لا يتأق في القلوب وإنما المعنى أنه تعالى وسم قلوبهم بسمة تفرق بها الملائكة بين الكافر والمؤمن والمصر والمقلع فيدمون العاصي لعصيته ويمدحون الطائع لطاعته ، ولهذا المعنى قال تعالى في صفة المؤمنين : ﴿ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ﴾ (١) ويكون في ذم الملائكة ومدحهم ولايتهم وبراءتهم ، لطف في دوام المؤمن على الإيمان وقرب العاصي من الإقلاع . وقد يجوز أن يكون الكلام ههنا خارجاً عن التشبيه والتمثيل لأنهم لما عموا عن أصل السبيل وضُموا عن دعاء الدليل كانوا بمنزلة من خُتم على قلبه وسمعه ومُنِع من استماعه وتبينه

ومن ذلك قوله تعالى في هذه السورة :

﴿ ضَمُّ بُكْمٍ عَمِي فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ (٢) . وقد علمنا ضرورة أنه لا ضَمُّ وَلَا بُكْمٌ وَلَا عَمِي على الحقيقة . ولكنهم (٣) لما يَعْمَلُوا هذه الآلات في مذاهب الاستدلال بها ، كانوا كمن فقد أعيانها ورُمِيَ بالآفات فيها وكذلك قوله تعالى (٤) : ﴿ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ لأن الطبع من الطابع (٥) والختم من الخاتم وهما بمعنى واحد وإنما فعل سبحانه ذلك عقوبة لهم على كفرهم .

٣- وقوله تعالى : ﴿ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾ (٦) [البقرة - الآية ٧]

(١) م (المجادلة ٢٢)

(٢) م (البقرة ١٨) .

(٣) تبدأ النسخة الطهرانية من قوله . ولكنهم لم يعملوا والصواب لما يعملوا .

(٤) م (التوبة ٩٣)

(٥) في ن لأن الطبع من الطابع .

استعارة أخرى لأنهم كانوا ينظرون على الحقيقة إلى^(١) الأشخاص وَيَقْلِبُونَ الأبصار إلا أنهم لما لم يتفكروا بالنظر ولم يعتبروا بالعبر وَصَفَ سبحانه أبصارهم بالغشي^(٢)، وأجراهم مجرى الخوابط^(٣). الغواشي ، أو يكون تعالى كنى ههنا بالأبصار عن البصائر إذ كانوا غير متفهمين بها ولا مهتمدين بأدلتها لأن الانسان يهdy ببصيرته إلى طريق نجاته كما يهdy ببصره إلى مواقع^(٤) خطواته .

٤ - وقوله تعالى : ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾

[البقرة - الآية ١٠]

فالمرض في الأجسام حقيقة وفي القلوب استعارة لأنه فساد في القلوب كما أنه فساد في الجسم^(٥) وإن اختلفت جهتا الفساد^(٦) في الموضوعين . وقد قيل أيضاً إنما سمي ما في قلوبهم من إعتقاد الكفر مرضاً لخروجهم . عن صحة الدين كما أن المرض يخرج الاجسام عن حال صحتها وينقلها عن سلامة تركيبها وبنيتها^(٧)

٥ - وقوله سبحانه : ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾

[البقرة - الآية ١٥]

وهاتان استعارتان ، فالأولى منها إطلاق صفة الاستهزاء على الله سبحانه

(١) ن عل الاشخاص

(٢) ط بالغش .

(٣) من خبط : سار عل غير هدى .

(٤) ن موضع خطواته .

(٥) ط كما انه فساد في الحقيقة .

(٦) ط جهة الحقيقة .

(٧) الجملة : من قوله (فد قيل الى قوله عن سلامة تركيبها وبنيتها) لا توجد في النسخة ط .

والمراد بها أنه تعالى يحازيهم على استهزائهم بأرصاء العقوبة ثم يسمي الجزاء على الاستهزاء باسمه إذ كان واقعاً في مقابلته وإنما قلنا إن الوصف بحقيقة الاستهزاء غير جائز عليه تعالى لأنه عكس أوصاف الحكيم وضد طرائق الحليم^(١). واستعارة الأخرى قوله تعالى : ﴿ وَيَذْهَبُ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ أي يمد لهم كأنه يخليهم ، والامتداد في عيهم والجماع في غيهم إيجاباً للحجة وانتظاراً للمراجعة تشبيهاً بمن أرخى الطول للفرس أو الراحلة ليتنفس خناقها ويتسع مجالها وربما حمل قوله سبحانه ﴿ يَخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾^(٢) على أنه استعارة في بعض الأقوال وهو أن يكون المعنى أنهم يمتنون أنفسهم أن لا يُعاقبوا وقد علموا أنهم مستحقون للعقاب فقد أقاموا أنفسهم^(٣) بذلك مقام المخادعين ولذلك قال سبحانه :

﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة - الآية ٩]

لأن الله تعالى^(٤) لا يجوز عليه الخداع ولا تخفى عنه الأسرار وإذا حمل قوله سبحانه : ﴿ يَخَادِعُونَ اللَّهَ ﴾ على أن المراد به يخادعون رسول الله ﷺ كان من باب إسقاط المضاف وجري مجرى قوله : « واسأل القرية » وأراد أهل القرية .

٦ - وقوله سبحانه : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ [البقرة - الآية ١٦]

وهذه استعارة والمراد^(٥) أنهم استبدلوا الغي بالرشاد والكفر بالإيمان فخسرت صفقتهم ولم تربح تجارتهم وإنما أطلق سبحانه على أعمالهم اسم

(١) في ط الحليم .

(٢) البقرة (٩) .

(٣) في : ن . نفوسهم .

(٤) في ط : لم تذكر الجملة من قوله : « لأن الله تعالى لا يجوز أن يهزل أو أراد أهل القرية » .

(٥) في ط . والمعنى .

(٦) في : ن . عملهم .

التجارة لما جاء في أول الآية^(١) بلفظ الشراء تأليفاً لجواهر النظام وملاحمة بين أعضاء الكلام .

٧ - وقوله سبحانه : ﴿ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ﴾

[البقرة - الآية ٢٠] .

وهذه استعارة والمراد يكاد البرق يذهب بأبصارهم من قوة إيماضه وشدة التماعه . والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴾ [النور الآية ٤٣] ومحصل^(٢) المعنى تكاد أبصارهم تذهب عند رؤية البرق فجعل تعالى الفعل للبرق دونها لما كان السبب في ذهابها .

٨ - وقوله سبحانه : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ﴾

[البقرة - الآية ٢٢]

وهذه استعارة لأنه تعالى شبه الأرض في الامتداد^(٣) بالفراش والسماء في الارتفاع بالبناء .

٩ - وقوله سبحانه : ﴿ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ﴾

أي قصد إلى خلقها كذلك لأن حقيقة^(٤) الاستواء الذي هو تمام بعد قصان أو استقامة^(٥) بعد اعوجاج من صفات الأجسام وعلامات المحدثات .

١٠ - وقوله سبحانه : ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ﴾ [البقرة - الآية ٤٢]

وهذه استعارة والمراد بها ولا تخلطوا الحق بالباطل فتعمى مسالكه

(١) في ط . في أول الكلام .

(٢) في ط . ويحصل المعنى .

(٣) في ن . في الامتداد .

(٤) في ط . لأن الحقيقة في اسم الاستواء .

(٥) في ط . واستقامة .

وتشكل معارفه وذلك مأخوذ من الأمر المنبس وهو المختلط المشبه ويقول قد
البس علي هذا الأمر إذا انغلقت أبواب^(١) علمه وانسدت مطالع فهمه .

١١ - وقوله سبحانه : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ ﴾ [البقرة - الآية ٦١]

وهذه استعارة والمراد بها صفة شمول الذلة لهم وإحاطة المسكنة بهم
كالخباء المضروب على أهله والرواق المرفوع لمستظله .

١٢ - وقوله تعالى : ﴿ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا ﴾
[البقرة - الآية ٦٦]

أي للأمم التي تشاهدها والأمم التي تكون بعدها والقرى^(٢) التي تكون
أمامها والقرى التي تكون خلفها ولقول العرب : كذا بين يدي . كذا وجهان
أحدهما أن يكون بمعنى قرب الشيء^(٤) من الشيء والآخر أن يكون بمعنى
تقدم الشيء للشيء^(٥) . يقول القائل لغيره : أنا بين يديك أي قريب منك
وقد مضى فلان بين يديك أي تقدم أمامك .

١٣ - وقوله تعالى في وصف الحجارة : ﴿ وَإِنْ مِنْهَا لِمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةٍ
أَلَّهُ ﴾ [البقرة - الآية ٧٤]

وهذه استعارة والمراد ظهور الخضوع فيها لتدبير الله^(٦) تعالى بأثار
الصنعة^(٧) وأعلام الصيغة .

(١) في ط . إذا انغلقت أبوابه عليه .

(٢) في ط . أو للقرى التي تكون أمامها وللقرى التي .

(٣) في ن . كذا بين يدي وجهان .

(٤) في ط . لم ترد فيها جملة . قرب الشيء من الشيء . في ط .

(٥) في ن . تقديم الشيء للشيء .

(٦) في ن . لتدبير .

(٧) في ن . الصنعة الموردين وفي ط الثانية غير منقوطة والمرجح أن تكون صيغة .

١٤ - وقوله تعالى : ﴿ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ ﴾ [البقرة - الآية ٨١] .

وهذه استعارة وفيها كناية عجيبة عن عظم الخطيئة لأن الشيء لا يحيط بالشيء من جميع جهاته إلا بعد أن يكون سابغاً غير قالكس وزائداً غير ناقص والمراد^(١) إحاطة خطيئته بحسناته . وذلك أن تكون أعظم منها فيكون لها تأثير في إحاطتها لأن الخطيئة عرض لا يكون محيطاً بالجسم على الحقيقة .

١٥ - وقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴾ [البقرة - الآية ٨٨]

وهذه استعارة على التأويلين جميعاً إما أن يكون غُلْفٌ جمع أغلف مثل أحمر وحمر ، أو يكون جمع غلاف مثل حمار وحمر ويخفف فيقال حمر وكذا^(٢) يقال في الجمع غُلْفٌ وغُلْفٌ بالثقل والتخفيف قال أبو عبيدة : كل شيء في غلاف فهو أغلف ، يقال سيف أغلف وقوس غلفاء ورجل أغلف إذا لم يختن فمن قرأ غلف على جمع أغلف فالمعنى أن المشركين قالوا قلوبنا في أغطية عما نقوله يريدون النبي (ص) ونظير ذلك قوله سبحانه حاكياً عنهم : ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي اكَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ ﴾ (الآية) [فصلت - الآية ٥] ومن قرأ^(٣) قلوبنا غلف على جمع غلاف بالثقل والتخفيف فمعنى ذلك أنهم قالوا قلوبنا^(٤) أوعية فارغة لا شيء فيها فلا تكثر علينا من قولك فإنا لا نعي منه شيئاً . وكان^(٥) قولهم هذا على طريق الاستغناء من كلامه والاحتجاج عن دعائه .

١٦ - وقوله تعالى : ﴿ وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾

[البقرة - الآية ٩٣]

(١) هذه الجملة لم ترد في نسخة ط .

(٢) في ط وكذا يجمع غلاف فيقال الخ .

(٣) ط ومن قرأ .

(٤) ط في أوعية

(٥) ط فكان .

وهذه استعارة والمراد بها صفة قلوبهم بالمبالغة في حب العجل فكانها^(١) تشربت حبّه فمازجها بمازجة المشروب وخالطها غخالطة الشيء المذوذ وحذف حبّ العجل لدلالة الكلام عليه لأن القلوب لا يصح وصفها بشرب العجل على الحقيقة .

١٧ - وقوله سبحانه : ﴿ قُلْ يٰٓإِٰمٰنُكُمْ بِهِۦ ۖ إِيْمَانُكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ۝ ﴾ [البقرة - الآية ٩٣]

استعارة أخرى لأن الإيمان على الحقيقة لا يصح عليه النطق والامر^(٢) إنما يكون بالقول فالمراد إذا بذلك والله أعلم أن الإيمان إنما يكون دلالة على ضد الكفر والضلال ، وترغياً في اتباعه الهدى والرشاد وأنه لا يكون ترغياً في سفاهة ولا دلالة على ضلالة فأقام تعالى^(٣) ذكر الأمر ههنا مقام ذكر الترغيب والدلالة على طريق المجاز والاستعارة إذ كان^(٤) المرغّب في الشيء والمدلول عليه قد يفعله كما يفعله المأمور به والمندوب إليه .

١٨ - وقوله سبحانه : ﴿ وَلِبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِۦ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝ ﴾ [البقرة - الآية ١٠٢]

وهذه^(٥) استعارة لأن بيع^(٦) نفوسهم على الحقيقة لا يتأتى لهم، والمراد به والله أعلم أنهم لما أوبقوا^(٧) نفوسهم^(٨) بتعلم السحر^(٩) واستحقوا العقاب على ما في ذلك من عظيم الوزر كانوا كأنهم رضوا بالسحر ثمناً لنفوسهم إذ عرضوها بتعلّمه^(١٠) للهلاك وأبقوها لدائم العقاب فكانت^(١١) كالأعلاق الخارجة عن أيديهم^(١٢) بأنقص الأثمان وأدون الأعواض .

-
- | | |
|------------------------|--|
| (١) ط فكانها | (٧) أوبقوا : أهلكوا . الموبقات : المعاصي ، المهالك |
| (٢) ط فالأمر . | (٨) ط : أنفسهم . |
| (٣) ن : تعالى ذكره . | (٩) ن : السحرة . |
| (٤) ن : وإذا | (١٠) ط : يعمله . |
| (٥) ط : لم ترد الواو . | (١١) ط : وكانت . |
| (٦) ن : مع . | (١٢) ط : عن أيديهم . |

١٩ - وقوله تعالى : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾

[البقرة - الآية ١١٢]

أي أقبل على عبادة الله تعالى سبحانه وجعل توجهه إليه بجملته لا بوجهه دون غيره والوجه هنا استعارة .

٢٠ - وقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا تَوَلَّوْا فِئْتُمُ وَجْهَ اللَّهِ ﴾ [البقرة - الآية ١١٥]

أي جهة التقرب إلى الله والطريق الدالة^(١) عليه ونواحي^(٢) مقاصده مستمداته المادية إليه .

٢١ - وقوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾ [البقرة - الآية ١٣٠]

والتقدير سفه نفساً على أحد التأويلات وهذه استعارة لأنه تعالى علّق السفه بالنفس وقلنا نفس فلان سفيهة^(٣) وإنما السفه صفة لصاحب النفس لا للنفس .

٢٢ - وقوله تعالى : ﴿ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ ﴾ [البقرة - الآية ١٣٣]

أي ظهرت له علاماته ووردت عليه مقدماته وهي استعارة لأن الموت لا يصح عليه الحضور على الحقيقة .

٢٣ - وقوله تعالى : ﴿ صَبَّغَهُ اللَّهُ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً ﴾

[البقرة - الآية ١٣٨]

أي دين الله وجعله بمنزلة الصبغ لأن أثره ظاهر ورسمه لائح وهذا محض^(٤) الاستعارة .

(١) ن : إلى الدلالة .

(٢) ن : فنواحي .

(٣) الأنسب أن تكون استعارة .

(٤) ط : من محض الاستعارة .

- وقوله تعالى : ﴿ فَوَلَّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾

[البقرة - الآية ١٤٤]

وهذه استعارة على قول من قال : أن الشطر ههنا البعد أي ولَّ وجهك جهة بعده إذا لا يصح أن يولي^(١) وجهه بُعد المسجد على الحقيقة .

٢٥ - وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾

[البقرة - الآية ١٦٨]

أي لا تنجذبوا^(٢) في قياده لأن المنجذب في قياد^(٣) غيره تابع لخطواته وهذه من شرائف الاستعارات^(٤) وهي أبلغ عبارة عن التحذير من طاعة فيما بأمره وقبول قوله فيما يدعو إلى فعله .

٢٦ - وقوله تعالى : ﴿ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ ﴾

[البقرة - الآية ١٧٤]

وهذه استعارة كأنهم إذا أكلوا ما يوجب العقاب بالنار كان ذلك المأكول مشبهاً بالأكل من النار وفي قوله^(٥) سبحانه في بطونهم زيادة معنى وإن كان^(٦) كل أكل إنما يأكل في بطنه وذلك أظفح سماعاً وأشد إجماعاً وليس قول الرجل للآخر إنك تأكل النار مثل قوله إنك تدخل النار في بطنك .

٢٧ - وقوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابِ

[البقرة - الآية ١٧٥]

بِالْمَغْفِرَةِ ﴾

وقد مضى نظير ذلك وأمثاله كثيرة في هذه السورة وغيرها .

(١) ط : أن تولى وجهك جهة بعده المسجد .

(٢) ن : لا تنخدعوا .

(٣) ط : في قيادة غيره .

(٤) ط : الاستعارة

(٥) ط : خلعت من حرف الجر .

(٦) ن : فإن كان .

٢٨ - وقوله تعالى في ذكر النساء^(١) : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾

[البقرة - الآية ١٨٧]

واللباس مستعار والمراد به قرب بعضهم من بعض واشتمال بعضهم على بعض كما تشتمل الملابس على الأجسام^(٢) وعلى هذا المعنى كنوا عن المرأة بالإزار .

٢٩ - وقوله تعالى : ﴿ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ

وَعَفَا عَنْكُمْ ﴾ [البقرة - الآية ١٨٧]

وهذه استعارة لأن خيانة الانسان نفسه لا تصح على الحقيقة وإنما المراد انه سبحانه خفف عنهم التكليف في ليالي القيام بأن أباحهم فيها مع أكل الطعام وشرب الشراب الاقضاء إلى النساء ولو منعهم من ذلك لعلم أن كثيراً منهم يخلع عذار الصبر ويضعف عن مغالبة النفس فيواقع المعصية بفعل ما حظر عليه من غشيان النساء فيكون قد كسب نفسه العقاب ونقصها الثواب فكأنه قد خانها في نفي المنافع عنها وجراً^(٣) المضار اليها وأصل الخيانة في كلامهم النقص فعلى هذا الوجه تحمل خيانة النفس .

٣٠ - وقال سبحانه : ﴿ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ

الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ [البقرة - الآية ١٨٧]

وهذه استعارة عجيبة والمراد بها على أحد التأويلات حتى يتبين بياض الصبح من سواد الليل والخيطان ههنا مجاز وإنما شبههما بذلك لأن بياض الصبح^(٤) يكون في أول طلوعه مشرقاً خافياً ويكون^(٥) سواد الليل منقضيّاً

(١) ن : خلت من لفظة ذكر .

(٢) ن : كما تشتمل الأجسام على الملابس .

(٣) ط : أوجر المضار .

(٤) ط : لأن خيط الصبح .

(٥) ن : وسواء الليل يكون مولياً منقضيّاً .

ولياً فيها جميعاً ضعيفان إلا أن هذا يزداد انتشاراً وهذا يزداد استساراً .

٣١ - وقوله تعالى : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة ﴾ [البقرة - الآية ٢٤٥]

وهذه استعارة لأن الغني لنفسه^(١) لا يجوز عليه الاستقراض على حقيقته ولكن المقرض في المشاهد^(٢) لما كان اسماً لمن أعطى غيره مائلاً على أن يرد عليه عوضه أقام^(٣) توفير العوض مقام رد المعوض .

٣٢ - وقوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ﴾ [البقرة - الآية ٢٥٠]

وهذه استعارة كأنهم قالوا أمطرنا صبراً واسقنا صبراً وفي قوله أفرغ زيادة فائدة على قوله أنزل لأن الإفرغ يفيد سعة الشيء وكثرته وانصبابه وسرعته^(٤) .

٣٣ - وقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾^(٥)

[البقرة - الآية ٢٥٦]

فذكر العروة ههنا مجاز واستعارة والمراد تشبيه المتمسك بشرائط الإيمان بالتمسك بالعروة الوثيقة من عرى الحبل لأنه يستعصم بها من المزال المزلة والمهابط الموبقة ثم قال تعالى : « لا انفصام لها » تبعيداً لها من شبه العرى المعهودة التي ربما انفصمت على طول الحد^(٦) أو بليت قواها على مر الدهور .

(١) لعل الأصل بنفسه .

(٢) ط : في الشاهد .

(٣) ط : أقام سبحانه توفية العوض عليه مقام رد القرض .

(٤) ط : وسعته .

(٥) لم ترد هذه الآية ولا شرحها في ط .

(٦) لعل الأصل . الجذب .

٢٤ - وقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ﴾

[البقرة - الآية ٢٥٧]

وهذه استعارة والمراد بها إخراج المؤمنين^(١) من الكفر إلى الإيمان ومن الغي إلى الرشاد ومن عمى^(٢) الجهل إلى بصائر العلم، وكل ما في القرآن من ذكر الإخراج من الظلمات إلى النور فالمراد به ما ذكرناه^(٣) وذلك من أحسن التشبيهات لأن الكفر كالظلمة التي يتسكع فيها الخابط ويضل القاصد، والإيمان كالنور الذي يؤمه الجائر ويهتدي به الحائر لأن عقابه^(٤) الإيمان مضيئة بالنعيم والثواب، وعاقبه الكفر مظلمة بالجحيم والعذاب وفي لسانهم^(٥) وصف الجهل بالعمى والعمه^(٦) ووصف العلم بالبصر والجليه^(٧) . يقال قد غم عليه أمره وأظلم عليه رأيه إذا كان جاهلاً بما يرتبته^(٨) ويفعله ، ويقال : في نقيض ذلك : هو على الواضحة من أمره والجليه من رأيه إذا كان عالماً بما يورد ويصدر وما يأتي وما يذر .

٣٥ - وقوله سبحانه : ﴿ وَمَنْ يَكْتُمهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ﴾

[البقرة - الآية ٢٨٣]

وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾^(٩) لأن الآثم والكاسب صاحب القلب دون القلب على ما تقدم^(١٠) من القول .

(١) ن . المؤمن .

(٢) ط عميا .

(٧) ط . الحلية .

(٣) ط : بدون هاء الضمير .

(٨) ن . بآيرتيه .

(٤) ط . لأن عقابه الإيمان مضيئة بالإيمان والثواب .

(٩) البقرة ، الآية ٢٢٥ .

(٥) ن . تشابههم يدل لسانهم .

(١٠) ن . على ما تقدم القول .

(٦) ن . الغمة .

٣٦- وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتَذَلُّوا
بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ ﴾ [البقرة - الآية ١٨٨]

أي^(١) لا تجعلوها أسباباً تتوصلون بها إلى استمالة الحكام كما يتوصل
المستقي بادلاء دلوته إلى الماء .

٣٧- وقوله تعالى : ﴿ وَلَسَّ الْبُرْءَانُ ﴾ [البقرة - الآية ١٨٧] .

بياض في الأصل

لا للقلب^(٢) ولكن العزوم والاعتقادات لما كان فيها طاعة ومعصية وسيئة
وحسنة وهي من أفعال القلوب جاز ان ينسب الكسب اليها على هذا
الطريق .



(١) لم يرد في ط . شرح هذه الآية .

(٢) هذه العبارة وردت في ن . ولم ترد في ط . ونظن أن هذا الكلام يتعلق بالآية الكريمة وهي
قوله تعالى : ﴿ لَا يَأْخُذْكُمْ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤْخِذْكُمْ بِمَا كَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَانَّهُ غَفُورٌ
رَحِيمٌ ﴾ وقد أشار المؤلف عند ذكره لقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آتَمٌ قَلْبُهُ ﴾ إلى هذه
الآية .

سورة آل عمران

ومن السورة التي يذكر فيها آل عمران

٣٨ - قوله تعالى : ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾

[آل عمران - الآية ٧]

وهذه استعارة والمراد بها^(١) ان هذه الآيات جماع الكتاب وأصله فهي زلة الأم له^(٢) وكان سائر القرآن يتبعها ويتعلق بها كما يتبع الولد آثار أمه ويفزع إليها في مهمة .

٣٩ - وقوله تعالى : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾

[آل عمران - الآية ٧]

وهذه استعارة والمراد بها المتكثرون في العلم تشبيهاً بـرسوخ الشيء الثقيل في الأرض الخوارة وهو أبلغ من قوله والثابتون في العلم .

٤٠ - قوله تعالى : ﴿ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْبِهَادُ ﴾

[آل عمران - الآية ١٢]

وهذه استعارة والمعنى^(٣) بش ما يمتهد ويفترش ونظيره قوله تعالى :

﴿ وَسَاءَ مَرْتَفَقًا ﴾^(٤) .

(١) ن . خلعت من (بها)

(٢) ط . خلعت من (له) .

(٣) ن . والمراد به .

(٤) الكهف ، الآية ٢٩ .

٧٦ - وقوله تعالى في هذه السورة : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن سُبِّهَ لَهُمْ ﴾
[النساء - الآية ١٥٧]

وليس التشبيه^(١) ههنا فعلاً^(٢) من غيرهم بهم^(٣) وإنما شبهوا هم^(٤) على أنفسهم أي تصرفوا مع^(٥) الشبهة دون اليقين كما يقال أين يذهب بك والمراد أين يذهب ونظائر ذلك كثيرة .

٧٧ - وقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾
[النساء - الآية ١٤٠]

وهذه استعارة والمراد بالخوض ههنا مناقلة الحديث والضرب في أقطاره والتفسخ في أعطائه^(٦) استشارة لكرائمه^(٧) وبحسباً عن غوامضه تشبيهاً بخصائص الماء الذي يثير قراره ويسبر غماره .

٧٨ - وقوله تعالى : ﴿ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتَّبَاعُ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾
[النساء - الآية ١٥٧]

وفي الآية^(٨) استعارتان إحداهما : قوله إلا اتباع الظن لأن الظن منها جعل^(٩) بمنزلة الداعي الذي يطاع أمره والقائد يتبع أثره مبالغة في صفة الظن

(١) ن . التشبه .

(٢) ط . عملاً .

(٣) ن . لا توجد (بهم) .

(٤) ن . خالية من (هم) .

(٥) ط . خالية من (مع) .

(٦) ن . في أعطائه .

(٧) ن . لكرامته فأثبتا (لكرائمه) وترجح أن تكون لفظة ينار مكان يثير .

(٨) ط . هذه الآية .

(٩) ط . جعل بظنها .

بشدة الامتلاء عليهم وقوة الغلبة على عقولهم^(١) والاستعارة الاخرى ان يحسون قوله تعالى ﴿وما قتلوه يقيناً﴾ راجعاً إلى الظن لا إلى المسيح عليه السلام ، فكأنه تعالى قال : وما قتلوه الظن يقيناً كما يقول القائل : قد قتلت الخبر علماً . ومن أمثالهم قتل أرضاً عالمها وقتلت أرض جاهلها^(٢) والمراد بقولهم : قتلت الخبر علماً أي استقصيت معرفته واستخرجت دخليته^(٣) فلم يفتني شيء من علمه فكنت^(٤) بذلك^(٥) ، كأنني قاتل له أي لم أبق شيئاً يُعلم من كنهه^(٦) كما لم يبق القاتل^(٧) في المقتول شيئاً من نفسه . وعلى هذا قولهم أصاب^(٨) فلان شاكلة الأمر وطبق مفصل الرأي ، أي أدرك حقيقته وبلغ مصدوقته والشاكلة الحاصرة ههنا وهي من مقاتل الحيوان .

٧٩ - وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ

أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾ [النساء - الآية ١٧١]

وقد مضى كلامنا على معنى^(٩) تسمية المسيح عليه السلام بكلمة الله وقوله تعالى : ﴿ وروح منه ﴾ ههنا استعارة والمراد بذلك أنَّ الناس ينتفعون بهداه ويحيون من موت الضلالة برشده كما تحيا الأجسام بأرواحها وتتصرف بحركاتها .

(١) ط . عل قلوبهم .

(٢) ط . أهلها .

(٣) ن . دجته .

(٤) ن . وكنت .

(٥) ن . خلعت من (بلك) .

(٦) ن . كنهه .

(٧) ط . من المقتول .

(٨) ط . حساب .

(٩) ن . لم ترد لفظة معنى .

قوله تعالى : ﴿ فَبَسَّ الْقَرَارُ ﴾ ^(١)

٤١ - قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَبَطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾
[آل عمران - الآية ٢٢]

وهذه استعارة والمراد فسدت أعمالهم فبطلت وذلك مأخوذ من الحبط وهو داء ترم ^(٢) له أجواف الإبل فيكون سبب هلاكها وانقطاع آكلها .

٤٢ - وقوله تعالى ﴿ تُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ ﴾
[آل عمران - الآية ٢٧]

وهذه استعارة وهي عبارة عجيبة عن إدخال هذا على هذا وهذا على هذا والمعنى أن ما ينقصه من الليل ^(٣) يزيده في النهار وما ينقصه من النهار يزيده في الليل ولفظ الإيلاج ههنا أبلغ لأنه يفيد إدخال كل واحد منهما في الآخر بلطف الممازجة وشديد الملايسة .

٤٣ - قوله تعالى : ﴿ تُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾
[آل عمران - الآية ٢٧]

وهذا القول مجاز واستعارة ، على أحد التأويلين ، وهو أن يكون تعالى أراد بالحي ههنا المؤمن وبالميت الكافر ، فكأنه تعالى قال : يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن وإنما شبه تعالى المؤمن بالحي لأنه ينتفع وينفع وشبه الكافر بالميت لأنه لا ينفع ولا ينتفع وقد يجوز أن يكون إنما شبه المؤمن بالحي لحركة خواطره في طلب الحق ، وإصابته وشبه الكافر بالميت لجمود خواطره عن استنباط الحق ، وإثارته فإن قيل : فما معنى تشبيه المؤمن بالحي وهو حي وليس كذلك الكافر لأنه شبه بالميت وليس بميت وكان المعنى مفيداً

(١) من الآية : ٦٠ .

(٢) ن . وهو داء معروفة في أجواف الإبل .

(٣) ط . ما ينقصه من النهار يزيده في الليل .

واللفظ سديداً . وقيل : لأنه سبحانه إنما أراد حياة الأديان لا حياة الأبدان
فلذلك صح المعنى واستقام .

٤٤ - قوله تعالى : ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ [آل عمران - الآية ٣٩]

وهذه استعارة لأن المراد بهذا القول عيسى عليه السلام ولعلماء مختلفون
في هذه اللفظة وقد استقصينا الكلام على ذلك في كتاب حقائق التأويل فمن
بعض ما قيل في ذلك أن بشارة الله تعالى سبقت بالمسيح عليه السلام في
الكتب المتقدمة والندارات^(١) السالفة فأجرى اسم الكلمة عليه لتقدم البشارة
والبشارة إنما تكون بالكلام .

٤٥ - قوله تعالى : ﴿ وَمَكْرُؤًا وَّمَكْرَ اللَّهِ وَآلَهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾

[آل عمران - الآية ٥٤]

وهذه استعارة لأن حقيقة المكر لا تجوز عليه تعالى والمراد^(٢) بذلك إنزال
لعقوبة بهم جزاء على مكروهم وإنما سمي الجزاء على المكر مكرًا للمقابلة بين
الألفاظ على عادة العرب في ذلك قد استعارها واستعان^(٣) بها بياهم .

٤٦ - وقوله تعالى : ﴿ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ
وَاكْفُرُوا آخِرَهُ ﴾

[آل عمران - الآية ٧٢]

وهذه استعارة والمراد أول النهار ولم يكن رأس النهار لأن الوجه ،
والرأس وإن اشتركا في كونهما أول الشيء ، فإن في الوجه زيادة فائدة^(٤) وهي
أن به تصح المواجهة ومنه تعرف حقيقة الجملة .

(١) ط . الندوات .

(٢) ن . والمراد انزال العقوبة .

(٣) ط . استعارها بدل استعان بها .

(٤) ن . خلت من لفظة (فائدة) .

٤٧ - وقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران - الآية ٧٣]

وهذه استعارة والمراد بها اما سعة عطائه وعظيم^(١) احسانه أو اتساع طرق علمه وانفساح اقطار سلطانه وعزه .

٤٨ - قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴾ [آل عمران - الآية ٧٧]

وهذه استعارة وحقيقتها ولا يرحمهم الله يوم القيامة كما يقول القائل غير، إذا استرحمه انظر إلي نظرة لأن حقيقة النظر هو تقليب العين الصحيحة في جهة المرئي التماساً لرؤيته وهذا لا يصح إلا على الأجسام ومن يدرك بالحواس ويوصف بالحدود والأقطار وقد تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

٤٩ - قوله تعالى ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِخُلُوعِ اللَّهِ جَمِيعاً ﴾ [آل عمران - الآية ١٠٣]

وهذه استعارة ومعناها^(٢) : تمسكوا بأمر الله لكم وعهده اليكم والجلال^(٣) اليهود في كلام العرب ، وإنما سميت بذلك لأن المتعلق بها ينجو مما يخافه كالمتشبث بالجليل إذا وقع في غمرة وارتكس^(٤) في هوة ، فالعهد يستأمن به من المخاوف والجلال يستنقذ بها من المتالف فلذلك وقع التشابه بينها .

٥٠ - وقوله تعالى : ﴿ وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا ﴾

[آل عمران - الآية ١٠٣]

وهذه استعارة لأنه تعالى شبه المشفي لسوء عمله على دخول النار بالمشفي^(٥) لزلّة قدمه على الوقوع في النار .

٥١ - وقوله تعالى : ﴿ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ ﴾^(٦) [آل عمران - الآية ١٠٩]

(١) ارتكس : وقع في شر نجا منه .

(٢) ن . ن . بركة .

(٣) الذي في المصاحف « تُرْجَعُ » .

(٤) ن . وعظم .

(٥) ن . أي تمسكوا .

(٦) الجبال في النسختين .

على قراءة من قرأ بفتح التاء وكسر الجيم وهذه استعارة والمراد بها أن الأشياء كلها تنتهي إلى أن تزول عنها أيدي المالكين والمدبرين ويخلص ملكها وتديرها لرب العالمين .

٥٢ - وقوله تعالى : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أُنْمَاقُهَا تُلْفُوا ^(١) إِلَّا بِحَبْلٍ مِنْ اللَّهِ وَحَبْلِ مَنْ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ﴾ [آل عمران - الآية ١١٢]

وقد مضى الكلام على مثل ذلك في البقرة فلا معنى لإعادته .

٥٣ - وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا ^(٢) ﴾

[آل عمران - الآية ١١٨]

وهذه استعارة وأصل البطانة ما يلي بطن الإنسان من ثيابه ومنه بطانة الثوب وبطان البعير فشبه دخلاء الرجل وخواصه بالبطانة لأنهم يستبطنون دخيل أمره ويلازمونه ملازمة شعاره لجسمه فكأنه تعالى قال لا تتخذوا من هذه صفته من غير أهل دينكم فيكون غير مأمون عليكم .

٥٤ - وقوله تعالى : ﴿ لَيَقْطَعَنَّ طَرَفًا مِمَّنْ آذَيْنِ كَفَرُوا ﴾

[آل عمران - الآية ١٢٧]

أي ينقص عدداً من أعدادهم ويوهي ^(٣) عضداً من أعضادهم وهذا من محض الاستعارة ^(٤) .

٥٥ - وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾

[آل عمران - الآية ١٤٣]

(١) ثقفوا : من ثقف : ثقفه أي أدركه وصادفه .

(٢) لم ترد هذه الآية وما يتعلق بها من شرح في ط .

(٣) ط - يوهن عضداً .

(٤) ن . وهذا محض الاستعارة .

وهذه استعارة لأن الموت لا يلحق ولا يرى وإنما أراد سبحانه رؤية أسبابه من صدق مصاع^(١) وتتابع فراع أو رؤية آتاه كالرماح المشرعة والسيوف المختربة .

٥٦ - وقوله تعالى : ﴿ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾
[آل عمران - الآية ١٤٤]

وهذه استعارة والمراد بها الرجوع عن دينه والتقاعس عن اتباع طريقه فشبه سبحانه الرجوع في الارتياح بالرجوع على الأعقاب .

٥٧ - وقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانَوا عُزَّى ﴾
[آل عمران - الآية ١٥٦]

وهذه استعارة لأن للضرب ههنا عبارة عن الإبعاد^(٢) في السير والإيغال في الأرض تشبيهاً للخابط في البر بالسابح في البحر لأنه يضرب بأطرافه في غمرة الماء شقاً^(٣) لها واستعانة على قطعها .

٥٨ - وقوله تعالى : ﴿ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾
[آل عمران - الآية ١٦٣]

وهذه استعارة لأن الإنسان غير الدرجة وإنما المراد بذلك هم ذوو درجات متفاوتة عند الله فالمرء من درجته مرتفعة والكافر درجته متفضعة .

٥٩ - وقوله تعالى : ﴿ وَمَا الْخَيْوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾
[آل عمران - الآية ١٨٥]

(١) ن . مضاع . من مضع : ماصع ومماصة : قاتل وجالد .

(٢) ط - الانجاد .

(٣) ط . سعاقا .

(٤) ن . هم ذو درجات .

وهذه استعارة لأن الغرور لا متاع له على الحقيقة^(١) وإنما المراد بذلك أن ما يستمتع به الإنسان من ظل زائل^(٢) وخضاب ناصل^(٣)

٦٠ - وقوله تعالى في صدر هذه الآية : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾

[آل عمران - الآية ١٨٥]

مستعار أيضاً لأن حقيقة الذوق ما أدرك بحاسة الذوق وإنما حسن وصف النفس بذلك لما تحس به^(٤) من كرب الموت وعلزه^(٥) فكأنها تحسه بذوقه .

٦١ - وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾

[آل عمران - الآية ١٨٦]

وهذه استعارة لأن الأمور لا عزم وها وإنما العزم للموطن نفسه على فعلها والمراد فإن^(٦) ذلك من قوة الأمور لأن العازم على فعل الأمر قوي عليه .

٦٢ - وقوله تعالى : ﴿ فَبَدَّوْهُ وَرَأَى ظُهُورَهُمْ ﴾ [آل عمران - الآية ١٨٧]

وهذه استعارة ، والمراد بها أنهم غفلوا عن ذكره وتشاغلوا عن فهمه يعني الكتاب المنزل عليهم فكان كالشيء الملقى خلف ظهر الإنسان لا يراه . فيذكره ولا يلتفت إليه فينظره .

٦٣ - وقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَحْسِبْنَهُمْ بِمَقَارَةِ مِنَ الْعَذَابِ ﴾

[آل عمران - الآية ١٨٨]

(١) ن . في الحقيقة .

(٢) ن . ياطل زائل . والراجع جذف ان .

(٣) خضاب ناصل من نصلت نصولاً (الملحبة) : خرجت من الخضاب فهي ناصل .

(٤) ن . خالبة من (به) .

(٥) العلز بالتحريك القلق واضع .

(٦) ن . بأن ذلك .

وهذه استعارة فلا تحسبنهم يبعد من العذاب وبمنجاة من العقاب والمفازة الأرض البعيدة التي إذا قطعها الانسان فاز بقطعها وأمن من خوفها .

٦٤ - وقوله تعالى : ﴿ لَا يُغْنِيكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ مَنَآءٌ قَلِيلٌ ۚ ﴾ . [آل عمران - الآية ١٩٦ و ١٩٧] .

وهذه استعارة والمراد بالتقلب ههنا كثرة الاضطراب في البلاد والتقلقل في الأسفار والانتقال من حال إلى حال .



سورة النساء مدنية

ومن السورة التي تذكر فيها النساء

٦٥ - وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾
[النساء - الآية ١٠]

وهذه استعارة وقد مضى الكلام على نظيرها في البقرة والمعنى أنهم لما أكلوا المال المؤدي إلى عذاب النار شبهوا من هذا الوجه بالأكليين من النار .

٦٦ - وقوله تعالى : ﴿ فَأَمْسِكُوهُمْ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ ﴾
[النساء - الآية ١٥]

وهذه استعارة لأن المتوفي ملك الموت فتقل الفعل إلى الموت على طريق المجاز والاتساع لأن حقيقة التوفي هي ^(١) قبض الأرواح من الأجسام .

٦٧ - وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَاتُوهُمْ نَفْسِيهِمْ ﴾
[النساء - الآية ٣٣]

وهذه استعارة والمراد ^(٢) بها والله أعلم أن من عقدتم بينكم وبينه عقداً ، فادوا إليه ما يستحقه بذلك العقد عليكم وإنما نسب ^(٣) المعاقدة إلى الأيمان على عادة العرب في ذلك . يقول قائلهم ^(٤) : أعطاني فلان صفقة يمينه على كذا وأخذت يد فلان مصافحة على كذا وعلى هذا النحو أيضاً إضافة الملك

(٣) ن . وإنما نسب .

(١) ط . هو .

(٤) ط . يقول القائل .

(٢) ن . فلا .

إلى الإيمان في قوله تعالى : ﴿ وما ملكت أيمانكم ﴾ ^(١) لأن الإنسان في الأغلب إنما يقبض المال ^(٢) المستحق بيمينه ويأخذ السلع المملوكة بيده .

٦٨ - وقوله تعالى : ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾ [النساء - الآية ٤٦]

وهذه استعارة والمراد بها والله أعلم أنهم يعكسون الكلام عن حقائقه ويزيلونه عن جهة صوابه حملاً له على أهوائهم وعطفاً على آرائهم ^(٣) .

٦٩ - وقوله تعالى : ﴿ لَيَّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي الَّذِينَ ﴾ [النساء - الآية ٤٦]

استعارة أخرى والمراد بها يميلون بكلامهم إلى جهة الاستهزاء بالمؤمنين والوقعة في الدين .

٧٠ - وقوله تعالى : ﴿ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْبِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا ﴾

[النساء - الآية ٤٧]

وهذه استعارة وهي عبارة عن مسح الوجوه أي يزيل مخاطبتها ^(٤) ومعارفها تشبيهاً بالصحيفة المطموسة التي عميت سطورها وأشككت حروفها .

٧١ - وقوله تعالى : ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَىٰ ﴾

[النساء - الآية ٧٧]

وهذه استعارة والمراد بها تحسيس ^(٥) قدر ما يصحب الإنسان في الدنيا ^(٦) وإن المتعة به قليلة والشوائب له كثيرة ^(٧) .

٧٢ - وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا جِذْرَكُمْ ﴾ ^(٨) [النساء - الآية ٧١]

(٥) ن . تخصيص .

(٦) ط . من الدنيا .

(٧) ط . والشوائب كثيرة .

(٨) هذه الآية وما يتعلق بها ن الشرح غير موجودة في (ط) .

(١) النساء - الآية - ٣٦ .

(٢) ط . من المال .

(٣) ط . عن آرائهم .

(٤) ن . مخاطبتها .

وهذه استعارة ومجاز لان احذر لا يؤخذ على الحقيقة وإنما يصح الاخذ على ما يتأتى إمساكه بالأيدي من الأجسام كالأسلحة المنعاطاة والآلات المستعملات وما يجري مجرى ذلك ، والمراد والله أعلم تمسكوا بالحدز وأدبوا إستشعاره كما تمسكون بالشيء الذي تشتمل عليه أكفكم وتعلق به أناملكم .

٧٣ - وقوله تعالى ﴿ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ ﴾ [النساء - الآية ٩٠]

وهذه استعارة والمراد بها صفة صدورهم بالضيق عن القتال^(١) وذلك^(٢) مأخوذ من الحصار وهو تضيق المذهب والمنع من التصرف .

٧٤ - وقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ ﴾

[النساء - الآية ٩٠]

وهذه استعارة وحقيقتها إن طلبوا منكم المسالمة وساءلوكم المودعة وفي قوله تعالى : ﴿ وَأَلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ ﴾^(٣) عبارة عن طلبهم السلم عن ذل واستكانة وخضوع وضراعة .

٧٥ - وقوله تعالى : ﴿ وَأَحْضَرْتُ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ ﴾ [النساء - الآية ١٢٨] .

وهذه استعارة وليس^(٤) المراد أن محضراً أحضر الأنفس شحها ولكن الشح لما كان غير مفارق لها ولا متباعداً عنها كان كأنه قد أحضرها وهمل على ملازمتها ومثل ذلك^(٥) .

(١) ط . . على القتال .

(٢) ن . فذلك .

(٣) ن . وألقوا إليكم . فقط .

(٤) ن . ليس (و) .

(٥) ط . ومثل هذا .

سورة المائدة

السورة التي تذكر فيها المائدة

٨٠ - وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَجْلَوْا شَعَائِرَ اللَّهِ ﴾

[المائدة - الآية ٢]

وهذه استعارة والمراد مستعبدات الله التي أشعرها للناس أي بينها لهم من قوخم : أشعرت البدن إذا جرحتها في سنامها ليسيل دمها فيعلم إنها هدي لبيت الله سبحانه وهذا الفعل علامة لها ودلالة عليها .

٨١ - وقوله تعالى : ﴿ يَهْدِي بِهِ ^{الله} مَنِ اتَّبَعَ بِرِضْوَانِهِ سُبُلَ السَّلَامِ ﴾

[المائدة - الآية ١٦]

وهذه استعارة والسلام ههنا جمع سلامة فالمراد^(١) أنه تعالى يدل من اطاعة على طريق نجاته وسبيل أمته لأن طاعته زمامة^(٢) السلامة فمن اتبع قياده نجا ومن تقاعس عنه ضلّ وغوى .

٨٢ - وقوله تعالى : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنْ

[المائدة - الآية ١٩]

الرُّسُلِ ﴾

وهذه استعارة والمراد على انقطاع^(٣) الارسال إلى الأمم وخلو الزمان من

(١) ن . والمراد .

(٢) ط . أدام ولعل الأصل زمام السلامة .

(٣) ن . انقضت هنا هذه العبارة على ما في الأصل وهي (وسولت له وقربت عليه ففعل)

مبعث الرسل تشبيهاً بحال^(١) إرسال الأنبياء إلى أممهم ثم حال توفيقهم بعد أداء شرائعهم بثقوب النار ثم خودها واضطرامها ثم فتورها .

٨٣ - وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَدْعُوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَقْلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾

[المائدة - الآية ٢١] .

وهذه استعارة ونظيرها^(٢) قوله تعالى : ﴿ انقلبتم على أعقابكم ﴾^(٣) أي لا تولوا عن دينكم وتشكروا بعد يقينكم فتكونوا كالمقهقر الراجع والمتعاسر الناكس .

٨٤ - وقوله تعالى : ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾

[المائدة - الآية ٣٠]

وهذه استعارة والمراد : سَوَّلَتْ لَهُ وَقَرَّبَتْ عَلَيْهِ ففعل وطوعت^(٤) فعلت . من الطوع أي سهلت نفسه عليه ذلك حتى أتاه طوعاً وانقاد إليه^(٥) سمحاً .

٨٥ - وقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾

[المائدة - الآية ٣٢]

وأحيا ههنا استعارة لأن إحياء النفس بعد موتها لا يفعله إلا الله تعالى ، وإنما المراد من استبقاها وقد استحقت القتل أو استنقذها^(٦) وقد أشرفت على الموت فجعل سبحانه فاعل ذلك بها كمحييها بعد موتها إذ كان الاستنقاذ من الموت كالإحياء بعد الموت .

(١) كذا في النسختين ولعل الأصل (حال) . (٤) ن . فطوعت .

(٢) ن . نظيره . (٥) ن . له .

(٣) آل عمران ، آية ١٤٤ . (٦) ط . واستنقذها .

٨٦ - وقوله تعالى : ﴿ مِنْ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَنفُسِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ ﴾
[المائدة - الآية ٤١]

وهذه استعارة لأن صفة الإيمان والكفر إنما يوصف بها الإنسان دون القلب والمراد أنهم آمنوا بالظواهر وكفروا بالباطن .

٨٧ - وقوله تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ
الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة - الآية ٤٨]

وهذه استعارة وقد تقدم مثلها والمعنى مصدقاً بما سلف قبله من الكتاب الذي هو الإنجيل الصحيح . واستعير ذكر اليمين فهنا كما يقول القائل : إذا سأله غيره عن ركب مر به هو بين يديك^(١) أي قد سار أمامك ومهيماً عليه^(٢) . أي شاهداً عليه وهذه أيضاً استعارة أخرى والمراد أن ما في الكتاب من وضوح الدلالة يقوم مقام النطق^(٣) بصحة الشهادة .

٨٨ - وقوله تعالى ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ [المائدة - الآية ٤٨]

وهذه استعارة والمراد^(٤) ولا تطع أمرهم ولا تجب داعيهم فأقام تعالى أهواءهم مقام الدعاة^(٥) إلى الردى والهداة إلى العمى .

٨٩ - وقوله تعالى : ﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ [المائدة - الآية ٤٨]

وهذه استعارة عجيبة والمراد^(٦) . فبادروا فعل الخيرات إذ كنتم على غير أمان من حضور الأجل وتضييق المهل^(٧) وذلك تشبيه^(٨) بسباق الخيل لأن كل

(١) ن . هو بين يديك قد سار .

(٢) ن . من غير حرف العطف .

(٣) ط . والمعنى .

(٤) ن . صحة الشهادة .

(٥) ط . الأمل .

(٦) ن . خلت من (والمراد)

(٧) ط . شبيهاً .

واحد من فرسانها يشاح غيره على بلوغ الغاية المقصودة وينافسه في الإسراع إلى البيعة المطلوبة .

٩٠ - وقوله تعالى : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾

[المائدة - الآية ٥٤]

وهذه استعارة لأن الحب الذي هو ميل الطبايع^(١) لا يجوز على القديس تعالى والمعنى يريد إثابتهم^(٢) في الأجل وكرامتهم في العاجل ومعنى عبتهم لم يعالى أنهم يريدون تعظيمه ويقصدون تمجيده ويقومون بلوازم طاعته ووظائف عبادته .

٩١ - وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾

[المائدة - الآية ٦٤]

(وهذه^(٣) استعارة ومعناها أن اليهود أخرجوا هذا القول مخرج الاستحسان .
لله سبحانه فكذبهم تعالى بقوله : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾) .

وليس المراد بذكر اليدين ههنا الاثنتين اللتين هما أكثر^(٤) من الواحد وإنما المراد به المبالغة في وصف النعمة كما يقول القائل ليس لي بهذا الأمر يبدان وليس يريد به الجارحتين وإنما يريد^(٥) به المبالغة في نفي القوة على ذلك الأمر وربما قيل إن المراد بذلك نعمة الدنيا ونعمة الآخرة والله أعلم أي ذلك أصوب وقد أسبعنا الكلام على هذا المعنى في كتابنا الكبير .

(١) ط . الطبايع .

(٢) ط . على الأجل .

(٣) هذه الجملة التي بين قوسين لا توجد في ن .

(٤) ن . أكبر .

(٥) ط . يريد المبالغة .

٩٢ - - وقوله تعالى : ﴿ كَلَّمَا أَوْفَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَافُهَا اللَّهُ ﴾

[المائدة - الآية ٦٤]

وهذه استعارة لأن الحرب لا نار لها على الحقيقة وإنما شبهت بالنار لاحتدام قراعها وحرّ مصاعها^(١) وإنما تأكل أهلها كما تأكل النار حطبها .

٩٣ - - وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾

[المائدة - الآية ٦٦]

وهذه استعارة لأن التوراة لا يصح عليها القيام ، وإنما المراد ولو أنهم نفذوا^(٢) حكمها واتبعوا نهجها وعملوا بما فيها ولم يحرفوا كلمها من قولهم : أقام فلان قنّة الدين إذا حكم بالحق وأمر بالعدل .

وقوله تعالى : ﴿ لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾

وهذه استعاره لخرى على أحد التأويلين وهو أن يكون المراد بهذا القول العبارة عن سعة الرزق ورفاهة العيش كما يقول القائل : فلان مغمور في النعيم والنعمة من قرنه إلى قدمه والتأويل الآخر معناه^(٣) لأكلوا من فوقهم من ثمار الشجر الذي يقوت^(٤) بسطة اليد ومن تحت أرجلهم أي من نبات الأرض الذي يباشر موطئ^(٥) القدم وقيل بل^(٦) المراد بذلك ما يكون عن مساقط الغيث من إخصاب منابت الأرض وهذا كقوله تعالى :

﴿ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الأعراف - الآية ٩٦]

(١) ن . وحرّت مصاعها .

(٢) ط . اتبعوا .

(٣) ط . والتأويل الآخر لأكلوا .

(٤) ن . لعل الأصل لا يقوت .

(٥) ن . يباشر من طي القدم .

(٦) ط . وقيل المراد .

٩٠ - وقوله تعالى : ﴿ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْإِيمَانَ ﴾

[المائدة - الآية ٨٩]

على قراءة من قرأ : عَقَّدْتُمْ وعَقَّدْتُمْ بالتخفيف والتشديد دون من قرأ عَاقَدْتُمْ وهذه استعارة ، والمراد بها تأكيد الإيمان حتى تكون بمنزلة العقد المؤكد والحبل المحصد ويكون المراد إنكم عقدتموها على شيء خلافاً لليمين اللغو التي ليست معقودة على شيء^(١) لأن الفقهاء يسمون اليمين على المستقبل يميناً معقودة وهي التي يأتى^(٢) فيها البر والحنث وتجب فيها الكفارة واليمين على الماضي عندهم لغو وغموس فاللغو^(٣) كقول القائل : والله ما فعلت كذا في شيء يظن أنه لم يفعله ، والله لقد فعلت كذا في شيء يظن أنه فعله فهذه اليمين لا مؤاخذه فيها وأما الغموس فهي^(٤) اليمين على الماضي ، إذا وقعت كذباً نحو قول القائل والله ما فعلت وهو يعلم أنه قد فعل^(٥) أو والله لقد فعلت وهو يعلم أنه لم يفعل فهذه اليمين كفارتها التوبة والاستغفار لا غير .

٩١ - وقوله تعالى : ﴿ لَيَبْلُوَنَّكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ

[المائدة - الآية ٩٤]

وَرِمَاحُكُمْ ﴾

وهذه استعارة لأن القائل^(٦) هو الذي ينال القنص^(٧) برمح ولكن الرمح لما كان مباشراً حسن لهذه الحال أن يسمى نائلاً .

٩٦ - وقوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ أَذْنَىٰ أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا ﴾

[المائدة - الآية ١٠٨]

(١) ن . خلت من . على شيء . الثانية .

(٢) ن . ينافيها . كذا .

(٣) ن . خلت من لفظة (فاللغو) .

(٤) ط . فهو اليمين .

(٥) ط . والله .

(٦) ط . لأن الفارس .

(٧) القنص

وهذه استعارة لأن الشهادة لا وجه لها وإنما المراد أن يأتوا بالشهادة على جليتها وحقيقتها وعبر تعالى عن ذلك بالوجه لأن به تعرف حقيقة الجملة وينهم كنه الصورة كما قلنا فيما تقدم وهذه من الاستعارات البديعة .

٩٧- وقوله تعالى حاكياً عن المسيح عليه السلام : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ [المائدة - الآية ١١٦]

وهذه إستعارة لأن القديم تعالى لا نفس له والمراد تعلم ما عندي ولا أعلم ما عندك ، وتعلم حقيقتي وذاتي^(١) ولا أعلم حقيقتك وذاتك أو تعلم مغيبى ولا أعلم مغيبك فكان^(٢) فحوى ذلك تعلم ما أعلم ولا أعلم ما تعلم وقد استوفينا الكلام على ذلك في كتاب حقائق التنزيل .

٩٨- فأما قوله تعالى في آل عمران : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾^(٣) .

[آل عمران - الآية ٢٨]

فالمراد بها ويحذركم عقابه لأنك إذا قلت أحذر فلاناً فإني تريد به أحذر أن يصيبك منه ضرر أو تنال منه شراً^(٤) والتحذير في التحقيق إنما هو من نفس الضرر لا من فاعل الضرر وفي قوله ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ زيادة فائدة على قوله ويحذركم عقابه كأنه تعالى أراد ما يتولاه هو من العقاب لا ما يتولاه بعض العباد فحصلت في هذا اللفظ مزية الاختصاص .

(١) ط . لم ترد فيها ، ذاتي . ولا ذاتك .

(٢) ن . وكان .

(٣) هذه الآية وما يتعلق بها من كلام لم ترد في ط .

(٤) الاقرب الى الأصل أن تكون الجملة هكذا : أو ينالك منه شر .

سورة الأنعام

٩٩ - وقوله تعالى : ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام - الآية ٤٥]

وهذه استعارة لأن الأصل في هذه اللفظة دابرة الفرس وجمعها دوابر وهي ما يلي حافره من خلفه ودابرة الطائر هي الشاخصة التي خلف رجليه وتدعى الصيصية أيضاً ، فالمراد بقوله تعالى : ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ والله أعلم ، أي قطعت عنهم الأمداد اللاحقة بهم من خلفهم والناسلون لهم في غيهم وضلالهم أو قطع خلفهم من نسلهم فلم تثبت لهم ذرية^(١) ولم تبق لهم بقية .

١٠٠ - وقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ
عَلَى قُلُوبِكُمْ ﴾ [الأنعام - الآية ٤٦]

وهذه استعارة فالمراد بالأخذ ههنا إبطال حواسهم وإذا بطلت فكأنها^(٢) قد أخذت منهم وغيبت عنهم .

١٠١ - وقوله تعالى : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعَلِّمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾ [الأنعام - الآية ٥٩]

(١) ن . فلم يثبت لهم ذرية .

(٢) ن . فكأنها أخذت .

وهذه استعارة فالمراد^(١) وعند الوصلة إلى علم الغيب وإذا شاء فتحه
لأنبيائه وملائكته^(٢) وإن شاء أغلق عليهم علمه ومنعهم فهمه وعبر عن ذلك
بالمفتاح وهي أحسن عبارة وأوقع استعارة لأن كل ما يتوصل به إلى فتح المبهم
وبيان المستعجم يسمى بذلك ألا ترى إلى قول الرجل لصاحبه إذا أشكل عليه
أمر أو اختل له حفظه : افتح عليّ أي بين لي وفهمني ما عذب عني .

١٠٢ - وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ
حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾ [الانعام - الآية ٦٨]

وهذه استعارة والمراد بها إثارة أحاديث^(٣) الآيات ليستشفوا بواطنها
ويعلموا حقائقها كالحائض^(٤) في غمرة الماء لأنه يشير قعرها ويسبر غمرها
وقد مضى الكلام على نظير^(٥) ذلك في النساء . .

١٠٣ - وقوله تعالى : ﴿ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الانعام - الآية ٨٠]

وهذه استعارة لأن صفة الشيء بأنه يسع غيره لا تنطلق إلى على
الأجسام التي فيها الضيق والاتساع ولها الحدود^(٦) والأقطار تعالى عن ذلك علواً
كبيراً . والمراد^(٧) أن علمه سبحانه يحيط بكل شيء فلا تخفى عليه خافية ولا
تدق عنه غامضة .

١٠ - وقوله تعالى ﴿ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ [الانعام - الآية ٩٢]

وهذه استعارة والمراد بأم القرى مكة وإغا^(٨) سماها سبحانه بذلك لأنها

(١) ط . والمراد .

(٢) ن . لم ترد ملائكت .

(٣) ن . إثارة الحديث .

(٤) ط . كالحائض .

(٥) ن . وقد مضى نظير ذلك .

(٦) ط . بدون (لها)

(٧) ط . فالمراد .

(٨) ط . كأنها .

كالأصل للفرى وكل قرية كأنما هي طارئة عليها ومضافة إليها . وقد روي في تقدم اختطاطها ما لا يحتمل كتابنا هذا^(١) ذكره .

١٠٥ - وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ ﴾

[الانعام - الآية ٩٣]

وهذه استعارة عجيبة لأنه سبحانه شبه الذين تغورهم كرب الموت وغصصه بالذين تتقاذفهم غمرات الماء ولججه وقد سميت^(٢) الكربة غمرة لأنها تغمر قلب الانسان أخذه بكظمه وجائمه على متنفسه والأصل في جميع ذلك غمرة الماء .

١٠٦ - وقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴾ [الانعام - الآية ٩٤]

على قراءة من قرأ برفع النون من بينكم وهذه استعارة لأنه لا وصال^(٣) هناك على الحقيقة فتوصف بالتقطع وإنما المراد لقد زال ما كان بينكم من شبكة المودة وعلاقة الألفة التي تشبه لاستحكامها بأحبال المحصدة والقرائن المؤكدة .

١٠٧ - وقوله تعالى : ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ﴾ [الانعام - الآية ٩٥]

وهذه استعارة على بعض الأقوال وهو أن يكون معناه : أنه سبحانه يشق الحبة الميتة والنواة اليابسة فيخرج منها ورقاً خضراً ونباتاً ناضراً ، ويخرج الحب اليابس الذاوي من النبات الحى النامي ، وقال بعضهم : يخرج الإنسان الحى من النطفة وهي موات ويخرج النطفة الموات من الانسان الحى والله أعلم بالصواب .

١٠٨ - وقوله تعالى : ﴿ فَالِقُ الْأَصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا ﴾

[الانعام - الآية ٩٦]

(١) ن . بدون (هذا) .

(٢) ن . وقد تسمى غمرة .

(٣) ط . لا فضائل وربما كان الأصل : لا اوصان

وهذه استعارة والمعنى شاق الصبح ومسنخرجه من غسق الليل وقوله سبحانه : ﴿ فَالِقَ الْأَصْبَاحِ ﴾ . ابلغ من قوله شاق الصباح إذ كانت قوة الانفلاق أشد من قوة الانفشاق^(١) ألا تراهم يقولون انشق الضفُر وانفلق الحجر^(٢) . وقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا ﴾ . استعارة أخرى ومعناها على أحد القولين أنه سبحانه جعل الليل بمنزلة الشيء المحبوب الذي تسكن إليه النفوس وتحميه القلوب يقال فلان سكن فلان^(٣) على هذا المعنى والتأويل الآخر يخرج الكلام عن معنى الاستعارة وهو أن يكون المراد انه تعالى جعل الليل مظنة لانتقطاع الأعمال والسكون بعد الحركات .

١٠٩ - وقوله تعالى : ﴿ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾

[الانعام - الآية ١٠٠]

في قراءة من قرأ وخرقوا بالتخفيف وفي قراءة من قرأ خرّقوا بالتشديد^(١) وهذه استعارة والمراد انهم ادّعوا^(٥) له سبحانه بنين وبنيات بغير علم وذلك مأخوذ من الخرق وهي الأرض الواسعة وجمعها خروق لأن الريح تنخرق فيها أي تنسع والخرق من الرجال الكثير العطاء فكأنه^(٦) ينخرق به والخرقة جماعة الجراد مثل الخرقة^(٧) والخرق الريح الشديدة المحبوب وكان^(٨) معنى قوله تعالى : ﴿ وَخَرَقُوا لَهُ ﴾ أي اتسعوا في دعوى البنين والبنات له وهم كاذبون في ذلك ومن قرأ وخرّقوا فإنما أراد تكثير الفعل من هذا الجنس والاختراق والاختلاق^(٩) والاختراع والابتشاك^(١٠) بمعنى واحد وهو الادعاء للشيء على طريق الكذب والزور .

(١) ن . الانفلاق في الموضعين .

(٦) ن . كانه

(٢) ويقولون انفلق الحجر .

(٧) ط . مثل الخرقة .

(٣) ن . سكن الدار .

(٨) ط . وكان .

(٤) ط . الثقبيل .

(٩) ن . لم ترد لفظة الاختلاق .

(٥) ط . ادعوا له .

(١٠) من يشك ابتشك : كذب . والكلام ارجحه واختلفه .

١١٠ - وقوله تعالى ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾

[الانعام - الآية ١١٢]

وهذه استعارة لأن الزخرف في لغة العرب الزينة ومن ذلك قولهم دار مزخرفة أي مزينة فكأنه تعالى قال : يَزِينُونَ لهم القول ليغترون به وينخدعوا بظاهره كما يُستغر بظاهر جميل على باطن مدخول .

١١١ - وقوله تعالى : ﴿وَنَقْلُبُ أَقْفِدَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْ

مَرَّةً﴾

[الانعام - الآية ١١٠]

وهذه استعارة لأن تقلب^(١) القلوب والأبصار على الحقيقة بازالتها^(٢) عن موضعها واقلاقها عن مناصبها لا يصح والنية صحيحة والجملة حية متصرفة وإنما المراد والله أعلم . إننا نرميها بالحيرة^(٣) والمخافة جزاء على الكفر والضلالة فتكون الأفئدة مستوجفة لتعاطم أسباب المخاوف وتكون الأبصار منزعة لتوقع طلوع المكاره وقد قيل ان المراد بذلك تقليبها على مرامض^(٤) الجمر في نار جهنم وذلك يخرج الكلام عن حيز الاستعارة إلى حيز الحقيقة .

١١٢ - وقوله تعالى : ﴿وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾

[الانعام - الآية ١١٣]

وهذه استعارة والمعنى ولتميل إليه أفئدة هؤلاء المذكورين يقال صغى فلان إلى فلان إذا^(٥) مال إليه وصغوه معه أي ميله ومنه أصغى بسمعه إلى

(١) ن . لأن التقلب للقلوب .

(٢) ط . ازلتها .

(٣) ن . بالحية .

(٤) ط . مرامض .

(٥) ط . أي مال .

الكلام إذا أماله إلى جهنم ليقترب من استماعه وميل القلب إلى المعتضدات
كميل السمع إلى المسموعات .

١١٣ - وقوله تعالى : ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾

[الانعام - الآية ١٢٧]

وهي استعارة والمراد لهم محل الأمانة والسلامة والمنجاة من المخافة وتلك
صفة الجنة والسلام ههنا جمع سلامة .

١١٤ - وقوله تعالى : ﴿قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾

[الانعام - الآية ١٣٠]

وهذه استعارة لأنهم لما اغترأوا بالحياة الدنيا حسن أن يقال أنها غرتهم
ولما كان فيها ما تميل إليه شهواتهم جاز أن يقال إنها استمالت شهواتهم .

١١٥ - وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾

[الانعام - الآية ١٥٣]

وهذه^(١) استعارة والسبل التي هي الطرق لا تفرق بينهم وإنما^(٢) هم
الذين يفارقون نهجها ويتبعون علومها

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الانعام - الآية ١٦٤]

وهذه استعارة والمعنى ولا تحمل حاملية حمل أخرى ، يريد تعالى في يوم
قيامة أي لا يخفف أحد عن أحد ثقلًا ولا يشاطر حملاً لأن كل إنسان في
ذلك اليوم مشغول بنفسه ومفدوح^(٣) بثقله وليس ان هناك على الحقيقة إحمالاً
على الظهور^(٤) وإنما هي أثقال الآثام والذنوب ونظير ذلك قوله تعالى :
﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾^(٥) .

(١) ط . وهي

(٢) ن . إنما هم .

(٣) ط . مفروح بحمله .

(٤) ن . على ظهورهم .

(٥) البقرة ، الآية - ٤٨ والآية ١٢٣ .

سورة الأعراف

ومن السورة التي يذكر فيها الأعراف

١١٠ - وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾

[الأعراف - الآية ٩]

وهذه استعارة لأن الخسران في التعارف إنما هو النقص في أثمان المبيعات ، وذلك يخص الأموال لا النفوس ، إلا أنه سبحانه لما جاء بذكر الموازين وثقلها وخفتها جاء بذكر الخسران بعدها ليكون الكلام متفقاً وقصص الحال متطابقاً فكانه تعالى جعل نفوسهم لهم بمنزلة العروض المملوكة إذ كانوا يوصفون^(١) ، بأنهم يملكون نفوسهم كما يوصفون بأنهم يملكون أموالهم وذكر خسرانهم لها لأنهم عرضوها^(٢) للخسارة وأوجبوا لها عذاب النار فصارت في حكم العروض المتلفات وتجاوزوا حدَّ الخسران في الإيمان^(٣) الى حد^(٤) خسران^(٥) الأعيان .

١١٨ - وقوله تعالى حاكياً عن إبليس : ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾

[الأعراف - الآية ١٦]

(١) ن . اذا كانوا يوصفون بأنهم يملكون امواهم وذكروا خسرانهم الخ .

(٢) ن . عرضوا .

(٣) ط . في الأثمان .

(٤) ن . خلت من (حد) .

(٥) ط . الخسران في الأعيان .

وهذه استعارة والصراط ههنا كناية عن الدين الذي^(١) جعله الله سبحانه طريقاً إلى النجاة^(٢) ، والمفاز في داري القرار والمجاز وإنما قال : صراطك لما كان الدين الطريق المؤدية الى رضا الله تعالى ومثوبته^(٣) . والموصلة^(٤) الى نعيمه وجنته فكان^(٥) إبليس لعنه الله إنما توعد^(٦) بالقعود على طريق الدين ليضل عنه كل قاصد ويرد عنه كل وارد بمكره وخدائعه وتلبسه^(٧) ووساوسه تشبيهاً بالقاعد على مدرجة بعض السبل ليخوف السالكين منها ويعدل بالقاصدين عنها والمراد لأقعدن لهم على^(٨) صراطك المستقيم ، فلما حذف الجار انتصب الصراط والحذف ههنا ابلغ في الفصاحة وأعرف في أصول العربية ونظيره قول الشاعر^(٩) :

فيه كما غسل الطريق الثعلب

أي غسل في الطريق وكل ما جاء^(١٠) في القرآن من ذكر^(١١) سبيل الله سبحانه فالمراد به الطريق الى طاعته عاجلاً^(١٢) وإلى جنته آجلاً .

١١٩ - قوله تعالى ﴿ فَذَلَّا هُما يُغْرور ﴾ [الاعراف - الآية ٢٢]

وهذه استعارة والمراد أنه أوقعهما في أهوية^(١٣) غروره لما وكل واقع في مثل ذلك فإنه نازل من علو إلى استفال^(١٤) ومن كرامة إلى إذلال فلذلك قال تعالى : ﴿ فَذَلَّا هُما بغرور ﴾ وقد استقصينا الكلام على ذلك في كتابنا الكبير عند القول فيما اختلف العلماء فيه من ذنوب الأنبياء^(١٥) عليهم السلام .

(١) ط . خلعت من (الذي) . (٩) الشاعر ساعدة بن جؤية وصدر البيت

(٢) ط . للنجاة . (لذن بهز الكف بعسل منته)

(٣) ط . مصوبة . (١٠) ط . لم ترد (جاء)

(٤) ط . الموصلة بلا حرف العطف . (١١) ن . من ذكره

(٥) ن . وكان (١٢) ن . جاعلاً .

(٦) ط . بوعد . (١٣) ط . في أهوية .

(٧) ط . وتلبسه . (١٤) ن . الى سفال .

(٨) ط . بدون (على) . (١٥) ن . العلماء .

١٢٠ - وقوله تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ [الاعراف - الآية ٢٦]

وقد قرئ وريشاً وهما جميعاً استعارة ههنا لأن المراد بهما اللباس وسمى اللباس ريشاً وريشاً تشبيهاً بريش الطائر الذي يستر جلته^(١) ومن كلام العرب أعطيته رجلاً بريشه^(٢) أي بكسوته وقال المفسرون معنى^(٣) لباس التقوى ما كان من الملابس يستر العورة لأن ستر العورة من أسباب التقوى وقرئ ولباس التقوى نصاً بأنزلنا عليكم والرفع فيه على معنى الابتداء ويكون خير خبراً له فيكون المعنى ولباس التقوى المشار اليه خير وهذا أسد القولين في هذا المعنى .

١٢١ - وقوله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾

[الاعراف - الآية ٢٩]

وهذه استعارة لأن الوجه لا يصح عليه القيام والمعنى فوجهوا وجوهكم عند كل مسجد ويجوز أن يكون معنى ذلك فتوجهوا بجملتكم^(٤) نحر كل مسجد لأن وجه الشيء عبارة عن جلته .

١٢٢ - وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ﴾ [الاعراف - الآية ٤٠]

وهذه استعارة والمراد لا يصيرون إلى الجنة ولا يسهل لهم السبيل إليها

(١) ن . يستر بجلته .

(٢) ن . بريشته

(٣) ن . يغنى

(٤) ن . بجملكم

ولا يستحقون بأعمالهم دخولها^(١)، ومثل ذلك قوله سبحانه : ﴿ ففتحتنا أبواب السماء بماء منهمر ﴾^(٢) أي سهلنا خروجه من السماء إلى الأرض ورفعنا الحواجز بينه وبين الخلق .

١٢٣ - وقوله تعالى : ﴿ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾

[الاعراف - الآية ٤١]

وهذه استعارة وقد مضى مثلها^(٣) في آل عمران إلا أن الزيادة هنا قوله سبحانه : ﴿ ومن فوقهم غواش ﴾ . فكأنه تعالى جعل لهم من النار أمهدة مفترشة وأغطية^(٤) مشتملة فيكون استظلالهم بحررها كاستقرارهم على جمرها نعوذ بالله من ذلك .

١٢٤ - وقوله تعالى : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ ﴾

[الاعراف - الآية ٤٣]

هذه استعارة لأنه ليس هناك شيء يتاق نزعه على الحقيقة والمعنى رزقنا^(٥) ما في صدورهم من الغل بإنسانهم إياه وبإحداث^(٦) إبدال له تشغل أماكنه من قلوبهم وتقع^(٧) مواقعه من صدورهم وقال بعض المفسرين : معنى ذلك أن أهل الجنة لا يحسد بعضهم بعضاً على علو المنزلة فيها والبلوغ إلى مشارف رتبها^(٨) والحسد غل^(٩) .

١٢٥ - وقوله تعالى : ﴿ وَنُودُوا أَنْ تُلَكُمُ الْجَنَّةُ أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

[الاعراف - الآية ٤٣]

(١) ط . الدخول إليها

(٦) ن . بإحداث .

(٢) القمر - الآية ١١ .

(٧) ط . تشفع .

(٣) ط . بدون مثلها .

(٨) ن . رتبها .

(٤) ط . أغشية

(٩) ط : الحسد والغل .

(٥) ط . أنزلنا .

وهذه استعارة خفية واستعارة جلية وذلك أن حقيقة الميراث في الشرع هو ما انتقل إلى الإنسان عن^(١) ملك الغير بعد موته على وجه^(٢) الاستحقاق فأما صفة الله سبحانه بأنه الوارث لخلقه كقوله تعالى : ﴿ وكنا نحن الوارثين ﴾ . وكقوله : ﴿ والله ميراث السموات والأرض ﴾ فهو مجاز والمراد به^(٣) : أنه الباقي بعد فناء خلقه وتقوُّص سماءه وأرضه وقد استعمل ذلك أيضاً في نزول قوم ديار قوم بعدهم وأخذ قوم أموال قوم بعد حربهم^(٤) واجلالهم فقال سبحانه : ﴿ وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها ﴾ . وقال تعالى في موضع آخر : ﴿ وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطؤوها ﴾ وليس يصح في إيراد الجنة مثل هذه المعاني التي ذكرناها لأن الجنة لا يسكنها قوم بعد سكني^(٥) قوم قد فارقوها وانتقلوا عنها فقوله سبحانه : ﴿ إن تلکم الجنة أورثتموها ﴾ . على الأصل الذي قدمناه استعاره ويكون المعنى الذي سوغ^(٦) هذه الاستعارة أن هلاء المؤمنين لما عملوا في دار^(٧) الدنيا أعمالاً استحقوا عليها الجزاء والثواب ولم يصح أن يوفّر عليهم ذلك^(٨) إلا في الجنة وهي^(٩) من الدار الآخرة فكانهم^(١٠) استحقوا دخولها فحسن من هذا الوجه أن يوصفوا بأنهم أورثوها

(١) ط . من ملك الغير .

(٢) ط . جهة .

(٣) ط . خلعت من (به) .

(٤) ن . بعد حرب .

(٥) ط . بدون (سكني) .

(٦) ط . بسوغ .

(٧) ط . الدار .

(٨) ن . في ذلك .

(٩) ن . وهم .

(١٠) ن . وكانهم .

وأن^(١) ولم يكن سكناهم لها بعد سكنى قوم آخرون انتقلوا عنها وسوغ^(٢) ذلك أيضاً اختلاف حال^(٣) الدارين وانتقالهم من الأولى إلى الأخرى وكان^(٤) ما عملوه^(٥) في الدار الأولى كإنسيباً لما وصلوا إليه في الدار الأخرى كما يستحق الميراث بالنسب^(٦) .

١٢٦ - وقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ [الأعراف - الآية ٤٥]

وهذه استعارة لأن^(٧) سبيل الله سبحانه دينه ومعنى يبغونها عوجاً أي يبغون عنها المعادل^(٨) ويطلبون منها الفسح والمخارج ويوهمون بالشبهات أنها معوجة غير قوية ومضطربة غير مستقيمة

١٢٧ - وقوله تعالى : ﴿ قَدْ خَيْرُ مَا أَنْفُسُهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأعراف - الآية ٥٣]

وقد مضى نظير ذلك في أول السورة .

١٢٨ - وقوله تعالى : ﴿ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا ﴾^(٩) .

[الأعراف - الآية ٥٤]

وهذه استعارة والمراد انه تعالى جعل الليل كالغشاء المسبل على ضوء النهار وهذه قراءة من قرأ يُغْشِي بالتشديد ، فأما من قرأ يُغْشِي بالتخفيف فتحتمل معنى آخر ، وهو أن يكون المراد انه سبحانه يهجم^(١٠) بالليل على النهار وأرهقه إياه وتقحمه عليه ، كما يقول القائل : قد غشيت الفارس إذا لحقه

(١) ن . فإن لم .

(٢) ط . بالسب .

(٣) وسوغ . حوز

(٤) ط . بان .

(٥) ن . لم ترد لفظة حال .

(٦) ط . المتحاول .

(٧) ط . فكان .

(٨) لم يرد أي تعليق على هذه الآية .

(٩) ن . (ما عملوا) بغير عائد .

(١٠) خلت (ط) مما يختص بالآية الكريمة من كلام الشريف واسمير النقص فيها عن (ن)

بما استغرق ١٨ صفحة من (ن) .

(١١) نرجح أن تكون عبارة الأصل : هجم بالليل . وافحمه عليه .

وهو طالب له وما يقوي ذلك قوله تعالى : ﴿ يطلبه حيناً ﴾ وهذه استعارة أخرى كأن يغشى النهار أي أدرك عن طلب له واتباع لأمره ولم يقل تعالى يغشى النهار الليل في قراءة من قرأ بالتشديد ، لأن هذه الصفة لا تتأتى في النهار مع الليل ، كما تتأتى لليل مع النهار ، لأن لا يشبه بالغشاء لليل كما يصح هذا التشبيه في الليل مع النهار ومثل ذلك في قراءة من قرأ بالتخفيف أيضاً ، بأن صفة الليل ما به يغشى النهار بمعنى مرهقه ^(١) . وهجم عليه أوقع من صفة النهار بذلك مع الليل ، لأن الليل في المشهور من كلامهم يوصف بالهجوم على النهار لحوار مناظره وجهامة مطالعه وكثرة المخاوف المتصلة به . ألا ترى الى قول شاعرهم : ^(٢)

فإنك كالليل الذي هو مدركي

ولولا أن وصف الليل بذلك أولى لما كان بين قوله . فإنك كالليل الذي هو مدركي . وبين قوله كالنهار ^(٣) الذي هو مدركي فرق إن كان يريد الاتيان عليه فقط دون الصفة الزائدة التي أومأنا إليه ^(٤) ، وأشرنا نحوها فبان وجه ما ذكرنا بحمد الله .

١٢٩ - وقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ خَتَّى إِذَا أَقْلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سَقَنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ ﴾ [الاعراف - الآية ٥٧]

وقرىء مَيِّت بالتشديد وقرىء نشراً وبشراً بالباء وههنا استعارتان إحداهما وقد مضى مثلها فيما تقدم وهي قوله سبحانه ﴿ بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾ وقد ذكرنا ان معنى ذلك تقدم الشيء أمام الشيء والرحمة ههنا كناية عن المطر

(١) كذا في النسخة ولعل الأصل رهقه .

(٢) الشاعر هو النابغة الذبياني وعجز البيت (وإن خلت أن المتأى عنك واسع)

(٣) في النسخة كالليل وهو سهر من الناسخ .

(٤) كذا في النسخة ولعل الأصل البها .

فكانه تعالى جعل الرياح متقدمة أمام الأمطار لتؤذن بها ونشر بورودها وهي أيضاً أحد أسباب تلفق متقطعها واجتماع متفرقها إذا كانت رياحاً مخصوصة والاستعارة الأخرى قوله تعالى : ﴿لَبَدَدٌ مِيتٌ﴾ . ولتسميته وجهان أحدهما أنه بمنزلة الميت الذي لا رطوبة فيه لبعده عهده بالأبد^(١) وانقطاعه عن الماء والوجه الآخران ، ما فيه من الشجر والنبات لما أماته تأخر الأمطار عنه ، جاز أن يوصف البلد بأنه ميت لموت ما كان فيه من نباته ، كما يقال : ليل نائم ونهار صائم أي ينام الناس في هذا ويصومون في هذا وعلى هذه الطريقة يحمل كل ما ورد في القرآن من ذكر الأحياء للأرض بعد موتها ومعنى أحيائها أن تعود إليها الرطوبة بعد يبسها أو يستأنف أعشابها أشجارها بعد ذبولها وجفوفها .

١٣٠ - وقوله تعالى : ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَجَسًا﴾ [الأعراف - الآية ٥٨] .

ووصف البلد بالطيب والخبث استعارة والمراد به غناء الزرع وزكاؤه ونقصه وفساده وذلك إنما يكون باختلاف تربة وتفاضل منابته من كون التربة سبخة ملحة أو كوتها زاكية عذبة .

١٣١ - وقوله تعالى : ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [الأعراف - الآية ٧٨]

وهذه استعارة والمراد بها إهلاكهم بالرجفة كما يقال : أخذه الله من مأمنه بمعنى عاقبه الله وأهلكه وذلك أن المعاقب في الشاهد يكون مأخوذاً مدفوعاً ومزلزلاً متعناً .

(١) ربما كان محلها في الأصل البلل .

ربما كانت الأبلّ والإبلّ : الرطب أو اليبس أو الإبلّ : وهو السحاب حمل ماء المطر .

١٣٢ - وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ بَدَلْنَا مَكَانَ السَّبِيلِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا ﴾
[الاعراف - الآية ٩٥]

وهذه استعارة لأن عفواً هنا بمعنى كثروا وكثرت أموالهم ، وذلك مأخوذ من عفا الشعر إذا ترك حتى يكثر فشبه تعالى تكاثرهم بتكاثر الشعر وهو أبلغ ما يشبه به العدد الكثير لتكاثر نباته وشدة التفافه .

١٣٣ - وقوله تعالى : ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾
[الاعراف - الآية ٩٩]

وهذه استعارة لأن حقيقة المكر عندهم اظهر خلاف الأضمار على طريق الغيلة والاحتيال وهذا لا يجوز على الله سبحانه فإذا المراد به ارسال العقوبة على المستحق من حيث لا يشعر أو من حيث يأمن ولا يحذر .

١٣٤ - وقوله تعالى : ﴿ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾

[الاعراف - الآية ١٠٠]

وهذه استعارة وهي كقوله سبحانه : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ وقد مضى الكلام على ذلك في البقرة إلا أن في الطبع زيادة معنى فكأنه أشد تأثيراً من الختم لقولهم طبع الضارب الدرهم إذا أثر فيه النقش مع صلابته ويقول القائل ختمت الطين أو الشمع إذا أثر فيه ذلك مع رخاوته وبين الموضعين فرق لطيف .

١٣٥ - وقوله تعالى : ﴿ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴾

[الاعراف - الآية ١٠٨]

وهذه استعارة لأن حقيقة النزع هي ازالة الشيء عن مكانه المتمكن فيه فالمراد انه لما اخرج يده من جيبه مسرعاً بإخراجها كأنه كان نازعاً لها من موضع استقرارها وقد يجوز أن يكون مأخوذاً من قولهم نزع فلان عن وطنه إذا بعد عنه ونزع بالسهم إذا أبعد مرماء فكأنه اخرج يده مبالغاً في بسطها واطهارها لتمكن العيون من رؤيتها فبعدت المسافة بينها وبين اختها .

١٣٦ - وقوله تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ ﴾
[الاعراف - الآية ١٣١]

وهذه استعارة والأصل فيها ان مذهب العرب أن يغتاب^(١) الطير
ومرجيها تشاءم بالبارح وتترك بالسانح والبارح الذي يجيء من جهة الشمال
والسانح الذي يجيء من جهة اليمين ، فيكون معنى ﴿ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ ﴾
أي ما يحذرونه من الضر ويرجونه من النفع إنما يأتي من قبل الله تعالى ،
فليستزّل النفع بطاعته وليستصرف الضر بترك معصيته .

١٣٧ - وقوله تعالى : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا
صَبَرُوا ﴾
[الاعراف - الآية ١٣٧]

وهذه استعارة لأنه لا نقص هناك يحتاج الى التمام ، وإنما المراد انجاز
الوعد المتقدم لبني اسرائيل باهلاك عدوهم واعلاء أمرهم ، وإنما سمي
الاعجاز تماماً لأن به تمام النعمة وكمال المتوقع .

١٣٨ - وقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾
[الاعراف - الآية ١٤٣]

وهذه استعارة على أحد وجهي التأويل : وهو أن يكون المعنى فلما حقق
تعالى بمعرفته لحاضري الجبل بالآيات التي أحدثها في الجبل زالت عنهم في
العلم بحقيقته عوارض الشبه وخوالج الريب وكأن معرفته سبحانه تجلت لهم
من غطاء أو برزت لهم من حجاب . وأما التأويل الآخر وهو أن يقدر في

(١) وردت هكذا . ولعل الأصل تناف الطير ومجيئها .

الكلام مخدوف هو سلطانة أو امره سبحانه ويكون تقدير الكلام فلما تجلّ أمر ربه أو سلطان ربه للجبل ويكون ذلك قوله ﴿ جاء ربك ﴾ أي جاء ملائكة ربك أو أمر ربك أو عقاب ربك وهذه استعارة من وجه آخر وهو من حيث وصف الأمر أو السلطان بالتجلي وإنما المتجلي حاملهما والوارد بهما .

١٣٩ - وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾ [الاعراف - الآية ١٤٦]

وهذه استعارة والمراد بها النفور عن اتباع الرشد واتباع^(١) الغي وليس هناك على الحقيقة طريق يقصد ولا فح يسلك .

١٤٠ - وقوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا ﴾ [الاعراف - الآية ١٤٩]

وهذه استعارة ولا شيء على الحقيقة هناك سقط في أيديهم ، ويقال أسقط في يديه وسقط في يديه بمعنى واحد وذلك عندما يصيب الانسان من الإبلال لطروق البلاء وغلبة الأعداء ، وربما قيل ذلك للنادم على فعل الشيء إذا وجد غب مضرتة ووخيمت عاقبته والمعنى أن الأمر المخوف حصل في أيديهم من مجني ثمرة معاصيهم فوجدوه وجدان من هو في يده إذ كانت أيديهم في مكروهة .

١٤١ - وقوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ ﴾

[الاعراف - الآية ١٥٤]

وهذه من جليات الاستعارة لأن الغضب لا يوصف بالسكوت وإنما المعنى لما فتر عن موسى الغضب وخبت جمرته وكسرت شوكرته وإنما قيل سكت لأن الغضب ان أبدأ يكثر خصامه ويعلو كلامه وإذا سكن غضبه زال^(٢) عنه

(١) كذا في النسخة ولعل الأصل - باتباع الغي -

(٢) كذا في النسخة والصحيح الحاق ناء التانيث الساكنة بالفعل .

تلك الصفة فحسن أن يقال سكت عنه الغضب لأن سكوت غضبه كان السبب في انقطاع ضجاجه وشغبه فلما كان الغضب سبب كلام موسى لأارون عليها السلام وعتابه له ومراجعة القول بينه وبينه وبأن له من عذر أخيه ما سكن به غضبه وانقطع منه عتبه جاز أن يوصف الغضب بالسكوت عنه وإن كان هو الساكت لا الغضب على الحقيقة .

١٤٢ - وقوله تعالى : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾

[الاعراف - الآية ١٥٦]

وهذه استعارة وقد بينا في ما تقدم أن السعة لا توصف بها إلا الأجسام والرحمة عرض من الأعراض والمراد أن رحمتي لا تضيق عمن استرحمني بأنابة بعد معصية وتوبة بعد خطيئة وإنما قال سبحانه ذلك لئلا يقتط الجارم أو يئأس المذنب فيحجم عن التوبة ويذهل عن الاستقالة .

١٤١ - وقوله تعالى : ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾

[الاعراف - الآية ١٥٧]

وهذه استعارة وهذه استعارة والمراد بها وضع التكاليف الشاقة عنهم لتحريم التصرف في السبوت والأكل من اللحم المتصل بالعروق وما يجري هذا المجرى مما وردت شريعة نبينا صلى الله عليه وآله بطرح كله وتخفيف ثقله لأن ذلك مشبه بالأثقال الباهظة والأغلال اللازمة .

١٤٤ - وقوله تعالى : ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا ﴾

[الاعراف - الآية ١٧٥]

وهذه استعارة والمراد بها نزع ما ألبسناه من فخرها وطوقناه من ذكرها وكان كالمسلخ من ثيابه والمتعري من جلبابه لأن تلك الآيات لما كانت بمنزلة الكرامات المفاضلة عليه فأغفل شكرها ولم يعرف قدرها حتى ابتز ملابسها وحرّم نفائسها جاز لهذه العلة أن يقال انسلك منها .

١٤٥ - وقوله تعالى : ﴿ سَنَسْأَلُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

[الاعراف - الآية ١٨٢]

وهذه استعارة مركبة لأن الاستدراج استفعال من الدرج وهو الطي وطيمهم لا يتأق على الحقيقة فأق الكلام مستعاراً والمراد به أننا ندفع بهم منزلة بعد منزلة بالاجلاء لهم والاستبناء هم حتى ينتهي بهم إلى حال العقوبة وذلك مأخوذة من الدرج الذي يطوي فيكون الفأفا كثيرة شيئاً بعد شيء حتى ينهي إلى آخره وقيل إن ذلك مأخوذ من الدرجة فكانهم ينحطون درجة بعد درجة حتى ينتهوا إلى أحوال الهلاك ومنازل العقاب .

١٤٦ - وقوله تعالى : ﴿ وَأَمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيِّدِي مَبِينٌ ﴾

[الاعراف - الآية ١٨٣]

وهذه استعارة والمراد بالمتين ههنا القوي الشديد الذي لا يدفع وارده ولا تحمل معاقده وذلك مأخوذ من المتن وهو ما غلظ من اللحم المكتنف جانبي الصلب وهما متنان ومتنان .

١٤٧ - وقوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقَّتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْثَةً ﴾

[الاعراف - الآية ١٨٧]

وفي هذه الآية استعارات ثلاث : إحداها قوله سبحانه : ﴿ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴾ والمرسى إنما يكون للأجسام الثقيلة ولكن الساعة لما كانت ثقيلة الحلول ومكروهة النزول على العصاة والمذنبين جاز أن توصف بما يوصف به قال الأجسام والدليل على ذلك قوله سبحانه في هذه آية : ﴿ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ . وهذه الاستعارة التي أومأنا إليها لأن وصفها بالثقل مجاز على الوجه الذي ذكرناه والاستعارة الثالثة قوله تعالى : ﴿ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقَّتِهَا لَا هُوَ ﴾ . والتجلي لا يصح إلا على الأجسام وإنما المراد لا يظهر آياتها ولا كشف مغيباتها غيره سبحانه .

١٤٨ - وقوله تعالى : ﴿ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغِيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾ [الاعراف - الآية ٢٠٢]

وهذه استعارة والمراد يمدونهم ههنا يطولون لهم أسباب الإغواء فيمضون على غيهم ويستمرون على ضلالهم فكأنهم يمنونهم البقاء فيصرون على المعصية ويماطلون بالتوبة وقد يجوز أن يكون معنى ذلك يستبعونهم في الغي كأنهم يجذبونهم اليه ليتبعوهم فيه كما يقال القرينة بشطنها^(١) والمجن برسها .

١٤٩ - وقوله تعالى : ﴿ هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ [الاعراف - الآية ٢٠٣]

وهذه استعارة لأن المراد بها القرآن وواحد البصائر بصيرة وهو ما يبص به الانسان رشده من غيه ويعرف به باطله من حقه تشبيهاً بالعين البصيرة التي يرى بها الانسان مواطىء قدمه ومناهج طرقه وإنما قال تعالى بصائر والمراد القرآن وهو واحد كما^(٢) يشتمل عليه من الآيات البينات والدلائل الواضحات .

(١) من شطن : شطنه : خالفه عن نيته ووجهه . شطن الرجل أي بغد . عن الحق ومنها شبة .

أي فعل فعل الشيطان .

(٢) لعل الأصل لما يشتمل عليه .

سورة الأنفال

ومن السورة التي تذكر فيها الأنفال

١٥٠ - وقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَبْعُدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾ .
[الأنفال - الآية ٧]

وهذه استعارة عجيبة لأن ذات الشوكة ههنا إحدى الطائفتين التي فيها سلاح الأبطال والة النزال ، وذلك ان النبي (ص) خرج بالمسلمين يطلب غير قريش المقبلة من الشام مع أبي سفيان بن حرب وفيها أموالها وذخائرها وعرفت قريش خروجه عليه السلام لذلك فخرجت لتمنع غيرها وتقاتل دونها فلما عرف المسلمون خبر خروج قريش للقتال كانوا يتمنون أن يخالفوهم إلى غير فيغنموها ويكون ظفرهم بالطائفة التي فيها الغنم لا الطائفة التي فيها الجدد والحد فجمع الله بينهم وبين قريش على بدر ، وكانت الحرب المشهورة التي قتل فيها صناديد المشركين واشتدت أعضاد المؤمنين والكناية بذات الشوكة عن ذات السلاح والعدة من أشرف البلاغة وأوقع الاستعارة تنبيهاً بالشوكة^(١) تحز^(٢) والمديّة التي تحز .

١٥١ - وقوله تعالى : ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ﴾
[الأنفال - الآية ٢٤]

وهذه استعارة على بعض التأويلات المذكورة في هذه الآية ، والمعنى ان

(١) سياق الكلام يقتضي أن يكون : بالشوكة التي تحز ولعل لفظة ، التي ، سها عنها الناسخ

(٢) مَنْ حَزَّ : خزه بالرمح أي طعنه .

الله تعالى أقرب الى العبد من قلبه فكأنه حائل بينه وبينه من هذا الوجه ، أو يكون المعنى أنه تعالى قادر على تبديل قلب المرء من حال الى حال إذا كان سبحانه موصوفاً بأنه مقلب القلوب والمعنى انه ينقلها من حال الأمن الى حال الخوف ومن حال الخوف الى حال الأمن ، ومن حال المساء الى حال السورور ومن حال المحبوب الى حال المكروه .

١٥٢ - وقوله تعالى : ﴿ وَيَجْعَلُ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ ﴾

[الأنفال - الآية ٣٧]

وهذه استعارة والمراد بها العمل الخبيث وهو ما يستحق العقاب ولا يصح فيه ان يركم بعضه على بعض ، وإنما يصح ذلك في الأجسام والأجرام فالمراد اذا وصفت العمل الخبيث بالكثرة كثرة فاعله ومن صفات الكثرة تراكم الشيء بعضه على بعض كالرمل الهيام والسحاب الركام ، ومعنى جعله في جهنم العقاب ينزل عليه بنار جهنم ، وقد قيل في ذلك وجه آخر يخرج الكلام من باب الاستعارة وهو أن يكون المراد بالخبيث هنا المال الذي أخذ من غير حل وأنفق في غير حقه فإن الله سبحانه يجعله في نار جهنم مع أخذ من الوجوه المحرمة ومنفقيه في الوجوه المذمومة على طريق العقوبة له والتجديد لخسراتهم كلما كثر اليه نظرهم ، كما قال سبحانه في صفة الأموا المكنوزة المنوعة من اخراج الزكاة : ﴿ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ (١) .

١٥١ - وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنَارَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾

[الأنفال - الآية ٤٦]

وهذه استعارة لأنه لا ربح هناك على الحقيقة وإنما ذلك على مخرج قور العرب ، قد هبت ربح فلان إذا تجددت له دولة أو ظهرت له نعمة ويقولون

(١) التوبة - الآية ٣٥ .

الريح مع فلاان أنى الإفسال معه والاقذار نساعده وأصل ذلك أن الريح في الحرب إذا كان عتراءها مع إحدى الطائفتين كان عوناً لها على أعدائها في تفريق جموعهم وتقويض صفوفهم وإثارة القتام^(١) والغبرة في عيونهم ووجوههم وهذه الأحوال كلها أعوان عليها مع عدوهم فمما جاء في هذا المعنى قول ضرار بن الخطاب الفهري : « قد أيقنوا يوم لا قونا بأن لنا ريع القتال وأصلاب الذين لقوا » أراد لنا دولة القتال وقوة الاستظهار . ومما جاء في هذا المعنى :

أتنتظران قليلاً ريث غفلتهم أم تعدوان فإن الريح للعادي

وهذا قول بعض حراب^(٢) العرب يخاطب صاحبه^(٣) كأنه قد تنتظران^(٤) غفلة الحي مراقبة أم تقدمان على استلاب إبلهم^(٥) مزاية فإن الدولة للمقدم والغنيمة للمصمم والعدو في الأصل هو السلوك بالظلم والبغي يقال : عدو وعدوان وعلى ذلك قوله تعالى : ﴿ فأتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدواً ﴾ وقال بعضهم قول الشاعر : « ههنا تعدوان » إنما أراد به عدو الأقدام فكأنه قال أن تنجوا سالمين ولا تتعرضا لشوكة الحي شاصرين فإن الإقبال للناجي بحشاشته والرايح بسلامته إذ كانت السلامة هي الغنيمة التي حازها والطريدة التي استقاها والقول الأول هو المعتمد وهو بغرض الشاعر أليق ألا ترى إلى البيت الأول كيف حقّر فيه شأن علوف^(٦) الحي إطماعاً لصاحبيه فيهم واعتداداً^(٧) كنا أما عليهم وذلك حيث يقول :

(١) القتام : الغبار الأسود ، غبار الحرب .

(٢) كذا في النسخة ولعل الأصل خراب جمع خارب وهم سراق الإبل .

(٣) ربما كانت العبارة في الأصل صاحبه لأن السياق يقتضي ذلك .

(٤) لعل الأصل (كأنه قال) .

(٥) كذا في النسخة ولعلها مذبذبة أخذاً من فعل الذنب . ورد في اللسان (مادة زلب) : زلب الصبي بامه

لزمها ولم يفارقها عن الجرشى واللبث : أزدلب في معنى استلب . قال : وهي لغة رديئة .

(٦) كذا في النسخة وقد تكون في الأصل خلوف .

(٧) كذا جاء في النص .

يا صاحبي الا لا حي بالوادي إلا عيذاً^(١) وإماء بين أوتادي

١٥٤ - وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ جُنَحُوا لِلْسَّلَامِ فَأَجْنَحْ لَهُا ﴾

[الأنفال - الآية ٦١]

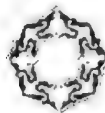
وهذه استعارة والمراد بها : فإن مالوا إلى السلم ميل ثبات عليه وركوبه اليه لا ميل مكر ومخادعة وإدهان ومواربة ، فسألهم على هذا الوجه الذي طلبوا السلم عليه ، وأنت تعالى السلم لأنه بمعنى المسالمة والمخادعة وما يجري مجرى ذلك .

١٥٥ - وقوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي

[الأنفال - الآية ٦٧]

الْأَرْضِ ﴾

وهذه استعارة والمراد بها تغليظ الحال وكثرة القتل وذلك مأخوذ من قول القائل قد اثخنني هذا الأمر أي بلغ أقصى المبالغ في الثقل عليّ والإيلام لقلبي .



(١) البيتان الأعشى ضرود كما في ديوان الأعشين وقد جاء عجز ثانيهما الذي هو الأول « سوى عبيد وأم بين أذواد » والام : جمع أمة .

سورة التوبة

ومن السورة التي تذكر فيها التوبة

١٥٦ - وقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا أَنْسَلَخُ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ﴾
[التوبة - الآية ٥]

وهذه استعارة لأن حقيقة السلخ هي اخراج الشيء مما لابسه وخالطه
ألا ترى أنك تقول سلخت الشاة إذا جردتها من جلدها ، ولا تقول سلخت
القميص إذا نزعته عنك لما لم يكن بينه وبين جسدك عازجة ولا غالطة فيجوز
أن يكون بمعنى (١) انسلخ الأشهر الحرم ههنا تجردها من بقية الشهور
بانقضائها مجرداً (٢) مشهوراً على خلاف بعض بقية الشهور لتتابعه (٣) الأشهر
الحرم في مبادئها وخواتمها واشتهارها في هوائها وروادفها فيكون انقضاؤها
مشهوراً كما كان ابتداءها مشهوراً فلفضل شهرتها على بقية الأشهر وصفت
صفة مخالفة لها وزائدة عليها فقبل انسلخت ولم يقل انقضت .

١٥٧ - وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ ﴾
[التوبة - الآية ١٢]

وهاتان استعارتان لأن النكث نقض الجبل المقول في الأصل وهي
النكيسة وجعلها نكاث ولكن الايمان لما كانت بمنزلة العقود المؤكدة والجبال

(١) الظاهر أن حرف الجر زائد .

(٢) لعل الأصل تجرداً .

(٣) كذا في النسخة ولعل الأصل (لتتابع) .

المحصدة لقوله سبحانه : ﴿ يُوَاحِدْكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمْ عَلَيْهِ الْإِيمَانُ ﴾^(١) . حسن أن يسمى الفسخ^(٢) لها والرجوع عنها نكثاً ونقضاً والاستعارة الأخرى قوله سبحانه : ﴿ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ ﴾ وأصل الطعن وخز الشيء بالرمح أو ما يجري مجراه من الآلات الحديدية لنقض بنيته وأفساد جملته ليكون^(٣) بمعنى طعنهم في الدين والله أعلم ينقسم إلى قسمين أحدهما يراد به حرهم المؤمنين لينقضوا دينهم ويميتوا شريعتهم والوجه الثاني أن يكون المراد به بسط الستهم في ذم الدين ورميه بالوصوب^(٤) والعيوب وذلك يسمى طعناً على الانتساع والمجاز .

١٥٨ - وقوله تعالى : ﴿ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ﴾

[التوبة - الآية ١٦]

وهذه استعارة لأن الوليجة والدخيلة والبطانة بمعنى واحد وهي عبارة عن يتخذها الانسان موضعاً يسره^(٥) ومستروحاً لنفته ومستشاراً لأمره وأصله الدخيل في القوم من كانه ولج فيهم والتصق بهم وذلك كقوله تعالى في آل عمران : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا ﴾^(٦) أي لا تتخذوا من الكفار قوماً تستبطنونهم دون أمثالكم من المؤمنين وتستعينون بهم على أموركم فإن المؤمنين بعضهم أحق ببعض في هذا المعنى .

١٥٩ - وقوله تعالى : ﴿ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾

[التوبة - الآية ٢٩]

(١) سورة المائدة الآية ٨٩ .

(٢) في النسخة (القبيح) وهو سهو من الناسخ .

(٣) لعل الأصل (فيكون معنى) .

(٤) من وصب : بمعنى المرض والخلل .

(٥) لعل الأصل (موضعاً لسره) .

(٦) آل عمران الآية ١١٨ .

وهذه استعارة لأن المراد فيها حتى يعطوا الجزية عن خشوع وحرارة
وذل واستكانة ، كما نقول أعطى فلان بيده إذا سلم واستسلم وقيل في ذلك
أيضاً حتى يعطوها عن يد منكم أي عن نعمة منكم عليهم في حق^(١) دمائهم
وقبول الجزية فأمّا حل ذلك على ما رواه بعضهم من أن المراد به تسليم الذمي
الجزية بيده إلى قابضها منه فيخرج الكلام عن حد الاستعارة .

١٦٠ - وقوله تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاجِهِمْ وَيَأْتِيَنَّ اللَّهُ إِلَّا أَنْ
يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [التوبة - الآية ٣٢]

وهذه استعارة والمراد بها تشبيه القرآن الذي هو كلام بالنور الذي
يستضاء به ويعشى إلى لمعة وقد قيل ان المراد بنور الله ههنا الإسلام ، لأنه
أضاء ظلمة الكفر المسددة وجلي غواشي الغي المغدفة ، وتشبيهه سبحانه
المجلب على الإسلام والمطاعن^(٢) في القرآن بمطفىء النور من لطائف
الاستعارات وشرائف البلاغة وفي قوله تعالى : ﴿ بِأَفْوَاجِهِمْ ﴾ سر عجيب
ومعنى لطيف وهو أنه تعالى أخبر عن مقدار ضعف مكرمهم ووهون كيدهم
وإن ما يبغونه للإسلام من الغوائل^(٣) لا يزيد على فعل من يروم إطفاء النور
الساطع والشهاب اللامع بتفخ فيه وليس له قدرة على أن يستعمل في إطفاء
ذلك النور ما جرت العادة^(٤) استعماله في إطفاء النار المتوقدة من إحداها بقوة
يد أو اعتماد قدم أو الاستعانة بما هو أبلغ في إطفائها من تفخ الأفواه عليها
مثل دفع المياه وهدم الجدران وما جرى مجرى ذلك فأعلمنا سبحانه أن هذا
المقدار الأضعف من كيدهم الاسلام لا ينتقض بنيانه ولا يحمّد نيرانه .

١٦١ - وقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ
الْعُلْيَا ﴾ [التوبة - الآية ٤٠]

(١) ويجوز أن يكون الأصل (في حقن دمائهم) .

(٢) لعل الأصل (والطاعن)

(٣) من الغائلة : جمع غوائل : الداهية . المهلكة . الشر والفساد .

(٤) لعل الأصل (باستعماله) .

وهذه استعارة لأن الكلمة ههنا كناية عن نحلة المشركين ونحلة المؤمنين وإنما سميت النحلة كلمة لأن المعنف لها لا بد أن يظهر قولاً يستدل به على اعتقادها يكون الشعار لها والعلامة ومعنى علو كلمة الله سبحانه على كلمة الكفار ظهور دينه على دينهم واستعلاء رسوله (ص) على جماعتهم وهذا كما يقول القائل في الخصمين يتناظران قد علا فلان على فلان وإن كان صوته خفيضاً وصوت خصمه رفيعاً وإنما المراد علو الحجة ووضوح الدلالة وظهور المقالة وارفع^(١) كلمة الله سبحانه ههنا وقطعها على^(٢) عامل الجعل وفي^(٣) قوله سبحانه: ﴿وجعل كلمة الذين كفروا السفلى﴾ سر لطيف وهو أن كلمته تعالى التي هي بمعنى دينه لم تزل عالية على من ناوأها وقاهرة لمن عاداها ولم يضررك^(٤) آخرأ بعد ان كانت على غير هذه الصفة أولاً فلذلك حسن الاستئناف في قوله تعالى: ﴿وكلمة الله هي العليا﴾ .

١٦٢ - وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أَذُنٌ قُلْ أَذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ﴾

[التوبة - الآية ٦١]

وهذه استعارة لأن النبي عليه السلام ليس بأذن على الحقيقة وإنما المراد بذلك معنيان أحدهما: أن يكون على معنى قول القائل: إذا وصف غيره بكثرة الصلاة والصيام والأكل والنوم ما فلان إلا صلاة وصوم أو كل ونوم فيكون معنى ذلك وصفه عليه الكثرة بكثرة الأصغاء إلى الأقوال والأذن إلى الكلام والمعنى الآخر أن يكون قولهم هو اذن أي بمعنى الأذن السليمة الحاسة لا يخفى عليه شيء من القول المسموع فكأنهم وصفوه عليه السلام بأن قول كل قائل يتصل إلى سمعه ويقر في قلبه وأخرجوا ذلك مخرج الذم له (ص) فحاشى له من عيب العائب وطعن الثالب والقولان يرجعان إلى معنى واحد .

(١) الظاهر أن الأصل (ولرفع)

(٢) الأنسب أن تكون (وقطعها من عامل الجمل) ولعل الأصل كذلك .

(٣) الظاهر أن حرف العطف من زيادات النسخ .

(٤) الظاهر أن العبارة هكذا (ولم تصر كذلك) .

١٦٣ - وقوله تعالى : ﴿ اَلَمْ يَعْلَمُوا اَنَّهُ مِنْ يُحَادِدِ اللّٰهِ وَرَسُولُهُ فَاِنْ لَهُ نَارُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيْهَا ﴾
[التوبة - الآية ٦٣]

وهذه استعارة لأن المحادة على الحقيقة^(١) هي التقارب^(٢) بالحدود مثل المسامحة وهي المماثلة ، في السمات الذي هو الجهة وذلك من صفات الأجسام ذوات الحدود والأقطار فالمراد إذا بالمحادة ههنا كون الانسان في غير الحد الذي فيه أولياء الله سبحانه فكأنه^(٣) في حد وأولياء الله في حد وكذلك الكلام في مشاققة الله تعالى على احد التأويلين وهو أن يكون الانسان في شق اعداء الله وحزبهم لا في شق أولياء الله وحزبه وحقيقة الكلام أن يكون المراد به محادة أولياء الله على الصفة التي ذكرناها فقال تعالى : ﴿ يحادده الله ﴾ كما قال في موضع آخر^(٤) : ﴿ اِنْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ ﴾^(٥) أي يؤذون رسوله لأن الأذى لا يجوز على من لا تلحقه المنافع والمضار والمساء والمساو .

١٦٤ - وقوله تعالى : ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ اَنْ تُنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِيْ قُلُوْبِهِمْ ﴾
[التوبة - الآية ٦٤]

وهذه استعارة لأن السورة نطقها من جهة البرهان لا من جهة اللسان فكأنه تعالى أراد أن الناس يعلمون بهذه السورة النازلة في المنافقين كوامن^(٦) نفوسهم وعقائد قلوبهم ويعرفون بهم حق معرفتهم بما أعطاه الله تعالى من أوصافهم وذم من أخلاقهم .

(١) هنا انتهت الزيادة الموجودة في نسخة النجف .

(٢) ط . هي التقارب .

(٣) ط . فكأنهم .

(٤) لا توجد في ط . عبارة (في موضع آخر) .

(٥) الأحزاب ، الآية - ٥٧ .

(٦) ط . بواطن نفوسهم .

١٦٥ - وقوله تعالى : ﴿ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [التوبة - الآية ٨٧]

وهذه استعارة عجيبة التركيب لأن الخوالف ههنا النساء المقيمات في دار الخي بعد رحيل الرجال وإنما سُمي النساء الخوالف تشبيهاً بهن باخوالف التي واحدها ^(١) خالفة وهي الأعمدة تكون في أواخر بيوت الخي المضروبة فشبهن لكثرة لزوم البيوت بالخوالف التي تكون في البيوت وقد قيل إن الخوالف أيضاً زوايا البيوت وواحدتها خالفة والمعنى واحد . وقد يجوز أن يكون المراد بقوله تعالى : ﴿ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ ﴾ حقيقة الخوالف التي هي أعمدة البيوت أي رضوا بأن يقعدوا في بيوتهم فيكونوا في الملازمة لها كخوالفها وأعمدتها . وقد يجوز أيضاً أن يكون الخوالف ههنا جمع فرقة خالفة وهي الجماعة التي تقعد عن الغزو كالشيوخ والنساء وذوي العاهات والولدان وما يقوي ذلك قوله تعالى أمام هذا الكلام : ﴿ فاقعدوا مع الخالفين ﴾ ^(٢) وكنت أسمع شيخنا أبا الفتح عثمان بن جني النحوي رحمه الله يقول ذلك ويذهب إلى مثله أيضاً في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَسْكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ ﴾ ^(٣) ويقول هي جمع فرقة كافرة إلا أن الكلام يكون على القول الأول استعارة ويكون على هذا القول حقيقة .

١٦٦ - وقوله تعالى : ﴿ وَيَتَرَبَّصُّ ^(٤) بِكُمْ الدَّوَائِرُ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ﴾ [التوبة - الآية ٩٨]

وهذه استعارة لأنه لا شيء هناك يوصف بالدوران وإنما المراد به الحال المتقلبة عن النعمة إلى البلية وعن المسرة إلى المساءة ويجوز أن يكون المعنى أيضاً عليهم أيام السوء لأن الأيام والشهور قد تسمى دوائر على طريق

(٣) الممتحنة ، الآية ١٠ .

(١) في ط . التي واحدتها خالفة .

(٤) في ط . يباض الى قوله (عليهم أيام السوء) .

(٢) التوبة ، الآية ٨٣ .

الاستعارة ليس^(١) لأنها ترجع بأعيانها وإنما يعود أمثالها وأشباهها فشهر كشهر ويوم كيوم وساعة كساعة وسنة كسنة يقال دارت السنون^(٢) ودارت الشهور على هذا المعنى إلا أن هذه اللفظة أعني الدائرة والدوائر قد اختص ذكرها بالمواضع المكروهة فيقال دارت عليهم الدائرة إذا أهلكتهم^(٣) الأيام وأفتتهم الأعوام وقد يقال دارت لهم الدنيا إذا وصفوا بمواتة الإقبال وانتظام الأحوال فكان التمييز في الخير والشر إنما يقع بقولنا دارت عليهم وبقولنا^(٤) دارت لهم .

١٦٧ - وقوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ أَتَىٰ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَفَوُّثٍ مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمَنْ أَتَىٰ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شِقَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَنْهَارُ بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ ﴾

[التوبة - الآية ١٠٩]

وهذه استعارة والمراد بها ذكر ما بناء المنافقون من مسجد الضرار بعدما بناه المؤمنون من المسجد المعروف بقبا ، لأن المؤمنين وضعوا هذا البناء وهم مؤمنون متقون وعارفون موقنون فكأنهم وضعوه على قواعد من الإيمان وأساس من الرضوان والمنافقون إنما وضعوا ذلك البناء كيداً للمؤمنين وارضاداً للمسلمين فكأنهم وضعوه على جرف هارٍ متقوض وأساس واهٍ منتقض ، فكأنما انهار بهم في نار جهنم أي أسقطهم ذلك الفعل في عذاب النار ودائم العقاب وهذه من محاسن^(٥) الاستعارات .

١٦٨ - وقوله تعالى : ﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ﴾

[التوبة - الآية ١١٠]

(١) ط . فليس .

(٢) ن . السموم ولا معنى ذا .

(٣) ن . أهلكهم .

(٤) ط . بقولنا دارت لهم ودارت عليهم

(٥) ط . من أحسن الاستعارات .

وهذه استعارة ومعناها أن ذكر البنیان الذي بنوه لا يزال ربية في قلوبهم يخافون معها انزال الله سبحانه بهم ضروب العقاب أو بسط المؤمنين عليهم لما ظاهروهم به من العناد والشقاق فهم أبدأ بنفوسهم مستريون وعليها خائفون مشفقون فلا يزالون على ذلك إلى (١) أن تقطع قلوبهم حسرة وترهق (٢) نفوسهم خيفة وقد قيل (٣) : أيضاً المراد إلا أن يتوبوا من ذلك ويندموا ندماً تنقطع منه قلوبهم على طريق المبالغة في صفة الندم . وقيل أيضاً المعنى إلا أن يتوبوا فتقطع قلوبهم التي اعتقدوا بها ذلك الغي وتبلى أجسادهم وتنقص رممهم .

١٦٩ - وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ ﴾

[التوبة - الآية ١١١]

وهذه استعارة وذلك أنه سبحانه لما (٤) أمرهم ببذل نفوسهم وأموالهم في الجهاد عن دينه والمنافخة (٥) . عن رسوله (ص) وضمن لهم على ذلك الخلود في النعيم والأمان من الجحيم كانت نفوسهم وأموالهم بمنزلة العروض الميعة (٦) وكانت الأعراض المضمونة عنها بمنزلة الأثمان المعقودة وكانت الصفقة رابحة لزيادة الأثمان على السلع واضعاف الأعراض على القيم . وجملة هذا الباب أن (٧) العبادات كلها كالتجارات في أنها طلب للمنافع إلا أن (٨) بالعبادات طلباً لمنافع الآخرة والتجارات طلباً لمنافع الدنيا .

(١) ط . الا .

(٢) ن . ترهق .

(٣) ط . خلت من نعمة هذا البحث .

(٤) ن . كما .

(٥) نافع عن فلان : دافع عنه .

(٦) ن . المتبعة .

(٧) ن . خلت من (أن) .

(٨) ن . العبادات طلب الآخرة .

١٧٠ - وقوله تعالى : ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا كَاذِبُ قُلُوبٍ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ﴾

[التوبة - الآية ١١٧]

وهذه استعارة لأن حقيقة الزيف الاعوجاج والميل والمراد من بعد ما كادت قلوبهم نزول من عظيم الخيبة وتقنط من نزول الرحمة فتكون بذلك كالشيء الزائغ بعد الاستقامة والمستمال بع الثبات والرصانة ومن الدليل على ذلك قوله تعالى بعد هذه الآية .

١٧١ - وقوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ ﴾

[التوبة - الآية ١١٨]

وهذه أيضاً استعارة لأن النفس في الحقيقة لا توصف بالضيق والاتساع وإنما المراد^(١) بذلك انضغاط القلوب بشدة الكرب وبلوغها منقطع الصبر .

١٧٢ - وقوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ﴾

[التوبة - الآية ١٢٠]

وهذه استعارة والمراد بها انهم لا ينبغي لهم ان^(٢) يكرموا انفسهم^(٣) عما يبذل النبي (ص) فيه نفسه ولا يحفظوا^(٤) مهجهم في المواطن^(٥) التي تخطر فيها مهجته افتداء به واتباعاً لأثره فهذه لفظة يستعملها اهل اللسان كثيراً فيقولون رغبت بنفسي عن الضيم وأرغب بك يا فلان عن القتل أي أضن بنفسي عن

(١) ط . وإنما المراد بالقول الأول من أنه عبارة عن انضغاط القلوب .

(٢) ن . خلعت من (ضم) .

(٣) ن . نفوسهم .

(٤) ن . يحفظ .

(٥) ن . المواضع .

ان تذلل له^(١) وانفس بمثلك من القتل^(٢) والظاهر يدل على انهم رغبوا بنفوسهم عن نفس النبي (ص) والمراد ما كان لهم ان يرغبوا بالنفوس عن المنازل التي ينزلها نفسه ويعرض فيها مهجته .

١٧٣ - وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيْمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ۝

[التوبة - الآية ١٢٤-١٢٥]

وهذه استعارة ظاهرة وذلك ان السورة لا تزيد الأرجاس رجساً ولا القلوب مرضاً بل هي شفاء للصدور وجلاء للقلوب ولكن المنافقين لما ازدادوا عند نزولها عمية وعمها وازدادت قلوبهم ارتياباً ومرضاً حسن ان يضاف ذلك الى السورة على طريقة^(٣) لأهل اللسان معروفة وقد استقصينا الكلام على ذلك في عدة مواضع من كتابنا الكبير فمن اراد بلوغ اقاصي هذه الطريقة والضرب في أقطارها والتفحس في اعطائها فليتبّع منها^(٤) مواضعها من ذلك الكتاب بمشيئة الله .

١٧٤ - وقوله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ۝

[التوبة - الآية ١٢٨]

وهذه استعارة والمراد بأنفسكم ههنا والله اعلم أي من جنس انفسكم وخلقكم لتكونوا اليه اسكن والى القبول منه اقرب ويجوز أن يكون من

(١) ط . لم ترد فيها لفظة (له) .

(٢) ط . على أن يقتل .

(٣) ط . على طريق .

(٤) ط . خلت من اجار والمجرور .

انفسكم اي من قبلنكم^(١) وعشيرتكم كما يقول القائل فلان من انفس بني فلان أي من حميم انسابهم وليس من وشائظهم^(٢) وملاصقيهم وقد يجوز أن يكون المراد برسول من انفسكم اي من اشقائكم وأعزائكم كما يقول القائل لذي ودّه والقريب من قلبه: أنت من نفسي وأنت من قلبي أي أنت شقيق النفس وقسيم القلب ومما يقوي ذلك قوله سبحانه . ﴿ عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾ . اي حبه وميله لكم يعز عليه ان تعنتوا وتعاندوا فتحرموا^(٣) الثواب وتستحقوا العقاب وهو حريص على إيمانكم رافة بكم واشفاقاً عليكم .



(١) ط . قبيلكم .

(٢) كذا في النسختين والمظاهر ان المقصود وشائظهم : وهم الاحلاف .

(٣) ن : فتحرم الثواب وتستحق العقاب .

سورة يونس

ومن السورة التي يذكر فيها يونس عليه السلام

١٧٥ - وقوله تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾

[يونس - الآية ٢]

وهذه استعارة لأن المراد بالقدم ههنا السابقة في الايمان والتقدم في الاخلاص والعبارة عن ذلك بلفظ القدم غاية في البلاغة لأن بالقدم يكون السبق والتقدم فسميت قدماً لذلك وإن كان التأخر أيضاً يكون بها كما يكون التقدم بخطوها وإنما^(١) سميت بأشرف حالاتها وأنبه متصرفاتها وقال بعضهم ايمانهم في الدنيا هو قدمهم في الآخرة لأن معنى^(٢) القدم في العربية الشيء تقدمه أمامك ليكون عذة لك حتى تقدم عليه وقال بعضهم ذكر القدم ههنا على طريق التمثيل والتشبيه كما تقول العرب قد وضع فلان رجله في الباطل وتخطى الى غير الواجب ومعناه انه انتقل الى فعل ذلك كما ينتقل^(٣) الماشي وإن^(٤) لم يحرك قدمه ولم ينتقل خطاه .

١٧٦ - وقوله تعالى ﴿ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [يونس - الآية ٣]

وهذه استعارة لأن حقيقة الاستواء اما توصف بها الأجسام التي تعلو^(٥)

(١) ن . ولم يحرك ولم ينتقل خطوة .

(١) ط . قائماً .

(٥) ط . التي تعلو البساط .

(٢) ن . لأن المعنى القدم .

(٣) ن . كما ينتقل .

و تهبط وتقبل وتعذل^(١) والمراد بالاستواء ههنا الاستيلاء بالقدرة والسلطان لا بحلول القرار والمكان كما يقال استوى فلان الملك على سرير ملكه بمعنى استولى على تدبير الملك وملك معقداً الأمر والنهي ويحسن صفته بذلك وإن لم يكن له في الحقيقة سرير يقعد^(٢) عليه ولا مكان عال يشار اليه وإنما المراد نفاذ أمره في مملكته واستيلاء سلطانه على رعيته فإن قيل : فأنه سبحانه مستول على كل شيء بقهره وغلبته ونفاذ أمره وقدرته فما معنى اختصاص العرش بالذكر ههنا . قيل كما ثبت انه تعالى رب لكل شيء وقد قال في صفة نفسه ﴿ رب العرش العظيم ﴾ وقال ﴿ رب العرش الكريم ﴾ فان قيل : فما معنى قولنا عرش الله إن لم يرد بذلك كونه عليه قيل كما يقال^(٣) بيت الله وإن لم يرد^(٤) كونه فيه والعرش في السماء تطوف به الملائكة تعبداً كما ان البيت في الارض تطوف به الخلائق تعبداً .

١٧٧ - وقوله تعالى ﴿ وَنَجِّيْنَهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴾ . [يونس - الآية ١٠]

وهذه استعارة على بعض الأقوال كأن المعنى ان بشراهم بالسلام^(٥) من المخاوف عند دخول الجنة فجعل مكان التحية لهم لأن لكل داخل داراً تحية يلقي بها ويؤنس بسماعها والسلام ههنا من السلامة لا من التسليم .

١٧٨ - وقوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا ﴾

[يونس - الآية ٢٤]

(١) ن . وتعذل .

(٢) ط . مقعد .

(٣) ن . خلعت من (يقال)

(٤) ط . وإن لم يكن .

(٥) ط . بالسلامة .

وهذه^(١) من أحسن الاستعارات لأن الزخرف في كلامهم اسم للزينة واختلاف الألوان المونقة وقوله سبحانه ﴿أَخَذَتِ الْأَرْضُ زخرفها﴾ أي لبست زينتها بالألوان الأزهار وأصابع^(٢) الرباض كما يقال أخذت المرأة قناعها إذا لبسته ويقال^(٣) لها خذي عليك ثوبك أي البسه ومنه قوله تعالى ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾^(٤) . أي البسوا ثيابكم .

١٧٩ - وقوله تعالى ﴿فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا﴾ [يونس - الآية ٢٤]

استعارة أخرى لأن الحصيد من صفة النبات لا من صفة الأرض والمعنى فجعلنا نباتها كذلك فاكفى بذكر الأرض من ذكر النبات لأن النبات فيها ومنشؤه منها .

١٨٠ - وقوله تعالى ﴿كَأَنَّمَا أَغْشِيَتْ وَجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا﴾

[يونس - الآية ٢٧]

على قراءة من قرأ بتحريك الطاء وهذه استعارة لأن الليل على الحقيقة لا يوصف بأن له قطعاً متفرقة وأجزاء متباعدة وإنما المراد والله أعلم أن الليل لو كان مما يتبعض وينفصل لاشبهه سواد وجوههم ابعاضه وقطعه ونصب سبحانه مظلماً على أنه حال من الليل^(٥) وفيه زيادة معنى لأن الليل يسمى ليلاً^(٦) وإن كان مقمرًا فلما^(٧) قال سبحانه مظلماً علم أن التشبيه إنما وقع به أسود ما يكون جلباباً وأبهم أثواباً .

(١) ط . وهذه استعارة حنة .

(٢) ن . أصابع .

(٣) ط . تقول .

(٤) سورة الأعراف الآية ٣١ .

(٥) ن . لم ترد لفظة (الليل) .

(٦) ط . قد سمي ليلاً .

(٧) ط . فلما قال سبحانه مظلماً على أن التشبيه الخ .

١٨١ - وقوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ

مُبْصِراً ﴾

[يونس - الآية ٦٧]

وهذه استعارة عجيبة أومأنا الى نظيرها فيما تقدم وذلك انه سبحانه انما سمى النهار مبصراً لان الناس يبصرون فيه فكان ذلك صفة الشيء بما هو سبب له على طريق المبالغة كما قالوا ليل أعمى وليلة عمياء إذا لم يبصر الناس فيها شيئاً لشدة اظلامها وسقوط اكثافها^(١).

١٨٢ - وقوله تعالى : ﴿ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَائِكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ﴾

[يونس - الآية ٧١]

على قراءة من قرأ فأجمعوا من الأجماع وهذه استعارة والمعنى استشوروا في امركم وأجمعوا له بالكم وبالغوا في قدح الرأي بينكم حتى لا يكون امركم غمة عليكم أي مغطى تغطية حيرة ومبهمة ابهام جهالة فيكون عليكم كالغمة العمياء والطخية^(٢) الظلمة^(٣) وذلك مأخوذ من قولهم غم الهلال إذا تغطى ببعض الموانع التي تمنع من رؤيته ثم افعلوا بي ما انت فاعلون » وهذه حكاية لقول نوح عليه السلام لقومه وخرج الكلام منه على الاستقلال لكيدهم وقلة الحفيل باجتماعهم^(٤) واحتشادهم .

١٨٣ - وقوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا أَطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالَهُمْ وَاشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ ﴾

[يونس - الآية ٨٨]

(١) ط . خلت من (اكثافها) .

(٢) الطخية : الظلمة .

(٣) ن . الطخياء .

(٤) باستجماعهم .

وهذه استعارة لأن حقيقة الشمس نحو الأثر من قولهم : لمست الكتاب إذا تحوت سطوره. ولمست الريح ربع الحبي إذا تحت رسومه فكان موسى عليه السلام إنما دعا الله سبحانه بأن يحو معارف أمواتهم بالمسح^(١) لها حتى لا يعرفوها ولا يبتدوا إليها وتكون متقلبة^(٢) عن حال الانتفاع بها لأن الشمس يغير حال الشيء إلى الدثور والدروس وقوله تعالى ﴿واشدد على قلوبهم﴾ استعارة أخرى أما أن يكون المراد بالحثم والطبع لأن معنى الشد يرجع إلى ذلك أو يكون المراد بها تثقيل العقاب على القلوب بالإيلاء لها ومضاعفة الغم والكرب عليها ويكون ذلك على معنى قول النبي صلى الله عليه وآله : اللهم اشدد وطأتك على مضر أي اغلظ عليهم عقابك وضاعف عليهم لأواءك^(٣).

١٨٤ - وقوله تعالى : ﴿وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

[يونس - الآية ١٠٥]

فهذه^(٤) استعارة وقد أومأنا إلى مثلها فيما تقدم والمراد بها استقم على دينك واثبت على طريقك وخص الوجه بالذكر لأن به يعرف توجه الجملة نحو الجهة المقصودة وقد يجوز أن يكون المراد بذلك والله اعلم اقم وجهك أي قومه نحو القبلة التي هي الكعبة مستمراً على لزومها وغير منحرف عن جهتها .

(١) ن . بالمسح .

(٢) ن . متقلبة .

(٣) ط . عقابك .

(٤) ط . وهذه .

سورة هود

ومن السورة التي يذكر فيها هود عليه السلام

١٨٥ - وقوله تعالى : ﴿الرَّكَّابُ أَخْبِتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾

[هود - الآية ١]

وهذه استعارة لان آيات القرآن لما ورد^(١) في بعضها^(٢) ذكر الثواب والعقاب وفي بعضها ذكر الحلال والحرام واستمرت على ذلك بين وعد مقدم ووعيد مؤخر ونذارة مبتدأ بها وبشارة معقب بذكرها شبه القرآن لذلك بالنظام المفصلة التي يوافق فيها بين الاشكال تارة ويؤلف بين الازداد مرة^(٣) ليكون ذلك أحسن في التضييد^(٤) وأبلغ في الترصيف^(٥) وهذه من بدائع الاستعارات .

١٨٦ - وقوله تعالى ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُبْسِرُونَ وَمَا يَأْلُفُونَ﴾ .

[هود - الآية ٥]

(١) ن . لما وردت .

(٢) ط . لم تذكر جملة (في بعضها ذكر الثواب والعقاب .) .

(٣) ط . ثاره .

(٤) من نضد : المتاع : ضم بعضه إلى بعض منسفاً أو مركباً ، فالمتاع منضود .

(٥) من رصف : الحجارة : ضم بعضها الى بعض بانتظام . يقال : هذا أمر لا يرضف بك ، أي لا يليق .

وهذه استعارة لأن حقيقة الذي لا تتأق في الصدور والمراد بذلك والله اعلم انهم يثنون صدورهم على عداوة الله ورسوله صلى الله عليه واله وذلك كما يقول القائل هذا الأمر في طي ضميري اي قد اشتمل عليه قلبي فيكون قوله تعالى « يثنون صدورهم » بمنزلة قوله: يطوون صدورهم ولفظ يثنون اعذب استماعاً^(١) وأحسن مجازاً وقيل: ^(٢) معنى ذلك ان المنافقين كانوا اذا اجتمعوا تخافتوا بينهم في الكلام وحنوا ظهورهم نظاماً عند الحوار ^(٣) خوفاً من مرامق^(٤) العيون ومرامج الظنون ووقوع^(٥) ما يتفاوضونه في اسماع المسلمين. فإذا انحنت ظهورهم انشئت^(٦) صدورهم. فأعلمنا الله سبحانه انهم وإن اغلقوا أبوابهم واسدلوا ستورهم وستغشوا ثيابهم بمعنى اشتملوا بها أو بمعنى أدخلوا رؤوسهم فيها على ما قاله بعضهم فانه تعالى يعلم غيب صدورهم ودخائل قلوبهم ومرامز اعينهم ومخارف الستهم .

١٨٧ - وقوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيُؤْوِسُ كُفُورًا ﴾

[هود - الآية ٩]

وهذه استعارة لأن اذاقة الرحمة ونزعها ليس بحقيقة ههنا وانما المراد بذلك انا اذا رحمتنا الانسان بعد توبته من واقعة بعض^(٧) الذنوب فقبلنا متابه واستقطنا عقابه ثم واقع بعد ذلك ذنباً آخر واستحق^(٨) ان نعاقبه وأن نزيل رحمتنا عنه يئس من الرحمة وقنط من المغفرة وليس الأمر كذلك لأنه اذا عاود

(١) ن . سماعاً .

(٢) ط . وقيل أيضاً بلى معنى ذلك .

(٣) ن . عند الجواب .

(٤) ط . من رمق .

(٥) ط . لوقوع .

(٦) ن . وانشئت .

(٧) ط . لم ترد (بعض) .

(٨) ن . فاستحق .

الاقلاع أمن الابقاع^(١) وقد اخرج سبحانه هذا الكلام غرج الدم لمن يواقع المعصية فينظ من قبول التوبة فمعنى أذقنا الانسان منا رحمة أي عرفناه أنا قد رحمناه إذ قد أوجبنا قبول التوبة إذا اخلص العبد فيها وأتى بها على شروطها وحدودها ومعنى ثم نزعناها منه أي أزلنا عنه رحمتنا لاجل اقترافه المعصية التي اقترفها في الثاني وقد يجوز ان يكون المراد بالحرمة ههنا والله اعلم النعمة والسراء ويكون انتزاعها منه بمعنى ابداله بها الشدة والضراء اجراء له في مضمار الابتلاء والاختبار أو مصلحة يكون معها اقرب الى الصلاح^(٢) والرشاد وما يقوي ذلك قوله تعالى بعد هذه الآية ﴿ ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور ﴾

١٨٨ - وقوله تعالى : ﴿ وَأَتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ ﴾

[هود - الآية ٢٨]

وهذه استغارة لأن الرحمة لا توصف له بالعمى وإنما يوصف الناس بالعمى عن تمييز^(٣) مواقعها وادراك مواضعها فلما وصفوا بالعمى عنها حسن أن توصف هي^(٤) بذلك على القلب كما يقال ادخلت الخاتم في اصبعي والمغفر في رأسي وإنما الاصبع دخلت في الخاتم والرأس دخل في المغفر وقد يجوز أيضاً^(٥) ان قوله سبحانه ﴿ فعميت عليكم ﴾ بمعنى خفيت عليكم كما يقول القائل « عمى علي^(٦) خبرهم » وعمى علي^(٧) أثرهم أي خفي عني الخبر والاثـر .

(١) ن . أمن العقاب .

(٢) ط . إلى الاصلاح .

(٣) ن . عن تبيين .

(٤) ط . حسن أن يوصف بذلك في القلب .

(٥) ط . خلت من (ايضاً) .

(٦) ط . وقد عمى على خبري .

(٧) ن . وعمى على امرهم .

١٨٩ - وقوله تعالى : ﴿ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا ﴾
[هود - الآية ٣١]

وهذه استعارة كما يقول القائل اقتحمت فلانا عيني واحتقره طرفي اذا قبح في منظر عينيه خلقه وصغر دمامة ليس ان العين على الحقيقة يكون منها الاحتقار أو يجوز عليها الاستصغار .

١٩٠ - وقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ ﴾
[هود - الآية ٣٤]

وذكر الاغواء ههنا من قبيل الاستعارة وان لم يكن من صريحها وكذلك لفظ المكر والاستهزاء وما يجري هذا المجرى لان المراد بمعاني هذه الالفاظ غير المراد بظواهرها^(١) والمتعارف^(٢) من الاغواء هو الدعاء الى الغي والضلال وذلك غير جائز على الله سبحانه لقبحه وورود أمره بضده فالمراد إذا بالاغواء ههنا تحنيبه سبحانه لهم من رحمته لكفرهم^(٣) به وذهابهم عن أمره من الشاهد على ذلك قوله تعالى ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴾^(٤) أي خيبة من الرحمة وارتكاساً في التهمة وقد جاء لفظ الاغواء والمراد به التخييب في كثير من منشور كلامهم ومنظوم أشعارهم ويجوز أن يكون الاغواء ههنا بمعنى الاهلاك لهم ويجوز أن يكون^(٥) بمعنى الحكم بالغواية عليهم .

(١) ن . بظواهرها .

(٢) ط . فالمتعارف .

(٣) ط . خلت من الجار والمجرور .

(٤) سورة مريم الآية ٥٩ .

(٥) ن . خلت من (أن يكون)

١٩١ - وقوله تعالى ﴿ وَاصْنَعِ الْفَلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾ [هود - الآية ٣٧]

وهذه استعارة ومعناها واصنع الفلك بأمركنا ونحن نرعاك ونحفظك ليس ان هناك عيناً تلاحظ ولا لساناً يلفظ وذلك كما يقول القائل « انا بعين الله » أي بمكان من حفظ الله ومن كلامهم للظاعن^(١) المسيح والحميم المودع صحبتك عين الله أي رعايته وحفظه .

١٩٢ - وقوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلُغِي مَاءَكَ وَيَا سَّمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ﴾

[هود - الآية ٤٤]

وهذه استعارة لان الارض والسماء لا يصح أن تؤمرا أو تخاطبا لان الامر والخطاب لا يكونان إلا لمن يعقل ولا يتوجهان إلا لمن^(٢) يعي ويفهم فالمراد إذا بذلك الاخبار عن عظيم قدرة الله سبحانه وسرعة مضي أمره ونفاذ تدبيره نحو قوله سبحانه ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾^(٣) وهذا اخبار عن وقوع أوامره سبحانه من غير معاناة ولا كلفة ولا لغوب^(٤) ولا مشقة وفي^(٥) هذا الكلام ايضاً فائدة أخرى لطيفة وهو ان قوله تعالى ﴿ يَا أَرْضُ ابْلُغِي مَاءَكَ وَيَا سَّمَاءُ أَقْلِعِي ﴾ ابلغ من قوله « يا أرض اذهبي بمائك » لان في الابتلاع دليلاً على اذهاب الماء بسرعة^(٦) ألا ترى ان قولك لغيرك ابلغ هذا الطعام ابلغ من قولك له^(٧) كل هذا الطعام إذا أردت منه ايصاله الى جوفه

(١) من ظَعَنَ : سار ورحل .

(٢) ن . الى من .

(٣) سورة النحل الآية ٤٠ .

(٤) من لَغَبَ : تعب واعيا أشد الإعياء .

(٥) ن . فني .

(٦) ن . (سرعة) . من غير حرف جر .

(٧) ن . خلت من (له) .

بسرعة وكذلك الكلام في قوله تعالى ﴿وَيَا سَمَاءُ اقْلَمِي﴾ لأن لفظ الاقلاع
ههنا^(١) ابلغ من لفظ الانجلاء لأن في الاقلاع^(٢) ايضاً معنى الاسراع بازالة
السحاب كما قلنا في الابتلاع وذلك ادل على تفضل القدرة وطواعية الامور من
غير وقفة ولا لبثة هذا الى ما في المزاوجة بين اللفظتين من البلاغة العجيبة
والفصاحة الشريفة إذ يقول ﴿يَا اَرْضِ ابْلَعِي﴾ ﴿وَيَا سَمَاءُ اقْلَمِي﴾ ومثل هذا في
القرآن اكثر من ان يشار اليه ويدل عليه^(٣).

١٩٣ - وقوله تعالى: ﴿وَنَجِّنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [هود - الآية ٥٨]

وهذه استعارة لان العذاب في الحقيقة لا يوصف بالغلظ^(٤) ولا بالدقة
لانه الالم^(٥) الذي يلحق الحي في قلبه أو جسمه وإنما وصفه سبحانه تعالى
بالغلظ على طريقة كلام العرب لأنهم^(٦) يصفون الامر الهين بالضؤولة^(٧) والدقة
كما يصفون الامر^(٨) الشاق بالغلظ والشدة حملاً لذلك على عرفهم في المراعاة
للشيء الغليظ الكثيف وقلة الحفل بالشيء الدقيق الضئيل الا ترى الى قولهم
عرض فلان دقيق وقدره ضئيل وإلى قولهم في مقابلة ذلك لقي فلان قلانا
بكلام غليظ وقول ثقيل وقد يجوز والله اعلم ان يكون المراد بعذاب غليظ
ههنا الصفة لعذاب الآخرة وعذاب^(٩) الآخرة إنما يقع بالآلات المستعظمة

(١) ن . ايضاً . مكان ههنا .

(٢) ن . لأن الاقلاع ايضاً بمعنى الاسراع .

(٣) ط . خلت من (ويدل عليه) .

(٤) ن . بالغلظ .

(٥) ن . الالام القي .

(٦) ن . كما يصفون .

(٧) من ضؤل : صغر ، ضعف .

(٨) ن . كما يصفون الشاق .

(٩) ط . والعذاب .

والاعيان^(١) المستغفلة مثل مفاع الحديد والحجارة المحسة^(٢) فوصف سبحانه العذاب بالغلف لأنه واقع بالاشياء الغليظة والالات الثقيلة فيكون ذلك مجازاً من هذا الوجه . وما يقوى ان المراد بقوله تعالى ﴿ونجيناهم من عذاب غليظ﴾ عذاب الآخرة قوله سبحانه ، ﴿ولما جاء أمرنا نجينا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا﴾ وهذه النجاة من عذاب الدنيا ثم قال تعالى ﴿ونجيناهم من عذاب غليظ﴾ فدل على ان النجاة من العذاب الاول غير النجاة من العذاب الآخر وان الاول عذاب الدنيا والثاني عذاب الآخرة وإلا كان وجه الكلام «ولما جاء أمرنا نجينا هوداً والذين آمنوا برحمة منا من عذاب غليظ» ولم يكن لقوله تعالى ﴿ونجيناهم﴾ ثانياً معنى .

١٩٤ - وقوله تعالى حاكياً عن لوط عليه السلام ﴿قَالَ لَوْ أَنِّي بِيكُمْ قُوَّةٌ أَوْ

أَوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود - الآية ٨٠]

وهذه استعارة والمراد بها لو كنت آوي الى كثرة من قومي وعدد من أهلي وجعلهم ركناً له لان الانسان يلجأ الى قبيلته ويستند الى اعوانه ومنعته كما يستند الى ركن البناء الرصين والنضد الامين وجاء جواب لو ههنا محذوفاً والمعنى لو انني على هذه الصفة لخلت بينكم وبين ما همتم به من الفساد وأردتموه من ركوب^(٣) الفحشاء والحذف ههنا ابلغ لانه يوهم المتوعد بعظيم الجزاء وبغليظ النكال ويصرف وهمه الى ضرور العقاب ولا يقف به عند جنس من اجناس^(٤) المخوفات المتوقعات وليس مخرج^(٥) هذا الكلام من لوط عليه السلام على ما ظنه^(٦) من لا معرفة له وقدح فيه بأن قال: ألم يكن يأوي

(١) ط . كالاعيان .

(٢) ط . والحجارة المحمة بالجحيم .

(٣) ط . من ذنوب .

(٤) ن . عند حسن من احسام .

(٥) ن . وليس يخرج

(٦) ن . عن ظن .

الى الله تعالى فيما معنى هذا القول الذي قاله؟ وذلك ان لوط عليه السلام على ما ذكرنا إنما اراد الاعوان من قومه والاركان المستند اليها من قبيلته وهو يعلم ان له من معونة^(١) الله سبحانه أشد الاركان واعز الاعوان الا ان من تمام ازالة العلة في التكليف حضور الناصر وقرب المعاضد المرافد .

١٩٥ - وقوله تعالى في صفة الحجارة المرسلة على قوم لوط: ﴿مُسَوَّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ وَنَا

هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ يَتَّبِعُهُ

[هود - الآية ٨٣]

وهذه استعارة لان حقيقة التسويم هي العلامات التي يعلم بها الفرسان والافراس في الحرب للتمييز بين الشعارات والتفريق بين الجماعات قال الله سبحانه ﴿يَمْدُدْكُمْ رَبِّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾^(٢) وقرئ «مُسَوِّمِينَ» بفتح الواو. وقال سبحانه: ﴿وَالْخَيْلَ الْمُسَوَّمَةَ﴾^(٣) والمعنى انه سبحانه لما جعل تلك الحجارة حرباً لهم واعواناً عليهم وصفها بوصف رجال الحرب وخيولهم فكأنها مرسلة من عند الله اي من عند ملائكة الله الذين تولوا الرمي بها ارسال الخيول المسومة على اعدائها وان لم يكن هناك تسويم^(٤) على الحقيقة وقد قال بعضهم ان تلك الحجارة كانت على الحقيقة معلمة بعلامات تدل على انها اعدت للعذاب وافردت للعقاب وذلك املاً للقلوب واعظم في الصدور .

١٩٦ - وقوله تعالى: ﴿وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾

[هود - الآية ٨٤]

وهذه استعارة من وجهين احدهما وصف اليوم بالاحاطة وليس بجسم فيصح وصفه بذلك والوجه الآخر ان لفظ محيط ههنا كان يجب ان يكون من

(١) ن . ان له معونة من الله

(٢) سورة آل عمران الآية ١٢٥ -

(٣) سورة آل عمران الآية ١٤ -

(٤) من سام : الخيل المسومة : المرعية والمرسلة مطلقة .

نعت العذاب فيكون مصوراً فجعله سبحانه من نعت اليوم فجاء مجروراً . فأما وصف اليوم بالاحاطة وإن لم يتأت فيه ذلك فالمراد به والله اعلم ان العذاب لما كان يعم المستحقين له في يوم القيامة حسن وصف ذلك اليوم بأنه محيط^(١) اي انه كالسياج المضروب بينهم وبين الخلاص من العذاب والافلات من العقاب، وأما نقل نعت العذاب الى نعت اليوم فالوجه فيه ان العذاب لما كان واقعاً في ذلك اليوم كان ذلك اليوم كالمحيط به لانه ظرف لحوله ووقت لنزوله ونعوذ بالله^(٢) منه .

١٩٧ - وقوله تعالى : ﴿ بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾

[هود - الآية ٨٦]

وهذه استعارة لأن حقيقة^(٣) البقية ترك^(٤) شيء من شيء قد مضى ولا يجوز^(٥) اطلاق ذلك على الله سبحانه فإذا يجب أن يكون المراد غير هذه الحقيقة وقد قيل في معنى ذلك وجوه احدها بقية الله من نعمه^(٦) خير لكم وقد قيل : بقية الله طاعته . وذلك لأنها تبقى رضاه وثوابه ابداً ما بقيت وقد قيل^(٧) : بقية الله اي عفو الله عنكم ورحمته لكم بعد استحقاقكم العذاب كما يقول العرب المتحاربون بعضهم لبعض اذا استحر فيهم القتل وأعضلهم^(٨) الخطب البقية البقية اي نسألکم البقية علينا والمكافاة^(٩) لنا والبقية ههنا والابقاء بمعنى واحد .

١٩٨ - وقوله تعالى : ﴿ أَصْلَوْتُمْ أَن تَمُرُّوا أَن تَتْرُكُوا مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ﴾

[هود - الآية ٨٧]

(١) ط . محيط بهم . (٥) ط . فلا يجوز اطلاق .

(٢) ط . جملة نعوذ بالله منه لم ترد .

(٦) ط . من نعمته .

(٣) ن . صفة مكان حقيقة .

(٧) ط . وقيل .

(٤) ط . تركه .

(٨) من غَضَل : غَضَل عليه : ضيق عليه ومنعه أعضل الأمر : اشتد واستغلق .

(٩) كذا في النسختين ويجوز ان يكون الأصل (المكافاة عنا)

وهذه استعارة لان الصلاة لا يصح منها الامر على الخيفة وإنما اطلق عليها ذلك لانها بمنزلة الامر بالخير والنهي عن الشر وقد قيل: المراد بذلك ادينك يا مارك بهذا اي في^(١) شريعتك ودينك الامر بهذا فاذا كان ذلك في عقد الدين حسن أن يضاف الامر به الى الدين وفي هذا الكلام أيضاً مجاز آخر وهو انه تعالى قال ﴿أصلاّتك تأمرّك أن تترك ما يعبد آباؤنا﴾ وليس يصح على ظاهر الكلام ان يؤمر شعيب بأن يترك قومه شيئاً هم عليه وإنما المعنى والله اعلم أصلاّتك تأمرّك أن تأمرنا بترك ما يعبد آباؤنا فاكتفى بذكر الامر الاول عن ذكر الامر الثاني لانه كالعلوم من فحوى الكلام وهذا من غوامض اسرار القرآن .

١٩٩ - وقوله تعالى : ﴿أَرْهَظِي^(٢) أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخِذْ تُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا﴾ [هود - الآية ٩٢]

وهذه استعارة لان الله سبحانه لا يجوز عليه ان يجعل ظهرياً على الحقيقة فالمراد انكم جعلتم امر الله سبحانه وراء ظهوركم وهذا معروف في لسان العرب ان يقول الرجل منهم لمن اغفل قضاء حاجته أو ثنى عطفاً عن عذله وعتابه جعلت^(٣) حاجتي وراء ظهرك وتركت مقالي دبر اذنك^(٤) أي لم تعن بحاجتي ولم تصنع الى معاتبتي .

٢٠٠ - وقوله تعالى : ﴿وَأَخَذْتُ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَانِبِينَ﴾ [هود - الآية ٩٤]

وهذه استعارة لان حقيقة الأخذ انما توصف بها الأجسام والصيحة

(١) التي مكان اي .

(٢) من الرهط : القوم المجتمعون .

(٣) ن . خلت من (جعلت) .

(٤) ن . مرادك .

عرض من الأعراض لأنها بعض الأصوات إلا أنها أقوى للاستماع صكاً وقرعاً^(١) وأبلغ في القلوب وجلاً وروعاً والمراد ان هلاكهم^(٢) لما كان عن الصيحة حسن ان يقال انها اخذتهم بمعنى ذهبت^(٣) بنفوسهم وأنت على جميعهم .

٢٠١ - وقوله تعالى : ﴿ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ ﴾ * وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴿

[هود - الآية ٩٨ و ٩٩]

فقوله تعالى وبئس الورد المورود وبئس الرfid المرفود استعارتان لانه تعالى جعل فرعون في تقدمه قومه الى النار بمنزلة الفارط المتقدم للوارد الى المورود كما كان في الدنيا متقدمهم الى الضلالة وقائدهم الى الغواية وجعل النار بمنزلة الماء الذي يورث ثم قال تعالى ﴿ وبئس الورد المورود ﴾ لانه لا يميز^(٤) الغصة ولا ينقع الغلة وقد اختلف العلماء في قوله تعالى ﴿ وبئس الورد المورود ﴾ وهل ذلك ذم لنار جهنم على الحقيقة أو المجاز فقال ابو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي ذلك على طريق المجاز والمعنى بئس وارد النار وقال ابو القاسم البلخي بل ذلك على طريق الحقيقة فأما قوله سبحانه ﴿ واتبعوا في هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرfid المرفود ﴾ فانما قلنا انه استعارة لأن حقيقة الرfid العطية يقال رfده يرفده رfداً ويرفداً بفتح الراء وكسرها ولكن اللعنة لما جعلت بدلاً من الرfid لهم عند انتقائهم من دار الى دار على عادة المتنجع المسترفد والراحل^(٥) المتزود^(٦) جاز ان يسمى رfداً على طريق المجاز كما قال تعالى ﴿ فبشرهم بعذاب اليم ﴾

(١) ن . وقزعا .

(٢) ط . هلاكهم .

(٣) ط . ذهب .

(٤) . لا يحد . كذا .

(٥) ط . الرجل المتزود .

(٦) ن . المردود بدل المتزود .

والبشارة في الاعم الاغلب إنما نكون بالخير لا بالشر ولكن لما جعل اخبارهم باستحقاق العذاب في موضع البشارة لغيرهم باستحقاق الثواب جاز ان يسمى ذلك بشاره .

٢٠٢ - وقوله تعالى : ﴿ ذَلِكُمْ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقِصُهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴾

[هود - الآية ١٠٠]

وهذه استعارة والمعنى منها قائم البناء خال من الاهل ومنها منقوض الابنية ملحق بالارض تشبيهاً بالزرع المحصود والى هذا يوميء قوله تعالى ﴿ وَبَنِيَّ مَعْطِلَةٌ وَقَصْرٌ مَشِيدٌ ﴾ (١) وقوله تعالى ﴿ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ﴾ (٢) والعروش الابنية أي خالية من أهلها على ما فيها من بواقي ابنتها. وقد يجوز ان يكون أيضاً ذلك كناية عن أهل القرى فكانه سبحانه شبه الاحياء الباقين بالزرع النامي وشبه الاموات الهالكين بالزرع الذوي وذلك احسن تمثيل وواقع تشبيه .

٢٠٣ - وقوله تعالى : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾

[هود - الآية ١١٩]

وهذه استعارة والمراد ههنا بتمام كلمة الله سبحانه صدق وعيده الذي تقدم الخبر به وتماه وقوع مخبره مطابقاً لخبره (٣) .

(١) سورة الحج الآية ٤٥ .

(٢) سورة البقرة الآية ٢٥٩ . وسورة الكهف الآية ٤٢ .

(٣) ط . وتماه وقوع مخبره مطابقاً لخبره .

سورة يوسف

ومن السورة التي يذكر فيها يوسف عليه السلام

٢٠٤ - وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾

[يوسف - الآية ٤]

وهذه استعارة لأن الكواكب والشمس والقمر مما^(١) لا يعقل فكان الوجه ان يقال ساجدة ولكنها لما اطلق عليها فعل من^(٢) يعقل جاز ان توصف بصفة من يعقل لان السجود من فعل العقلاء وهذا كقوله سبحانه ﴿ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ ﴾^(٣) فلما كانت النمل في هذا القول مأمورة أمر من يعقل جرى الخطاب عليها جريه^(٤) على من يعقل ومثل ذلك قوله تعالى ﴿ وَقَالُوا لَجُلُودُهُمْ لَمْ يَشْهَدَتْ عَلَيْنَا ﴾^(٥) لانها لما شهدت عليهم شهادة العقلاء المخاطبين اجروها في الخطاب مجرى العقلاء المخاطبين ومن الشاهد على ذلك قول عبدة ابن الطيب :

(١) ان . خلت من (عما)

(٢) ن . ما بدل من .

(٣) سورة النمل الآية ١٨ .

(٤) ن . لم ترد فيها (على) .

(٥) سورة فصلت الآية ٢١ .

إذ أشرف الديك بدعم بعض أسرته لدى الصباح . هم قوم معازيل

فلما جعله^(١) الداعي جعل الديكة بمنزلة القوم المدعويين وجعلهم أسرة له وأسرة الرجل قومه ورهطه والمعاذيل الذين لا سلاح معهم فكأنه جعله مستنصراً من لا نصرة^(٢) له ولا غناء عنده وقريب من ذلك قوله تعالى ﴿فظلت أعناقهم لها خاضعين﴾^(٣) على أحد القولين فكأنه سبحانه رد خاضعين إلى أصحاب الاعناق لا إلى الاعناق لأن الخضوع منهم يكون على الحقيقة وقد يجوز أيضاً أن يكون قوله تعالى في ذكر الكواكب والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين إنما حسن على تأويل تلك الرؤيا وتأويلها يتناول من يعقل من أخوة يوسف وأبويه فجرى الوصف على تأويل الرؤيا ومصير العقبى وهذا موضع حسن ولم يخض بي لمن تقدم^(٤) .

٢٠٥ - وقوله تعالى ﴿وجاءوا على قميصه بدم كذب﴾ [يوسف - الآية ١٨]

وهذه استعارة لأن الدم لا يوصف بالكذب على الحقيقة والمراد بذلك والله أعلم بدم مكذوب فيه والتقدير بدم ذي كذب وإنما وصف^(٥) الدم بالمصدر الذي هو الكذب^(٦) على طريق المبالغة لأن الدعوى التي علقته بذلك الدم كانت^(٧) غاية في الكذب وقال بعضهم وقد يجوز أيضاً أن يكون كذب ههنا صفة لقول محذوف يدل عليه الحال وكأن التقدير وجاءوا على قميصه بدم وجاءوا بقول كذب إذ^(٨) كانت أشارتهم إلى آثار الدم في القميص قد صحبها

(١) ن . فلما جعلهم بمنزلة الداعين .

(٢) ن . من لا يضره .

(٣) سورة الشعراء الآية ٤ .

(٤) ط . ولم يخض لي كمن تقدم والظاهر أن المقصود ولم يسبق به قول للمتقدمين .

(٥) ط . يوصف .

(٦) ط . كذب .

(٧) ن . كان .

(٨) ن . أي بدل إذ .

قول منهم يؤكد تلك الحال^(١) وهو قولهم ﴿إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب﴾^(٢) والقول الأول أصوب ومن غرائب التفسير ما روي عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال سمعت بعض الرواة يقرأ بدم كذب بالاضافة والدال^(٣) وقال (الجددي)^(٤) في كلام الكنعانيين وأنشد لبعضهم :

طلت^(٥) دماء بني عوف كأنهم عند الهياج رعاث بين أكذاب
وقيل انهم لطحوا قميص يوسف عليه السلام بدم جدي ذبحوه .

٢٠٦ - وقوله تعالى : ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ﴾

[يوسف - الآية ١٨]

وهذه استعارة وحقيقة التسويل تزيين الانسان لغيره أمراً غير جميل فجعل تعالى أنفسهم لما قوي فيها الأقدام على ذلك الأمر المذموم بمنزلة الغير الذي يحسن لهم فعل القبيح ويحملهم على ركوب العظيم .

٢٠٧ - وقوله تعالى ﴿ قَدْ شَغَفَهَا حُبّاً ﴾ [يوسف - الآية ، ٣٠]

وهذه استعارة والمراد بها ان حبه تغلغل اليها حتى اصاب شغافها وهو غشاء قلبها كما تقول^(٦) بطنت الرجل إذا اصبته بطنه ويقال معنى شغفها أي صلب شغاف قلبها على طريق المبالغة في وصف حبها له كما تقول سلبت الرجل إذا أخذت سلبه .

(١) ن . يؤكد بذلك الحلف .

(٢) سورة يوسف الآية ١٧ .

(٣) ط . من الدال .

(٤) ن . خلعت من « قال » .

(٥) ن . ظل الدماء .

(٦) ن . خلعت من « تقول » .

٢٠٨ - وقوله تعالى : ﴿ قَالُوا أَضْغَاثُ أَخْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَخْلَامِ بِعَالَمِينَ ﴾

[يوسف - الآية ٤٤]

وهذه أبلغ استعارة وأحسن عبارة لان واحد الاضغاث ضعت وهو الخليط^(١) من الحشيش المضموم^(٢) بعضه الى بعض كالحزمة وما يجري مجراها فشبّه سبحانه اختلاط الاحلام وما يراه الانسان من المحبوب والمكروه والمساءة والسرور باختلاط الحشيش المجموع من اخفاف^(٣) عدة واصناف كثيرة .

٢٠٩ - وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعَ شِدَادٍ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ ﴾

[يوسف - الآية ٤٨]

وهذه استعارة والمراد بالسبع الشداد السنون المجذبة ومعنى يأكلن ما قدمتم هن أي ينفد فيهن ما ادخرتموه هن من السنين المخصبة وجرى ذلك على عادة العرب في قولهم أكلت آل فلان السنة يريدون مسهم الضر في حال^(٤) الجذب وزمان الازل حتى انهم^(٥) يسمون السنة المجذبة الضيع فيقولون اكلتهم الضيع أي نهكتهم سنة الجذب وقال بعضهم إنما نسب تعالى الاكل اليهن لان الناس يأكلون فيهن ما ادخروه ويستنفدون ما اعدوه كما يقال يوم آمن وليل خائف أي يأمن الناس في هذا ويخافون في هذا .

٢١٠ - وقوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْخَائِبِينَ ﴾ [يوسف - الآية ٥٢]

(١) ن . وهو خلط .

(٢) ن . المضمون .

(٣) ن . اصناف .

(٤) ط . عام .

(٥) ط . كانوا ليمضون .

وهذه استعارة لانه تعالى أقام كيد^(١) الخائنين مقام الخابط في طريق ليصل الى مضرة المكيد وهو غافل عنه فاعلمنا سبحانه أنه لا يهديه بمعنى لا يوفقه لاصابة الغرض ولا يسدده لبلوغ المقصد بل يدعه يخط في ضلالة وينسكع في متاهة لانه كالساري في غير طاعة الله فلا يستحق ان يهدي لرشد ولا يسدد^(٢) لقصد .

٢١١ - وقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالْأَعْمَارِ إِلَّا مَا رَجَمَ

ربي ﴾

[يوسف - الآية ٥٣]

وهذه استعارة لأن النفس لا يصح أن تأمر على الحقيقة ولكن الانسان لما كان يتبع دواعيها الى الشهوات وينقاد بأزماتها الى المقبحات كانت بمنزلة الأمر المطاع وكان الانسان بمنزلة السامع المطيع وإنما قال سبحانه لامارة ولم يقل لامرة مبالغة في صفتها بكثرة الدفع في المهاوي والقود^(٣) الى المغاوي لأن فعلا من امثلة التكثير كما ان فاعلا من امثلة التقليل .

٢١٢ - وقوله تعالى ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّنْ نَّشَاءُ ﴾ [يوسف - الآية ٧٦]

وهذه استعارة لانه ليس هناك على الحقيقة بناء يوطد ولا درجات تشيد وإنما المراد به ترقية معالم الذكر في الدنيا ورفع منازل الثواب في الآخرة .

٢١٣ - وقوله تعالى : ﴿ وَأَسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْبَعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا

فِيهَا ﴾

[يوسف - الآية ٨٢]

(١) ط . تكررت هذه العبارة ثلاثاً .

(٢) ط . ولا يتسدد .

(٣) ن . والقود .

وهذه من مشاهير الاستعارات والمراد أهل القرية التي كنا فيها واصحاب العير التي اقبلنا فيها وما يكشف عن ذلك قوله تعالى في السورة التي يذكر فيها الأنبياء عليهم السلام ﴿ ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث إنهم كانوا قوم سوء فاسقين ﴾ (١) والقرية هي الابنية المعروشة والخطط المسكونة لا يصح منها عمل الخبائث فعلم ان المراد بذلك اهلها لانفسها (٢) ومن الشاهد (٣) على ذلك أيضاً قوله سبحانه في القصص ﴿ وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها ﴾ (٤) ثم قال ﴿ فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً وكنا نحن الوارثين ﴾ وقال بعضهم ان القرية الجماعة المجتمعة لا الابنية المشيدة وذلك مأخوذ من قولهم قرى الماء في الحوض إذا جمعه والعير هي الابل وفيها اصحابها وإنما أنت سبحانه ضمير القرية بقوله (٥) ﴿ التي كنا فيها ﴾ على اللفظ كما يقول القائل قامت تلك الطائفة (٦) وتفرقت تلك الجماعة على اللفظ ويحسن منه أن يقول عقيب هذا الكلام « وأكلوا وشربوا وركبوا وذهبوا » حملاً على المعنى دون اللفظ كما قال تعالى ﴿ من القرية التي كانت تعمل الخبائث ﴾ ثم قال سبحانه ﴿ إنهم كانوا قوم سوء ﴾ على المعنى وكذلك القول في العير فأنما انت ضميرها على اللفظ لأن العير مؤنثة وقال تعالى في هذه السورة ﴿ ولما فصلت العير ﴾ (٧)

٢١٤ - وقوله تعالى ﴿ وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ ﴾ [يوسف - الآية ٨٧]

وهذه استعارة والمراد لا تياسوا من فرج الله والروح هو نسيم الريح التي

(١) سورة الأنبياء - الآية ٧٤ .

(٢) ن . (لانفسها) زيادة على ما في ط .

(٣) ن . من قوله (ومن الشاهد الى قوله تعالى وكنا نحن الوارثين) زيادة لم ترد في ط .

(٤) سورة القصص الآية ٥٨ .

(٥) ن . خلت من (بقوله) .

(٦) ن . الطوائف .

(٧) الآية ٩٤

يلد^(١) شميمها ويعطيب سيمها فثبه تعالى الفرج الذي يأتي بعد الكرب^(٢) ويطرق بعد اللزبة^(٣) بنسيم الريح الذي^(٤) تترتاح القلوب له وتثلج الصدور به ومثل ذلك ما جاء في الخبر. الريح من نفس الله. أي من تنفيسه عن خلقه يريد به ان القلوب تستروح اليها كما يستروح المكروب الى نفسه وذو الخناق الى تنفيسه .

٢١٥ - وقوله تعالى ﴿ أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ﴾

[يوسف - الآية ١٠٧]

وهذه استعارة والمراد بذلك المبالغة في صفة العذاب بالعموم لهم والاطباق عليهم كالغاشية التي تشتمل على الشيء فتجلله من جميع جنباته وتستره عن العيون من كل جهاته^(٥).



(١) ن . يلد .

(٢) ن . الكرب .

(٣) من لزب : الشدة ، القحط .

(٤) ن . التي .

(٥) ن . وجهاته .

سورة الرعد

السورة التي يذكر فيها الرعد

٢١٦ - وقوله تعالى ﴿ إِنَّا لَنَفِي خَلَقٍ جَدِيدٍ ﴾ [الرعد - الآية ٥]

وجديد ههنا استعارة لأن اصله مأخوذ من الجدد وهو القطع يقال قد جد الثوب فهو جديد بمعنى مجدود إذا قطع من منسجه أو قطع لاستعمال لابسه والمراد والله اعلم « إنا لنفي خلق جديد » أي قد فرغ من استنائه وأعيد إلى موضع ثوابه وعقابه فصار كالثوب الذي قطع من^(١) منسجه بعد الفراغ من عمله .

٢١٧ - وقوله تعالى : ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ ﴾ [الرعد - الآية ٦]

وهذه استعارة والمراد بها مضي المثالات وهي العقوبات للامم السالفة قبلهم وتقدمها امامهم وقولهم خلت الدار أي مضى سكانها عنها وخلوا هم أي مضوا عن الدار^(٢) وتركوها وقولهم القرون الخالية أي الماضية والعقوبات على الحقيقة لم تمض وإنما مضى المعاقبون بها والمصابون بمكروها^(٣) فكانهم

(١) ط . لم ترد فيها لفظة (من) .

(٢) ن . الديار في الموضعين .

(٣) ن . (والمصابون بمكروها) زيادة على ما في ط .

ذكروا بالعقوبات الواقعة فيهم ليعتبروا بها ويحذروا^(١) من وقوع مثلها .

٢١٨ - وقوله تعالى : ﴿ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ﴾

[الرعد - الآية ٨]

وهذه استعارة عجيبة لأن حقيقة الغيض إنما يوصف بها الماء دون غيره يقال غاص الماء وغضته ولكن النطفة لما كانت تسمى ماء جاز أن توصف الأرحام بأنها تغيض في قرارها وتشتمل على نقاعاتها فيكون ما غاضه من ذلك الماء سبباً لزيادته بأن يصير علقه ثم مضغه ثم خلقة مصورة فذلك معنى قوله ﴿ وما تزداد ﴾ وقيل : أيضاً معنى تغيض الأرحام أي ما تنقص باستساق العلق واخراج الخلق ومعنى ما تزداد أي ما تلده لتمام وتؤدي خلقه على كمال فيكون الغيض ههنا عبارة عن النقصان والازدياد عبارة عن التمام .

٢١٩ - وقوله تعالى : ﴿ وَيَسْبَحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ ﴾

[الرعد - الآية ١٣]

وهذه استعارة لأن التسبيح^(٢) في الأصل تنزيه الله سبحانه عن شبه المخلوقات وتبرئته من مدانس الاعمال وقبائح الافعال وهذا لا يتأتى من الرعد الذي هو اصطكاك اجرام السحاب بعضها ببعض والمراد والله اعلم ان أصوات الرعد تقوى بها الدلالة على عظيم قدرة الله سبحانه وبعده عن شبه الخليفة المقدر وصفات البرية المدبرة إذ كان الرعد كما قلنا إنما تغلظ اصواته وتعظم هذاته على^(٣) حسب تعاضم صفحات^(٤) السحاب الممتدة وتراكم الغيوم المطبقة وهي من هذه الاحوال من ثقل اجرامها وتكاثف غمامها معلقة

(١) ن . ويحذروا من وقوع مثلها ، زيادة على ما في ط .

(٢) ن . لأن أصل سبّح .

(٣) ن . خلت من (عل) .

(٤) ن . صحائف .

بمناطات الهواء الرقيق الذي^(١) لولا دعائم القدرة وسماكتها وعلائق الجبرية ومساكنها لما حمل عشر معشارها ولا استقل ببعض اجزائها ومن عجيب أحواله أيضاً ما ذكرناه من ثاقل أردافه وتعاضل التفافه بنفس انفشاش الهباء المتداعي والغناء المتلاشي ﴿إن في ذلك لعلبة لأولي الأبصار﴾^(٢) ومعنى تسبيح الرعد بحمد الله سبحانه دلالة على أفعاله التي يستحق بها الحمد كما يقول القائل هذه الدار تنطق بفناء أهلها أي تدل على ذلك بخلاء ربوعها وتهدم^(٣) عروشها وقد يجوز أن يكون معنى ﴿ويسبح الرعد بحمده﴾ أن الرعد يضطر الناس إلى تسبيح الله تعالى عند سماعه فحسب وصفه بالتسبيح لأجل ذلك إذ كان هو السبب فيه وهذا معروف في كلامهم .

٢٢٠ - وقوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظُلْماً لَهُمُ الْغُذُو وَالْأَضَالُ﴾

[الرعد - الآية ١٥]

وهذه استعارة لان السجود في اللغة الخضوع والتذلل إما باللسان الناطق عن الجملة أو بآثار الصنعة وعجائب الخلقة ثم نقل فصار اسماً لهذا العمل المخصوص الذي هو من أركان الصلاة لانه يدل على تذلل الساجد لخالقه بتطامن شخصه وانحناء ظهره وقد ذكر في بعض الاخبار ان جدنا جعفر ابن محمد عليه السلام سئل عن العلة فيما كلفنا الله تعالى من أعمال الصلاة وسائر العبادات فقال: أراد الله سبحانه بذلك إذلال الجبارين فاذا تمهد ما ذكرنا^(٤) كان في ذكر سجود الظلال فائدة حسنة وهي ان الظل الذي هو في الشخص^(٥) وهو غير قائم بنفسه اذا ظهرت فيه اعلام الخضوع للخالق بما فيه

(١) ط . خلت من (الذي) .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٣ وسورة التور الآية ٤٤ .

(٣) ن . وهدم عروشها .

(٤) ن . خلت من (كان) وط . خلت من السجود .

(٥) ط . في سجود الشخص .

من دلائل الحكمة وعجائب الصنعة كان ذلك أعجب من ظهور هذه الحال في البلية القائمة بنفسها والمعرفة بشخصها .

٢٢١ - وقوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُثَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴾

[الرعد - الآية ١٧]

وهذه استعارة والمراد بضرب الأمثال والله اعلم معنيان : أحدهما أن يكون تعالى أراد بضربها تسيرها في البلاد وإدارتها على السنة الناس من قولهم ضرب فلان في الأرض إذا توغل^(١) فيها وأبعد في أقاصيها ويقوم قوله تعالى ﴿ يضرب الله الأمثال ﴾ مقام^(٢) قوله ضرب به في البلاد والمعنى الآخر في ضرب المثل أن يكون المراد به نصبه^(٣) للناس بالشهرة تستدل عليه خواطرهم كما تستدل على الشيء المنصوب نواظرهم وذلك مأخوذ من قولهم : ضربت الخباء إذا نصبت^(٤) وثبت طنبه^(٥) واقمت عمره ، ويكون قوله تعالى : ﴿ كذلك يضرب الله الحق والباطل ﴾ على^(٦) هذا الوجه أي^(٧) ينصب مناهما ويوضح اعلامهما ليعرف المكلفون الحق بعلاماته فيقصده ويعرفوا الباطل بسماته^(٨)

٢٢٢ - وقوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾

[الرعد - الآية ٣٣]

(١) ن . إذا توغل .

(٢) ن . ويقوم قوله تعالى ضرب الأمثال في البلاد مقام قوله ضرب بها .

(٣) ن . بصفة .

(٤) ن . بتأنيث ضمائر المفعولات .

(٥) من طَبَّ الخيمة : شدّها بالاطتاب .

(٦) ط . إلى هذا الوجه .

(٧) ن . خلعت من (أي) .

(٨) ط . خلعت من سماته .

وهذه استعارة والمراد بها انه تعالى مخصص^(١) على كل نفس ما^(٢) كسبت ليجازيها به^(٣). وشاهد ذلك قوله سبحانه ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بَدِينًا لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دَمَتَ عَلَيْهِ قَائِلًا﴾^(٤) أي ما دمت له مطالباً ولأمره مراقباً^(٥) لا تمهله للحيلة ولا تنظره لليلة وقد استقصينا الكلام على ذلك في كتابنا الكبير وإذا لم يصح إطلاق صفة^(٦) القيام على الله سبحانه حقيقة كان المراد^(٧) بها قيام احصائه على كل نفس بما كسبت ليطالبها به ويجازيها بحسبه والقيام والدوام ههنا بمعنى واحد والماء الدائم هو القائم الذي لا يجري .

٢٢٣ - وقوله تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ [الرعد - الآية ٤١]

وهذه استعارة وقد اختلف الناس في المراد بها فقال قوم معنى ذلك نقصان ارض المشركين بفتحها على المسلمين وقال آخرون المراد بنقصائها موت أهلها وقيل: موت علمائها وعندى في ذلك قول آخر وهو ان يكون المراد بنقص الارض والله أعلم موت كرامها وتكون الأطراف ههنا جمع طرف لاجمع طرف والطرف هو الشيء الكريم ومنه^(٨) سمي الفرس طرفاً اذا كان كريماً وعلى ذلك قول أبي الهندي^(٩) الرياحي :

شربنا شربة من ذات عرق بأطراف الزجاج من العصير
أي بكرائم الزجاج ولم يمض في هذا قول لأحد من العلماء .

(١) ن . يخص

(٢) ن . بما .

(٣) ن . بها .

(٤) سورة آل عمران الآية ٧٥ .

(٥) ط . راعياً .

(٦) ن . بدون (صفة)

(٧) ط . فإن المراد .

(٨) ن . ومثله .

(٩) ن . العبدي وفي ط . افند والصحيح ما ذكر .

(سورة ابراهيم)

ومن السورة التي يذكر فيها ابراهيم عليه السلام

٢٢٤ - وقوله تعالى : ﴿ وَذَكَرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾

[ابراهيم - الآية ٥]

وهذه استعارة والمراد بها والله اعلم التذكير^(١) بأيام نعم الله التي أوقعها بالماضين من أعدائه والمستحقين لعقابه^(٢) كعاد وشمود ومن جرى مجراهم وهذا كقولنا أيام العرب وإنما نريد به الأيام التي كانت فيها الوقائع المشهورة والملاحم العظيمة وقد يجوز أن تكون الأيام ههنا عبارة عن أيام النعم كما قلنا انها عبارة عن أيام النعم فيكون المعنى وذكرهم بالأيام التي أنعم الله فيها عليهم وعلى الماضين من آبائهم بوقم^(٣) الأعداء وكشف اللأواء^(٤) وأسبغ النعماء ألا ترى ان أيام العرب التي هي عبارة عن الوقائع والملاحم^(٥) يكون فيها لبعضهم الظهور والغلبة^(٦) وتلك من النعم وعلى بعضهم السوء والدائرة وتلك من النعم فالأيام إذا تذكروا لمن أراد التذكرة^(٧) بالانعام والانتقام^(٨).

(١) ن . التذكرة .

(٢) ن . (والمستحقين لعقابه) زيادة على ما في ط .

(٥) ط . لم ترد فيها (الملاحم)

(٣) ن . ونوئيم الأعداء .

(٦) ط . خلعت من (الغلبة) .

وَقَمَ : قهر . وقم الرجل : رده عن حاجته أقيح الرد

(٧) ن . التذكرة .

(٤) اللأواء : الشدة والمنعة .

(٨) ن . بالانتقام .

٢٢٥ - وقوله تعالى : ﴿ جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ ﴾ [ابراهيم - الآية ٩]

وهذه استعارة على وجه واحد من وجوه التأويلات التي حملت عليها هذه الآية وذلك أن يكون المعنى ما ذهب اليه بعضهم من أن الأيدي هنا عبارة عن حجج الرسل عليهم السلام والبيّنات التي جاءوا بها قومهم وأكدوا بها شرعهم لأن بذلك يتم لهم السلطان عليهم والتدبير لهم وقد سمي السلطان يداً في كثير من المواضع فقالوا ما لفلان على فلان يد أي ما له^(١) عليه سلطان ولا أمر ويقولون زالت يد فلان الأمير إذا عزل عن ولايته بمعنى زال سلطانه عن رعيته ويقولون أخذت هذا الأمر باليد أي بالسلطان. والحجج التي جاء بها الأنبياء أممهم قد تسمى ايدياً على ما ذكرنا فلما وصف الكفار على هذا التأويل بأنهم ردوا ايدي الانبياء في أفواههم كان المراد بذلك رد حججهم من حيث جاءت وطريق مجيئها أفواههم^(٢) فكأنهم ردوا عليهم أقوالهم وكذبوا دعواهم وفي هذا التأويل بعد وتعسف إلا أننا ذكرناه لحاجتنا اليه^(٣) لما ذهبنا مذهب من حمل قوله تعالى . ﴿ فردوا أيديهم في أفواههم ﴾ على الاستعارة لا على الحقيقة وإذا حملت الآية على حقيقة الأيدي التي هي الجوارح كان المباد بها مختلفاً فيه فمنهم من قال المراد بذلك أنهم كانوا يعضون أناملهم تغيظاً على الرسل كما يفعل المتغيظ المحق أو الواجم المفكر وقال بعضهم: بل^(٤) المراد أن المشركين أومأوا الى أفواه الانبياء بالتسكيت لهم والقطع لكلامهم وقال بعضهم: المراد بذلك ضرب من الهزء يفعله المتجأن والسفهاء إذا أرادوا الاستهزاء ببعض الناس وقصدوا الوضع^(٥) منه والازراء عليه يجعلون اصابعهم في أفواههم^(٦) ويتبعون

(١) ط . خلعت من (ماله) .

(٢) ن . أفواهها .

(٣) ن . لم ترد فيها (اليه) .

(٤) ط . المراد .

(٥) ن . الموضع .

(٦) ن . في آذانهم .

هذا الفعل بأصوات تشبهه ونجاسه^(١) يستدل^(٢) بها على قصد السخف وتعمد الفحش وهذا القول^(٣) عندي بعيد من السداد وغيره من الأقوال أولى منه بالاعتماد وقد يجوز أيضاً أن يكون المراد بذلك أن الكفار كانوا إذا بدأ الرسل عليهم السلام بكلامهم سددوا بأيديهم اسماعهم دفعة وأفواههم دفعة اظهاراً منهم لقلّة الرغبة في سماع كلامهم وجواب مقالهم ليدلوهم بذلك^(٤) الفعل على أنهم لا يصغون لهم الى مقال ولا يجيبونهم عن سؤال إذ قد أبهموا طريقي السماع والجواب وهما الأذان والأفواه وشاهد ذلك قوله سبحانه حاكياً عن نوح عليه السلام ويعنى قومه ﴿ وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً ﴾^(٥) فيكون معنى رد^(٦) ايديهم في أفواههم على القول الذي قلناه أن يسكوا أفواههم بأفهمهم كما يفعل المظهر للامتناع من الكلام ويكون إنفا ذكر تعالى ردّ الأيدي ههنا وهو يفيد فعل الشيء ثانياً بعد أن فعل أولاً لأنهم كانوا يكثرّون هذا الفعل عند كلام الرسل عليهم السلام فوصفوا في هذه الآية بما قد سبق لهم مثله وألف منهم فعله فحسن ذكر الأيدي بالرد على الوجه الذي أومأنا إليه فقد يقول القائل لغيره اردد يدك إليك بمعنى اقبضها وكفها لا يريد غير ذلك .

٢٢٦ - وقوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعَبَدَ ﴾

[ابراهيم - الآية ١٤]

وهذه استعارة لأن المقام لا يضاف إلا الى من يجوز عليه القيام وذلك مستحيل على الله سبحانه فاذا المراد به يوم القيامة لأن الناس يقومون فيه

(١) ن . خلت من (تشبهه ونجاسه) .

(٢) ن . تدل .

(٣) ط . خلت من (القول) .

(٤) ط . بهذا .

(٥) سورة نوح الآية ٧ .

(٦) ن . خلت من (رد) .

لله حساب وعرض الاعمال على الثواب وعلى (١) العقاب فقال سبحانه في صفة ذلك اليوم ﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾ (٢) وإنما أضاف تعالى هذا المقام الى نفسه في هذا الموضع وفي قوله ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ (٣) لأن الحكم في ذلك اليوم له خالصاً لا يشاركه فيه حكم حاكم (٤) ولا يجاده أمر أمر وقد يجوز (٥) ان يكون المقام ههنا بمعنى آخر وهو ان العرب تسمى المجامع التي تجتمع فيها لتدارس مفاخرها وتذاكر مآثرها مقامات ومقاوم فيجوز أن يكون المراد بالمقام ههنا الموضع الذي يحصى (٦) الله تعالى فيه على بريته محاسن اعمالهم ومقابح أفعالهم لاستحقاق ثوابه وعقابه واستيجاب رحمته وعذابه وقد (٧) يقولون هذا مقام (٨) فلان ومقامته على هذا الوجه وان لم يكن الانسان المذكور في ذلك المكان قائماً بل كان قاعداً أو مضطجعا ومن الشاهد على ذلك قوله تعالى في قصة سليمان عليه السلام ﴿أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك﴾ (٩) أي من مجلسك (١٠) وإنما (١١) سماه مقاماً مع ذكره ان سليمان عليه السلام كان جالساً فيه (١٢) لانه قال قبل أن تقوم من مقامك لأن القاعد إذا قام بعد فعوده فيه يكون قيامه وهذا من غرائب القرآن الكريم وقد استقصينا الكلام على ذلك في كتابنا الكبير .

(١) ط . خلت من (على) .

(٢) سورة المطففين الآية ٦ .

(٣) سورة الرحمن الآية ٤٦ .

(٤) ط . خلت من (حاكم) .

(٥) ن . وهو أن يكون .

(٦) ط . يقص .

(٧) ن . خلت من (وقد) .

(٨) ن . هذا فلان .

(٩) سورة النمل الآية ٣٩ .

(١٠) ط . (أي من مجلسك) زيادة على ما في ن .

(١١) ط . خلت من (إنما)

(١٢) ن . خلت من (فيه) .

٢٢٧ - وقوله تعالى : ﴿ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾

[ابراهيم - الآية ١٧]

وهذه استعارة والمراد بها^(١) لو كان الموت الحقيقي لم يكن سبحانه ليقول وما هو ميت وانما المعنى^(٢) ان غواشي الكروب وحواذب^(٣) الامور تطرقه من كل مطرق وتطلع عليه من كل مطلع وقد يوصف المغمور^(٤) بالكرب والمضغوط^(٥) بالخطب بأنه في غمرات الموت مبالغة في عظيم ما يغشاه وأليم ما يلقيه .

٢٢٨ - وقوله تعالى : ﴿ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾ [ابراهيم - الآية ١٨]

وفي هذه الآية استعارتان إحداهما قوله تعالى ﴿ اشتدت به الريح ﴾ وأصل^(٦) الاشتداد عندهم العدو والاسراع يقولون اشتد القوم إذا عدوا مسرعين فشبه سبحانه اسراع الريح في تدرية الرماد باسراع العادي الذي بعد شأوه^(٧) وامتدت غلواؤه^(٨) والاستعارة الأخرى قوله تعالى : ﴿ في يوم عاصف ﴾ وانما

(١) ط . لأن المراد بذلك .

(٢) ن . والمعنى .

(٣) من خزب الأمر الشديد يقال : نزلت به حواذب الخطوب . أي الشدائد . وهذا أمر حزين أي شديد وقعه

(٤) ط . المغموم .

(٥) ن . مضغوط .

(٦) شأوه : الشار : الأمد : أأغذا شأواً أي وشوطاً .

(٧) غلواؤه : الغلو والغلوان : أول الشيب ونشاطه .

(٨) ن . فيها زيادة على ما في ط . من قوله (وأصل الاشتداد) الى قوله (وحسن أن نقول له ذلك في آخر كلامه عن قوله تعالى : ﴿ واجتنبني وبني أن نعبد ﴾ الآية) .

الريح هي العاصفة لاشتدادها وقوتها ولكن عصوف الريح لما كان واقعاً في اليوم جاز على طريق الاتساع ان يوصف اليوم بالعصوف كما تقدم قولنا في النهار الصائم والليل القائم .

٢٢٩ - وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ - إِلَى قَوْلِهِ - وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴾

[ابراهيم - الآيات ٢٤ - إلى ٢٦]

وهاتان استعارتان لأنه وصف احد الكلمتين بالطيب ووصف الاخرى بالخبث على طريق المجاز لا على الحقيقة فالمراد بالكلمة الطيبة ههنا دعوة الايمان والاحلاص والمراد بالكلمة الخبيثة الكفر والضلال ومعنى طيبة انها زاكية نامية كالشجرة الزاكية النامية التي يرجى اوراقها وثمارها ويؤمن اخلافها واياسها فتنفعها مأمول وضريرها مأمون والكلمة الخبيثة التي هي دعوة الكفر كالشجرة الخبيثة المقتلعة لا أصل لها ثابت ولا فرع ثابت وهي مخلفة الأثمار وشبكة الانقلاع وهذان فعلا^(١) عجيبان في ثناء الايمان وزيادته ودوامه وثبات كلمته وفي تقويض الكفر وتداعيه وسرعة انهدام منابته^(٢) والمراد بطيب الكلمة أن معناها زكي طيب وبالخبث نقيضها أن^(٣) معناها خبيث فاسد .

(١) كذا في النسخة ونظن أن الأصل : وهاتان استعارتان عجيبتان .

(٢) ربما تكون في الأصل (مبانيه)

(٣) ربما كان الأصل (وهوان) .

٢٣٠ - وقوله تعالى ﴿ وَأَحْلُوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴾ [ابراهيم - الآية ٢٨]

وهذه استعارة والمراد بها أن أئمة الكفر وقادة الشرك لما كانوا كالأزمة المتبعة والرؤوس المتقدمة وكان قومهم يعيشون الى نارهم ويصغون الى اقوالهم اذ ادوهم الى الضلال وارردوهم موارد الخسار وشبهوا بقيادة الجموع وجرار^(١) الجيوش إذ أنزلوا من اتبعهم منازل الهلاك واقحموهم مضايق البلاء فهلكوا واهلكوا وأوردوا ولم يصدروا « ودار البوار » هي في الحقيقة نار جهنم نعوذ بالله منها .

٢٣١ - وقوله تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ﴾

[ابراهيم - الآية ٣٣]

وهذه استعارة لأن الدائب على الحقيقة هو الانسان الكادح في مشغله والدائم على عمله فلما كان هذان النيران مسخرين في طريقتهما دائبين على مسيرهما حسن أن يوصفا بالدأب وان لم يوصفا بالنصب .

٢٣٢ - وقوله تعالى ﴿ وَاجْتَنِبْنِي وَابْنِي أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَا كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ ﴿

[ابراهيم - الآية ٣٥ - ٣٦]

وهذه استعارة لأن الاصنام على الحقيقة لا تضل أحداً وإنما يضل بها الناس لنقص العقول وغلبة الشكوك ولكن الضلال لما كان من أجلها جاز أن يكون منسوباً اليها كما يقول القائل : فتني جمال فلان وإنما هو المفتن به وحسن أن يقال ذلك لما كانت الفتنة من أجله .

(١) كذا في النسخة ونظن أن الأصل (وجراري الجيوش) واحدهم : جرار وهو قائد الالف .

٢٣٣ - وقوله تعالى : ﴿ فَاجْعَلْ أَفْتِدَاةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾

[ابراهيم - الآية ٣٧]

وهذه من أحسن الاستعارات^(١) وحقيقة الهوى من علو^(٢) الى انخفاض كالهبوط والمراد به ههنا البلاغة في صفة^(٣) الأفتدة بالنزوع الى المقيمين بذلك المكان ولو قال سبحانه تحن اليهم لم يكن فيه^(٤) من الفائدة ما في قوله سبحانه ﴿ تهوي اليهم ﴾ لأن الحنين قد يوصف به من هو مقيم في مكان والهوى يفيد انزعاج الهاوي من مستقره .

٢٣٤ وقوله تعالى ﴿ يَوْمَ^(٥) يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ [ابراهيم - الآية ٤١]

وهذه استعارة لأن الحساب لا يصح فيه القيام على الحقيقة وإنما المراد يوم يتكامل فيه الحساب ويقع الثواب والعقاب من قولهم : قام النهار اذا انتهت غايته وتكاملت زيادته ومن قولهم : قامت السوق اذا اجتمع أهلها واستمر بيعها وقد يجوز أن يكون المراد يوم يقوم أهل الحساب فجاء به تعالى على اسقاط المضاف ويقوي ذلك قوله تعالى ﴿ يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾^(٦) .

٢٣٥ - وقوله تعالى : ﴿ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ ظَرْفُهُمْ وَأَفْبَدْتُهُمْ هَوَاءً ﴾

[ابراهيم - الآية ٤٣]

وهذه استعارة والمراد بها صفة قلوبهم بالخلو من عزائم^(٧) الصبر والجلد

(٥) ط . خلت من هذه

الآية وما يتعلق بها .

(٦) المطففين ، الآية ٦ .

(٧) ن . من عزهم .

(١) ط . وهذه من محاسن الاستعارات :

(٢) ن . خلت من (الى)

(٣) ن . في وصف الأفتدة .

(٤) ن . لم يكن منه .

لعظيم الاشفاق والوجل ومن عادة العرب أن يسموا الجبان يراعة جوفاء أي ليس بين جوانحه قلب وعلى ذلك قول جرير يهجو قوماً ويصفهم^(١) بالجين :

لسل خفيف القصبات الجوفان جيشوا بمثل عامر والعلهان

وإنما وصف الجبان بأنه لا قلب له لأن القلب محل الشجاعة وإذا نفي المحل فأولى أن يتنفي الحال فيه وهذا على المبالغة في صفته بالجين^(٢) ويسمون الشيء إذا كان خالياً هواء أي ليس فيه ما يشغله إلا الهواء وعلى هذا قول الله سبحانه ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُم مَوْسَىٰ فَارغًا﴾^(٣) أي خالياً من التجلد وعاطلاً من التصبر وقيل أيضاً^(٤) في ذلك أن أفئدتهم منحرفة^(٥) لا تعي شيئاً للرعب الذي دخلها والهول^(٦) الذي استولى عليها فهي كالهواء الرقيق في الانحراف وبطلان الضبط والامتساك .

٢٣٦ - وقوله تعالى : ﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾

[ابراهيم - الآية ٤٦]

وهذه استعارة على احد القراءتين وهما لتزول بكسر اللام الأولى وفتح اللام الثانية ولتزول بفتح اللام الأولى وضم اللام الثانية وقرأنا بهذه القراءة^(٧) للكسائي وحده وقرأنا لبقية القراءة^(٨) بالقراءة الأولى فمعنى القراءة الأولى أن يكون موضع إن فيها موضع نعم لأنها قد ترد بهذا المعنى مثقلة^(٩) كقوله إن وراكبها^(١٠) ويجوز أن ترد مخففة لأن إن على أصلها قد تأتي مخففة ومثقلة ويكون المعنى واحد وكذلك أن المفتوحة قال الشاعر :

(٦) ط . القول .

(١) ن . وصفهم .

(٧) ن . وقرأنا بهذه للكسائي .

(٢) ن . في صفة الجين .

(٨) لبقية السبعة .

(٣) سورة القصص الآية ١٠ .

(٩) ن . مثله .

(٤) ط . وقيل أن معنى ذلك .

(١٠) ن . ان قد أكتها .

(٥) ط . مستحرفة .

أَكْشَرُهُ وَأَعْلَمُ أَنَّ كَلَانَا عَلَى مَا سَاءَ صَاحِبِهِ حَرِيصٌ

وَأَرَادَ أَنَّ كَلَانَا فَخْخَفَ فَإِذَا تَقَرَّرَ ذَلِكَ صَارَ تَقْدِيرُ الْكَلَامِ فِي الْآيَةِ «وَنَعَمْ
كَانَ مَكْرَهُمْ لَتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ» وَقَدْ وَرَدَتْ هَذِهِ اللَّامُ فِي مَوْضِعٍ لَيْسَ لَانَ
الْمُخَفَّفَةِ فِيهِ عَمَلٌ قَالَ الْفَرَّاءُ سَمِعْتُ الْعَرَبَ يَقُولُ الْكَرَاءَ حِينَئِذٍ لِرَخِيصٍ وَلَمْ
تَقُلْ إِنْ الْكَرَاءَ ^(١) لِرَخِيصٍ فَيَكُونُ الْمَعْنَى ^(٢) إِنْ الْجِبَالُ تَزُولُ مِنْ مَكْرَهُمْ
اسْتِعْظَامًا وَاسْتَفْظَاعًا لَوْ كَانَتْ مِمَّا تَعْقِلُ الْجِبَالُ وَتَقْدِرُ عَلَى الزَّوَالِ وَهَذِهِ اللَّامُ
هَهُنَا تَوْمِيءٌ إِلَى مَعْنَى تَكَادَ فَكَأَنَّهُ سَبَّحَانَهُ قَالَ لَتَكَادَ الْجِبَالُ مِنْ مَكْرَهُمْ ^(٣) عَلَى
الْمُبَالَغَةِ فِي وَصْفِ ذَلِكَ الْمَكْرِ بِإِزَالَةِ الْجِبَالِ وَتَحْرِيكِ الْجَمَادِ وَقَالَ بَعْضُهُمْ هَذَا
مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ
يَحْمِلْنَهَا﴾ ^(٤) فَمَعْنَى قَوْلِهِ سَبَّحَانَهُ ﴿لَتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ أَيِ مَنْ سَكَنَ الْجِبَالُ مِنْ
الْمَلَائِكَةِ وَالْإِنْسِ وَالْجِنِّ اسْتِعْظَامًا لِلْمَكْرِ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَدِينِ
اللَّهِ سَبَّحَانَهُ وَهَذَا كَقَوْلِ الْقَائِلِ وَرَدَ عَلَيَّ مِنْ فُلَانٍ مَا حَرَّكَنِي وَأَرَاكِنِي ^(٥)
وَأَقَامَنِي وَأَقْعَدَنِي يَرِيدُ اسْتِعْظَامَ الْحَالِ الْوَارِدِ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلِهِ وَأَمَّا مَنْ جَعَلَ إِنْ
هَهُنَا بِمَعْنَى مَا فَقَدَرُ اللَّامُ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى «وَمَا كَانَ مَكْرَهُمْ لَتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ»
فَإِنَّ الْكَلَامَ يُخْرِجُ بِذَلِكَ عَنْ حُدِّدِ اسْتِعَارَةِ لَانَ فِيهِ وَصَفَ كَيْدَهُمْ بِأَلْهَوَانٍ
وَحَقِيرِ الشَّأْنِ .

٢٣٧ - وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿يَوْمَ تُبْذَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ﴾
[إِبْرَاهِيمَ - الْآيَةُ ٤٨]

وهذه استعارة لأن المراد بها على بعض الأقوال تغيير هيئة الأرض والسماء
إلى هيئة غيرها وصورة مخالفة لصورتها وإن كانتا جميعاً بأبقيتي الأعيان ثابتتي
الأوضاع وهذا معروف في كلامهم أن يقولوا للرجل إذا قبح بعد شارته أو
شحب بعد نضارته قد جئتنا بغير الوجه الذي نعرفه وليس أنت الرجل الذي
كنا نشاهده فالمراد أن الأعراض تغايرت والهيئات تغيرت والعين قائمة بحالها
وداعية إلى نفسها .

(٤) كذا في النسخة ولعل لفظة تزول ساقطة

(٥) سورة الأحزاب

(٦) من ركا : أقام وأركب أركاء حال .

(٢) ن . ان الكراء رخيص .

(٣) فيكون المراد .

سورة الحجر

ومن السورة التي يذكر فيها الحجر

٢٣٨ - وقوله تعالى : ﴿ كَذَّبَكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴾

[الحجر - الآية ١٢]

وهذه استعارة وأصل السلك ادخال الشيء في الشيء باستكباره على الدخول فيه أو ادخال أحد الشئيين في الآخر وفي أحدهما ضيق عن صاحبه وعلى المعنى الاول قوله تعالى ﴿ ما سلككم في سقر ﴾^(١) أي ما ادخلكم فيها على كراهة لدخولها وعليه قول الشاعر :

وكنْتُ لِرِزَّازِ خِصْمِكَ لَمْ أَعْرُدْ وَقَدْ سَلَكَوكَ فِي يَوْمٍ عَصِيبٍ
أَي ادخلوك فيه كارهاً ومثله قول الآخر :

حَتَّى إِذَا سَلَكَوْهُمُ فِي قَتَائِدَةٍ شَلَا كَمَا تَطْرُدُ الْجَمَالَ الشُّرْدَا
ومنه سمي السلك وهو الخليط الذي ينظم عليه اللؤلؤ لأن ثقبه اللؤلؤ في الأغلب تكون متضايقة فيه فاذا تقرر ذلك كان المراد بالآية إنا نوصل القول الى قلوب^(٢) المجرمين باسماهم اياه وحوشهم اليه وقلوبهم له

(١) المدثر، الآية ٤٢ . سقر : علم جهنم والكلمة ممنوعة من الصرف : السقرة : شدة وقع الشمس

(٢) في النسخة قبول المجرمين وكذا قوله وقبواهم لها كراهة عوض قلوبهم (وهو سهو من الناسخ) .

كارهة وصدورهم به ضائقة ليس أن هناك على الحقيقة إدخال شيء في شيء
وإنما المراد أن أسماعهم تؤدبه إلى قلوبهم على كره منهم فكانه سلك فيها بغير
مرادهم ولا اختيارهم .

٢٣٩ - وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴾
لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ مُسْحُورُونَ ﴿

[الحجر - الآية ١٤ - ١٥]

وهذه استعارة في القراءتين جميعاً على قراءة من قرأ سكرت بالتشديد
وقراءة من قرأ سكرت بالتخفيف وقرأت هذه القراءة لابن كثير وحده على أبي
حفص عمر بن ابراهيم الكتاني وعلى أبي الفرج المعافى بن زكريا القاضي وقال
أبو حفص الكتاني في بعض الروايات عن ابن كثير انه قرأ سكرت بفتح السين
وقرأت بالقراءة الأولى لبقية القراء السبعة والمعنيان واحد لأن القراءة بالتشديد
تدل على تكثير الفعل مثل ضرب وضرب و قتل وقتل وما في معنى ذلك واصل
السكر مأخوذ من قولهم سكرت الشيء أي قطعته عن سنه الذي يجري عليه
ومنه قولهم سكرت الماء اذا رددته عن مشيته في الجرية وسكرت الريح اذا
سكن هبوبها فيكون معنى سكرت أبصارنا . ههنا بالتخفيف والثقل أي :
اعترض بين منافذ الأحاط عارض منع عيوننا من أن تدرك الأشياء على حقائقها
وتتمثلها على صورها وهيئاتها يشيرون بذلك إلى أن أبصارهم سكرت فمضت
من أن ترى الأشياء على حقائقها كما تسكر المياه . أي تمنع من مجاريها
ومنافذها وقال ابو عبيدة معنى سكرت أبصارنا أي غشيت والمعنى واحد لأن
الأغشية تمنعها من أن تنفذ أنوارها ويُسرح الحاطها^(١).

٢٤٠ - وقوله تعالى : ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ ﴾ [الحجر - الآية ٢١]

(١) كذا في النسخة ولعل الأصل ونسرح .

وهذه استعارة على التاويلين جميعاً أما أن يكون لواقح جمع لاقحة فتكون الريح مشبهة لحملها السحاب المطر بالناقة اللاقحة التي حملت ماء الفحل وذلك من أحسن التمثيلات وأوقع التشبيهات لان نبات الأرض الذي يكون عن قطر السحاب بمنزلة نتاج الرياح المنشئة للسحاب. وكذلك أكثر الشعراء في اشعارهم من صفة العشب في أول طلوعه بالطفل فقالوا أطفال النبات وطفل الروض ووصفوا السحاب بأنها مرضعة فكافلة به وإن كانت لواقح ههنا في موضع ملاقح على قول من قال ذلك ففيها قولان أحدهما ان تكون في معنى ذات لقاح كقولهم هم ناصب أي ذو نصب وقد جاء في الشعر فواعل بمعنى مفاعل قال نهشل بن حري وهو من أبيات الكتاب :

ليبك يزيد ضارع لخصومه ومغتبط مما تطيح الطوائح
أي المطاوح والقول الثاني أن تكون الواحد ملقحة كأنها تلقح السحاب^(١) الماء فتكون الرياح للسحاب بمنزلة الفحول للنجائب^(٢) وهذا واضح بحمد الله .

٢٤١ - وقوله تعالى : ﴿ لَعَنَرُكُ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾

[الحجر - الآية ٧٢]

وهذه استعارة والمراد بها صفتهم بالتردد في غيهم والتسكع في ضلالهم فشبه تعالى المتلدد في غمرات الغي بالتردد^(٣) في غمرات الكسر .

٢٤٢ - وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَآخُفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾

[الحجر - الآية ٨٨]

(١) الى هنا تنتهي الزيادة التي في ن .

(٢) من نُجِبَ : الفاضل النفيس في نوعه .

(٣) ن . المتردد بغير حرف الجر .

وهذه استعارة والمراد بها أن كنفك لهم ودم على لطفك بهم

٢٤٣ - وقوله تعالى ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾

وهذه استعارة على أحد التأويلين وهو أن يكون المعنى أنهم جعلوا القرآن أقساماً مجزأة كالأعضاء المعضاة فآمنوا ببعض وكفروا ببعض وقيل جعلوه أقساماً بأن قالوا هو^(١) سحر وكهانة وكذب وإحالة وأما التأويل الآخر في معنى عِضِينَ فيخرج^(٢) بهذه اللفظة عن أن تكون مستعارة وذلك أن يكون معناها على ما قاله بعض المفسرين معنى الكذب قال وهو جمع عضة كما كان في القول الأول إلا أن العضة ههنا معناها الكذب والزور وفي القول الأول معناها التجزئة والتقسيم وقد ذكر ثقات أهل اللغة في العضة وجوهاً فقالوا العضة النسيمة والعضة الكذب وجمعه عضون مثل عزة وعزير والعضة السحر والعاضة الساحر وقد يجوز أن يكون جعلوا القرآن عِضِينَ جمع عضة من السحر أي جعلوه سحراً وكهانة كما قال سبحانه حاكياً عنهم : ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ .

٢٤٤ - وقوله تعالى : ﴿فَاصْذَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾

وهذه استعارة لأن الصدع على الحقيقة إنما يصح في الأجسام لا في الخطاب والكلام والفرق والصدع والفصل في كلامهم بمعنى واحد ومن ذلك قولهم للصبب في كلامه قد طبق الفصل ويقولون فلان يفصل الخطاب أي يصيب حقائقه ويوضح غوامضه فكان المعنى في قوله سبحانه : ﴿فَاصْذَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ أي أظهر القول وبينه في الفرق بين الحق والباطل من قولهم صدع الرداء إذا شقه شقاً بيناً ظاهراً ومن ذلك صدع الزجاج إذا استطار بها الشق واستبان الكسر وإنما قال سبحانه : ﴿فَاصْذَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ ولم يقل فبلغ ما تؤمر لأن الصدع ههنا أعم ظهوراً وأشد تأثيراً وقد يجوز أيضاً أن يكون المراد بذلك والله أعلم أي بالغ في اظهار امرك والدعاء الى ربك حتى يكون الدين في وضوح الصبح لا يشكك نهجه ولا يظلم فجه مأخوذاً ذلك من الصديق وهو الصبح^(٣) وإنما سمي بذلك لبيانه ووضوح اعلانه^(٤)

(٣) ط . خلت من (وهو الصبح وإنما سمي بذلك)

(٤) ن . اعلامه .

(١) الى هنا تنتهي الزيادة التي في . ن .

(٢) بأن الكنف

سورة النحل

ومن السورة التي يذكر فيها النحل

٢٤٥ - وقوله تعالى : ﴿ يَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾

[النحل - الآية ٢]

وهذه استعارة لأن المراد بالروح ههنا الوحي الذي يتضمن احياء الخلق والبيان عن الحق ومثل ذلك قوله سبحانه ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من امرنا ﴾^(١) ومثله قوله تعالى في المسيح عليه السلام ﴿ إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه ﴾^(٢) فسماه الله تعالى روحاً على هذا المعنى لأن به حياة أمته^(٣) وبقاء شريعته وقد مضى معنى ذلك فيما تقدم من هذا الكتاب فأما قوله تعالى ﴿ ونفخ فيه من روحه ﴾^(٤) فانما أراد تعالى بذلك الروح التي خلقها ليحيي عباده بها و اضافها الى نفسه كما أضاف الارض الى نفسه إذ يقول تعالى ﴿ ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ﴾^(٥) وكان شيخنا أبو الفتح عثمان بن جني رحمه الله يقول معنى قولهم في القسم^(٦) لعمر الله ما

(١) سورة الشورى الآية ٥٢ .

(٢) سورة النساء الآية ١٧١ .

(٣) ن . حياة أمره .

(٤) سورة السجدة الآية ٩ .

(٥) سورة النساء الآية ٩٧ .

(٦) ن . خلت من (في القسم) .

فعلت ذلك أو لأفعلن ذلك إنما يريدون به القسم بحياة يحيى الله بها لا بحياة يحيى بها تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً فكان القسم^(١) إذا قسم بهذه الحياة دخل ما يخصه منها في جملة قسمه وجرى ذلك مجرى قوله : لعمرى ، فيعبر مقسماً بحياته التي أحياء الله بها والعمر^(٢) ههنا هو العُمُر ومعناه الحياة فكانت استحسَن هذا القول منه جداً وله نظائر كنت أسمعها منه عند قراءتي عليه وكان عفا الله عنه كثير الاستنباط للخبايا والاستطلاع للخفايا .

٢٤٦ - وقوله تعالى : ﴿إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِالْغَيْهِ إِلَّا يَشُقُّ الْأَنْفُسَ﴾ [النحل - الآية ٧]

وهذه استعارة على أحد التأويلين وهو أن يكون المعنى انكم^(٣) لا تبلغون هذا البلد إلا بأنصاف أنفسكم من المشقة وبعد الشقة لأن الشق أحد قسمي الشيء ومنه قولهم شقيق النفس أي قسيمها فكانه من الامتزاج بها شق منها وعلى ذلك قال الشاعر^(٤) :

من بني عامر لها شق قلبي قسمة مثلما يشق الرداء

فأما من حمل قوله تعالى ﴿إِلَّا يَشُقُّ الْأَنْفُسَ﴾ على أن معناه المشقة والنصب والكد والدأب كان الكلام على قوله حقيقة وخرج عن حد الاستعارة فكانه سبحانه قال « لم تكونوا بالغيه » إلا بمشقة النفس^(٥) .

٢٤٧ - وقوله تعالى : ﴿وَعَلَىٰ اللَّهِ فَصْدُ السَّبِيلِ وَبِهَا جَانِرٌ﴾^(٦) .

[النحل - الآية ٩]

(١) ن . القسم .

(٢) ن . والعمر .

(٣) ن . خلت من (أنكم) .

(٤) الشاعر هو بشار بن برد .

(٥) ن . يشق .

(٦) هذه الآية وما يتعلق بها غير موجودة في (ن) ومثبتة في نسخة ط .

وهذه استعارة لأن الجائر هو الضال نفسه يقال جاز عن الطريق إذا فصل عن نهجه وخرج عن سبيله ولكنهم لما قالوا طريق قاصد أي يقصد فيه مجاز إن يقولوا طريق جائر أي يجاز فيه .

٢٤٨ - وقوله تعالى : ﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴾

[النحل - الآية ٢٥]

وهذه استعارة لأن الأوزار هي الاثقال^(١) على الحقيقة وواحدها وزر والمراد بها ههنا الخطايا والآثام لأنها تجري مجرى الاثقال التي تقطع المتون وتنقض الظهور وفي معنى^(٢) ذلك قولهم فلان خفيف الظهر إذا وصفوه بقلّة العدد والعيال أو بقلّة الذنوب والآثام .

٢٤٩ - وقوله تعالى : ﴿ فَأَتَى اللَّهَ بُنْيَانُهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ ﴾ [النحل - الآية ٢٦]

وهذه استعارة لأن الاتيان ههنا ليس يراد به الحضور عن غيبة والقرب بعد تباعد^(٣) مسافة وإنما ذلك كقول القائل : أتيت من جهة فلان . أي جاءني المكروه من قبله وأتي فلان من مأمنه . أي ورد عليه الخوف^(٤) من طريق الأمن والضرب من مكان النفع .

٢٥٠ - وقوله تعالى : ﴿ فَأَلْقُوا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ ﴾ [النحل - الآية ٢٨]

وهذه استعارة وليس هناك شيء يلقي على الحقيقة وإنما المراد بذلك

(١) ط . على الحقيقة هي الاثقال .

(٢) يظهر أن كلمة (ضد) ساقطة لأن السياق يقتضيها .

(٣) ط : خلست من (تباعد) .

(٤) ن . الحق .

طلب المسألة عن ذل واستكانة والتماس وشفاعة لأن من كلامهم أن يقول
القاتل : ألقى إليّ فلان بيده أي خضع لي وسلم لأمري وقد يجوز أيضاً أن
يكون معنى فألقوا السلم أي استسلموا وسلموا فكانوا كمن طرح آلة المقارعة
ونزع شكة^(١) المحاربة وفي^(٢) معنى ذلك قوله سبحانه ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى
التهلكة﴾^(٣) أي لا تستسلموا لها وتوقعوا نفوسكم فيها .

٢٥١ - وقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾
[النحل - الآية ٤٠]

وهذه استعارة لأنه ليس هناك على الحقيقة شيء يؤمر ولا قول يسمع^(٤)
وإنما هذا القول عبارة عن تحقيق الإرادة وسرعة وجود^(٥) المراد من غير معاناة
ولا مشقة فهو إخبار عن نفاذ قدرته تعالى فإذا أراد أمراً كان لوقته من غير أن
يسطىء إيجاده أو يتقاعس إنفاذه . وذلك بمنزلة قول أحدنا في خفة اللفظ به
وسرعة التعبير عنه من غير كلفة تلحقه ولا مشقة تعترضه وعلى^(٦) هذا المعنى
يحمل قوله تعالى في أصبح التأويلين ﴿قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على
إبراهيم﴾^(٧) والمراد أنا قلنا حرارتها إلى البرودة في أسرع وقت من غير مشقة
متكلفة ولا آلة مستعملة وقيل إن معنى قوله سبحانه ﴿كن﴾ علامة للملائكة
يدلهم بها عند سماعهم لها على أنه تعالى سيحدث كذا ويفعل كذا من
محكمات التقدير ومبرمات التدبير .

(١) ن . خلعت من (في) .

(٢) الشكة : النوع من شك السلاح .

(٣) سورة البقرة الآية ١٩٥ .

(٤) سورة الأنبياء الآية ٦٩ .

(٥) ن . فيسمع .

(٦) ن . وجوب .

(٧) ط . خلعت من قوله وعلى هذا المعنى إلى قوله ولا آلة مستعملة .

٢٥٢ - وقوله تعالى : ﴿ أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ وَظِلَالُهُ مِنَ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ ۝ ﴾

[النحل - الآية ٤٨]

وهذه استعارة لان المراد بها رجوع الظلال من موضع الى موضع والظلال على الحقيقة لا تتفياً ولا تنتقل وإنما ترد الشمس عليها ثم ترجع الى ما كانت عليه بعد ان تزول الشمس عنها فالشمس^(١) هي المتقلة عليها والظلال قائمة بحالها .

٢٥٣ - وقوله تعالى في صفة النحل العسالة : ﴿ ثُمَّ كُلِّي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلًّا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ۝ ﴾

[النحل - الآية ٦٩]

وفي هذه الآية استعارتان احدهما قوله تعالى ﴿ فاسلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلًّا ﴾ على قول من جعل ذللاً حالاً للسبل^(٢) لا حالاً للنحل والذلل جمع ذلول وهي الطرق الموطأة السهلة على الحافر والمنسم تشبيهاً لها بالابل الذلل وهي التي قد عودت الترحيل^(٣) وألفت المسير والاستعارة الأخرى قوله سبحانه ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ ﴾ والمراد بذلك العسل والعسل عند المحققين من العلماء غير خارج من بطون النحل وإنما تنقله بأفواهها من مساقطه ومواقعه من اوراق الأشجار واضعاف^(٤) النبات لانه يسقط كسقوط الندى في أماكن مخصوصة وعلى أوصاف معلومة والنحل ملهمة^(٥) تتبع تلك المساقط وتعيد تلك المواضع فتنتقل العسل بأفواهها الى كواراتها والمواضع المعدة

(١) ط . والشمس

(٢) ن . حالاً للنحل والذلل جمع ذلول .

(٣) ن . الرحيل .

(٤) ط . اضغاث .

(٥) ن . مثلهم .

لها فقال سبحانه ﴿يُخْرِجُ مِنْ بَطُونِهَا﴾ والمراد من جهة بطونها وجهة بطونها أفواهاها وهذا من غوامض البيان وشرائط هذا الكلام وقد قال ^(١) بعضهم ان العسل يتولد في اعماق الأنوار [من ^(٢)] من لطيف عند النبات فاذا انتهى الى النضج عذب وحلا والنحل مدلوله على تنبع ذلك من مظانه فتقع عليه وتغمس ألسنتها فيه وترشف تلك الحلاوة منه في أفواهاها وتنقلها الى خللاياها ومغارها .

٢٥٤ - وقوله تعالى : ﴿فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾

[النحل - الآية ٨٦]

وهذه استعارة والمراد بالقاء القول والله اعلم إخراج الكلام مع ضرب من الخضوع والاستكانة او الاسرار والخفية كما قال سبحانه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ﴾ ^(٣) وفي هذا الكلام مفعول محذوف فكانه تعالى قال « تَلْقَوْنَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ » وهذا القول نزل في قوم من المؤمنين كانوا يجتمعون مع قوم من الكافرين والمنافقين ^(٤) بأرحام تلفهم وحلل تولف ^(٥) بينهم فيسقطونهم ليعرفوا منهم أخبار النبي (ص) والمؤمنين فنهوا عن مشافتهم ^(٦) والاجتماع معهم فكان المعنى تَلْقَوْنَ إِلَيْهِم الأسرار بالمودة التي بينكم ^(٧) على سبيل الاسرار والاخفاء وقد قيل إن المراد تَلْقَوْنَ إِلَيْهِم المودة فقال تعالى بالمودة كما قال سبحانه تنبت بالدهن أي تنبت الدهن على أحد التأويلين ونظير التأويل الثاني ^(٨) قوله سبحانه في ذكر الشياطين

(١) لم يرد في ط . قوله (وقد قال بعضهم) الى آخر البحث .

(٢) زيد حرف الجر غل ما في النسخة لاقتضاء الكلام ذلك .

(٣) سورة الممتحنة الآية ١ .

(٤) ط . مع قوم من المنافقين .

(٥) ط . وخلل تولد عنهم .

(٦) من ثفن : ثفن الشيء : لزمه ، نافه : جالسه والشفة هي الجماعة من الناس .

(٧) ن . نهيكم .

(٨) ط . الأول .

﴿ يلقون السمع وأكثرهم كاذبون ﴾ ^(١) أي يطلبون سماع الاخبار على وجه الاستخفاء ^(٢) والاستسار وهذا الوجه لا يصح من قوله تعالى ﴿ فآلقوا اليهم القول انكم لكاذبون ﴾ لأن الحال التي أخبر سبحانه بأن هذا الكلام ^(٣) يجري فيها هي حال القيامة وتلك حال لا يجوز فيه الاستسار بقول ولا الكتمان لسر لأن السرائر مظهرة والضمائر مصحرة وإنما المراد بهذا الكلام ما يقوله المعبودون لمن عبدتهم من الأمة إذ يقول سبحانه ﴿ وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك ﴾ ، فقال المعبودون لهم في الجواب عن ذلك إنكم لكاذبون في أنا دعوناكم الى العبادة أو في قولكم إننا آلهة وقد يجوز أيضاً أن يكون التكذيب من العابدين للمعبودين فكأنهم قالوا لهم كذبتهم في ادعائكم أنكم تستحقون العبادة من ^(٤) دون الله فلم يبق إذاً إلا الوجه الأول في معنى القاء القول وهو أن يكون على وجه الخضوع والضراعة ويكون سبب هذه الاستكانة الخوف من الله لا خوف بعض الشركاء من بعض ومثل ذلك قوله تعالى عقيب هذه الآية ﴿ وألقوا إلى الله يومئذ السلم ﴾ أي استسلموا له عن ضرع وذلة انقطاع حيلة ومن ذلك قولهم ألقى فلان يد العاني أي ذل ذل الأسير وخضع خضوع المقيهور .

٢٥٥ - وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا ﴾

[النحل - الآية ٩٤]

وهذه استعارة لأن المراد بالقدم ههنا الثبات في الدين ولما كان اصل الثبات في الشيء والاستقرار إنما يكون بالقدم حسن أن يعبر عن هذا المعنى بلفظ القدم وكأن المراد بقوله تعالى فتزل قدم بعد ثبوتها أي يضعف دينكم ويضطرب يقينكم فيكون كالقدم الزالة والقائمة المائلة .

(١) سورة الشعراء الآية ٢٢٣ .

(٢) ن . الاخفاء .

(٣) ط . لم ترد لفظة (الكلام) .

(٤) تستحقون العبادة دون الله .

٢٥٦ - وقوله تعالى : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ ۖ

[النحل - الآية ١٠٢]

وهذه استعارة لأن المراد بذلك جبرائيل عليه السلام والقدس^(١) الطهارة وإنما سمي روح القدس لأن حياة الدين وطهارة المؤمنين إنما تكون بما تحمله إلى الأنبياء عليهم السلام من الأحكام والشرائع والآداب والمصالح .

٢٥٧ - وقوله تعالى : ﴿ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي ۖ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ

مُبِينٌ ۖ

[النحل - الآية ١٠٣]

وهذه استعارة لأن المراد باللسان ههنا جملة القرآن وطريقته لا العضو المخصوص الذي يقع الكلام به وذلك كما يقول العرب في القصيدة هذه لسان فلان أي قوله قال شاعرهم .

لسان السوء تهديها الينا وحنث^(٢) وما حسبتك أن تحينا
أي مقالة السوء ومثل ذلك قول الآخر :

ندمت على لسان كان منيّ وددت بأنه في جوف عكم^(٣)

أي على قول سبق مني لأن الندم إنما يكون على الفعل والكلام لا على الاعضاء والاعيان وإنما سمي القول لساناً لأنه إنما يكون باللسان ويصدر عن اللسان^(٤) .

٢٥٨ - وقوله تعالى : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِيَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ

(١) ط . والتقديس .

(٢) ن . وحنث .

(٣) عكم : عكم المتاع : جمعه العكم : العبدل .

(٤) ن . من اللسان .

وهذه استعارة لان حقيقة الذوق إنما يكون في المطاعم والمشارب لا في الكسا والملابس وإنما خرج هذا الكلام مخرج الخبر عن العقاب النازل بهم والبلاء الشامل لهم وقد عرف في لسانهم أن^(١) يقولوا لمن^(٢) عوقب على جريمة أو أخذ بجريرة ذق غب فعلك واجن ثمة جهلك وإن كانت عقوبته ليست من جنس^(٣) ما يحس بالطعم ويدرك بالذوق فكأنه تعالى لما شملهم بالجوع والخوف على وجه العقوبة حسن أن يقول تعالى «فأذاقهم ذلك» أي أوجد لهم مرارته كما يجد الذائق مرارة الشيء المرير ووخامة الطعم الكريه وإنما قال تعالى ﴿لباس الخوف والجوع﴾ ولم يقل «طعم الجوع والخوف» لان المراد بذلك والله اعلم وصف تلك الحال^(٤) بالشمول لهم والاشتمال عليهم كاشتمال الملابس على الجلود لان ما يظهر منهم من مضيض^(٥) الجوع وأليم الخوف من سوء الاحوال وشحوب الالوان وضؤولة الاجسام كاللباس الشامل لهم والظاهر عليهم وقد استقصينا الكلام على ذلك في كتابنا الكبير .



(١) ط . أي .

(٢) ن . لئن عوقب على جرمه وأخذته أو أخذ بجريرة ذق عن فعلك كذا في النسخة .

(٣) ط . ليست مما يحس .

(٤) ن . وصف ذلك الشمول .

(٥) ط . عن مضيض .

سورة الاسراء

ومن السورة التي يذكر فيها بنو اسرائيل

٢٥٩ - وقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾
[الاسراء - الآية ١٢]

وفي هذه الآية استعارتان إحداهما قوله سبحانه ﴿ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ ﴾ والآية العلامة والمراد بمحوها والله أعلم على قول بعضهم أي جعلنا ظلمة الليل مشكلة لا يفهم معناها ولا يعلم فحواها لما استأثر الله تعالى بعلمه من المصلحة المستترة في ذلك وحقيقة المحو طمس أثر الشيء من قلوب محو الكتاب إذا طمست سطوره حتى يشكل على القارئ ويخفى على الرائي وقال قوم آية الليل القمر خاصة ومحوه تصيير^(١) تلك الطمسة في صفحته حتى يقصر^(٢) نوره عن نور الشمس لما يعلمه الله تعالى من المصلحة في ذلك وآية النهار الشمس وقال آخرون بل آيتا^(٣) الليل والنهار ضوء هذا في الجملة وظلمة هذا في الجملة لأن الضوء علامة النهار والظلمة علامة الليل على ما قدمنا ذكره والاستعارة الأخرى قوله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾ وفي ذلك وجهان أحدهما أن يكون المراد إنا جعلناها مكشوفة القناع مينة للابصار على خلاف آية الليل إذ جعلناها بهيمة الأطراف مشرجة^(٤) الغلاف والوجه الآخر أن يكون

(١) ن . يصير .

(٢) ط . حتى نقص نوره .

(٣) ن . بل آية .

(٤) من شَرَجَ : شرج الشيء : جمعه . وشرج صدره على كذا : ضمه عليه وكتمه .

معنى مبصرة أي يبصر الناس فيها ويهدون بها كما تقدم قولنا في قولهم نهار مسائم وليل قائم أي أهل هذا صيام وأهل هذا قيام وكما يقولون رجل مخبث إذا كان أهله وولده خبيثاً ورجل مضعف إذا كانت دوابه وظهوره ضعفى فعلى هذا يسمى النهار مبصراً إذا كان أهله بصراء وقد مضى الكلام على مثل ذلك فيها تقدم من الكتاب^(١).

٢٦٠ - وقوله تعالى : ﴿ وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ﴾

[الاسراء - الآية ١٣]

وهذه استعارة والمراد بالطائر ههنا والله أعلم ما يعمله الانسان من خير وشر ونفع وضر وذلك مأخوذ من زجر الطائر على مذاهب العرب لأنهم يتركون بالطائر المعترض^(٢) من ذات اليمين ويتشاءمون بالطائر المعترض من ذات الشمال ومعنى ذلك انه سبحانه يجعل عمل الانسان من الخير والشر كالطوق في عنقه بالزامه إياه والحكم عليه به وقال بعضهم معنى ذلك إنا جعلنا لكل إنسان دليلاً من نفسه على ما بيناه له وهديناه اليه والعرب تقيم العنق والرقبة مقام نفس الانسان^(٣) وجلته فتقول^(٤) لي في رقبة فلان دم ولي في رقبته دين أي عنده وفلان قد اعتق رقبة إذا اعتق عبداً أو أمة ويقول الداعي في دعائه اللهم أعتق رقبتي من النار وليس يريد العنق المخصوص وإنما يريد الذات والجملة وجعل سبحانه الطائر مكان الدليل الذي يستدل به على استحقاق الثواب والعقاب على عادة العرب التي ذكرناها في التبرك بالسائح والتشاؤم بالبارح .

٢٦١ - وقوله تعالى : ﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾

[الاسراء - الآية ٢٤]

(١) ط . خلعت ن قوله (من الكتاب)

(٢) ط . المتعرض في الموضعين .

(٣) ط . مقام الانسان نفسه .

(٤) ط . فيقولون .

وهذه استعارة عجيبة وعبارة شريفة والمراد بذلك الاخبات للوالدين وإلانة القول لهما والرفق واللطف بهما وخفض الجناح في كلامهم عبارة عن الخضوع والتذلل وهما ضد العلو والتعزز إذ كان الطائر إنما يخفض جناحه إذا ترك الطيران والطيران هو العلو والارتفاع وقد يستعار ذلك لفرط الغضب والاشتطاط^(١) فيقال قد طار فلان طيرة إذا غضب واشتط وقد أومأنا إلى هذا المعنى في ما تقدم من هذا الكتاب وإنما قال تعالى ﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة﴾ ليسين تعالى أنَّ سبب الذل هو الرحمة^(٢) والرأفة لئلا يقدر انه الخوان والضراعة وهذا من الاغراض الشريفة والأسرار اللطيفة .

٢٦٢ - وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾

[الامراء - الآية ٢٩]

وهذه استعارة وليس المراد بها اليد التي هي الجارحة على الحقيقة وإنما الكلام الأول كناية عن التقدير والكلام الآخر كناية عن التبذير وكلاهما مذموم حتى ينفذ كل منهما عند حذره^(٣) ولا يجري إلا إلى أمله وقد فسر هذا قوله سبحانه ﴿والذين إذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما﴾^(٤) .

٢٦٣ - وقوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾

[الاسراء - الآية ٤٦]

وهذه استعارة لأنه ليس هناك على الحقيقة كنان على قلب ولا وقر في سمع وإنما المراد به انهم^(٥) لاستثقالهم سماع القرآن عند أمر الله تعالى نبيه عليه السلام بتلاوته على أسماعهم وإفراغه في آذانهم كالذين^(٦) على قلوبهم

(١) ط . ولاشتطاط . (٤) سورة الفرقان الآية ٦٧ .

(٢) ط . ان سبب الذل لهما الرأفة والرحمة (٥) ن . خلت من (انهم)

(٣) ن . على حذره . (٦) ن . كالذي .

اكتة دون علمه وفي اذانهم وقر دون فهمه وإن كانوا من قبل نفوسهم أتوا
وبسوء اختيارهم أخذوا ولو لم يكن الأمر كذلك لما ذموا على اطراحه ولعذبوا
بالاضراب عن استماعه .

٢٦٤ - وقوله تعالى : ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ
هُمْ نَجْوَى ﴾

[الاسراء - الآية ٤٧]

وهذه استعارة لأن النجوى مصدر كالتقوى وإنما وصفوا بالمصدر^(١) لما في
هذه الصفة من المبالغة في ذكر ما هم عليه من كثرة تناجيهم واسرار المكاييد
بينهم والصفة^(٢) بالمصدر تدل على قوة الشيء الموصوف بذلك مثل قولهم رجل
رضا وقوم عدل وما يجري هذا المجرى .

٢٦٥ - وقوله تعالى : ﴿ وَأَتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً ﴾ [الاسراء - الآية ٥٩]

وهذه استعارة والمعنى جعلنا الناقة آية مبصرة للعاشي ومذكرة للناسي^(٣)
ومظنة لاعتبار المعبر وتفكير المفكر لأن من عجائب تلك الناقة تمخض^(٤)
الصخرة بها من غير حمل بطن ولا قرع فحلل وأنها كانت تقاسم ثمود الورد
فلها يوم ولثمود يوم قال الله تعالى ﴿ لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ﴾^(٥) فإذا
كان^(٦) يومها شربت فيه من الماء مثل^(٧) ما كانت ثمود تأخذه لسقائها
وزروعها واضرامها^(٨) وشربها وهذا من صوادع العبر وقوارع النذر وقال

(١) ن . المصدر .

(٢) ن . وصفه .

(٣) ن . للناسي

(٤) ن . بها تمخض الصخرة بها .

(٥) سورة الشعراء الآية ١٥٥ .

(٦) ن . فإذا كانت

(٧) ن . خلعت من (مثل) .

(٨) ن . واحرامها وشروعها . ولعل الأصل وأحراجها جمع حرجة وهي جماعة الإبل .

بعضهم يجوز أن يكون معنى مبصرة ههنا أي ذات إبصار والتأويلان يؤولان إلى معنى واحد .

٢٦٦ - وقوله تعالى حاكياً عن إبليس : ﴿لَاخْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلاً﴾
[الاسراء - الآية ٦٢]

وهذه استعارة على بعض التأويلات في هذه الآية وهو أن يكون الاحتناك ههنا افتعلاً من الحنك أي لأقودتهم إلى المعاصي كما تقاد الدابة بحنكها غير ممنعة على قائدها وهو عبارة عن الاستيلاء عليهم والملكة لتصرفهم^(١) كما يملك الفارس تصرف^(٢) فرسه يثني العنان تارة ويكبح اللجام مرة وقال يعقوب (ابن السكيت) في إصلاح المنطق يقال حنك الدابة يحنكها حنكاً إذا شد في حنكها الأسفل حبلاً يقودها به وقد احتنك الدابة مثل حنكها إذا فعل بها ذلك وقال بعضهم معنى^(٣) لاختنك ذريته أي لالقين في أحناكهم حلاوة المعاصي حتى يستلذوها ويرغبوا فيها ويطلبوها والقول الأول أحب إلي . وقال بعضهم معنى ذلك لاستأصلن ذريته بالاغواء ولأستقصين أهلاكهم بالإضلال لأن اتباعهم غيه وطاعتهم أمره يؤولان بهم إلى موارد الهلاك وعواقب البوار . قال الشاعر :

نشكو إليك سنة قد اجحفت واحتنكت أموالنا وجلّفت

أي اهلكت أموالنا ويقال احتنكه إذا استأصله واهلكه ومن ذلك قولهم احتنك الجراد الأرض إذا أتى على نبتها وقيل أيضاً المراد بذلك لأضيقن عليهم مجاري الأنفاس من أحناكهم بإيصال الوسوسة لهم وتضاعف الإغواء عليهم ويقال احتنك فلان فلاناً إذا أخذ مجرى النفس من حنكه فكان كالشبا في مثله والشجا في مسعله .

(١) ط . تصرفهم .

(٢) ط . تصرف .

(٣) ط . خلت من لفظة (معنى) .

٢٦٧ - وقوله تعالى (١) : ﴿ وَاسْتَفْزِرْ مِنْ أَسْتَفْزِرَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴾
 [الاسراء - الآية ٦٤]

وفي هذه الآية ثلاثة مواضع تدخل في باب المجاز: أحدها أن يكون المراد بقوله تعالى ﴿ بِصَوْتِكَ ﴾ على أحد القولين: أصوات الملاحين والمغاني . وجعل ذلك صوتاً له من حيث كان الداعي اليه والحامل عليه وهذا الوجه أصح من قول من قال إن المراد بذلك الصوت الحقيقي لأن إبليس لا صوت له يسمع في الاضلال والاعواء وإنما هي الوسوس الحفية والخدائع اللطيفة . والمجاز الثاني: قوله تعالى ﴿ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجْلِكَ ﴾ وفيه قولان يدخلان جميعاً في حيز المجاز: أحدهما أن يكون المراد به اظهار الاستهانة بمكرهه واقلال الخلل بخدائعه كما يقول القائل منا لغيره إذا أراد هذا المعنى اجهد في جبهتك واجمع لي حيلك أي اجمع لي كل ما تقدر عليه من مكاييدك والقول الآخر ما قاله بعضهم إن كل راكب في معصية الله تعالى فهو من خيل إبليس وكل ماش في مثل ذلك فهو من رجليه والفرقان جميعاً من حزيه وجنده لأنه الراضي بفعلهم والداعي إلى غيرهم وهذان القولان هما المعتمدان ولا اعتبار بقول من قال إن لابليس على الحقيقة خيلاً ورجلاً يبعثهم على الناس لأننا قد ذكرنا في عدة مواضع من كتبنا أنه لا سلطان له ولا لأحزابه من الشياطين علينا إلا بالدعاء والوسوسة ولو كان له خيل ورجل يكافحنا بهم ويلقنا بجمعهم لوجب أن نحس بوقائعهم ونألم^(١) لقوله عميم . والمجاز الثالث قوله تعالى : ﴿ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴾ فللمشاركة في الأموال وجهان أحدهما أن يكون المراد ما ينفقونه من أموالهم في المعاصي وفيما يدعوههم اليه الشيطان من المضال والمغاوي (والوجه الثاني) أن يكون المراد ما كانت الجاهلية تفعله في السائبة والبحيرة والحامي والوصيلة أي وسوس لهم بأن يجعلوا من أموالهم شيئاً

(١) هذه الآية وما يتعلق بها من بحث لم تذكر في . ط .

(٢) كذا في النسخة ولا معنى له ولعل الأصل ونألم لقوارعهم .

لعبر الله تعالى كما قال سبحانه : ﴿ لَقَالُوا هَذَا إِلَهُ بَزَعْنَاهُمْ وَهَذَا شُرَكَائُنَا ﴾ (*)
وللمشاركة في الأولاد ثلاثة وجوه : أحدها أن يستعملوا أولادهم في
يكرهه الله ويرضاه الشيطان والوجه الثاني أن يكون المراد بذلك تسميتهم
أولادهم عبد الحارث وهو إبليس عندهم وعبد العزى وعبد يغوث وعبد مناف
وما يجري هذا المجرى من أسماء الأصنام والوجه الثالث أن المراد أن
إبليس يدعوهم إلى النكاح الحرام وإذا كان عن ذلك ولد فكانه قد شارك فيه
إذ كان الداعي إلى سببه وجميع هذا الخطاب الذي خوطب به إبليس في هذه
الآية خارج على طريقة العرب إذا أرادت التخويف والتهديد والزجر والوعيد
وليس يأمر في الحقيقة لأن إبليس لو كان بهذه الأفعال مأموراً لكان بفعلها لله
مطيعاً وقد استقصينا الكلام على هذا المعنى في غير موضع من مصنفاتنا .

٢٦٨ - وقوله تعالى : ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ ﴾
[الاسراء - الآية ٧٨]

وهذه استعارة لأن الدالك المائل في كلامهم فكأنه سبحانه أمر بإقامة
الصلاة عند ميل الشمس فليل عند ميلها للزوال وقيل عند ميلها للغروب
والشمس على الحقيقة لا تميل عن موضعها ولا تزول عن مركزها^(٢) وإنما تعلو
وتنخفض^(٣) بارتفاع الفلك وانخفاضه وسيره وحركاته .

٢٦٩ - وقوله تعالى : ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ
رَهُوقاً ﴾
[الاسراء - الآية ٨١]

وهذه استعارة لأنهم يقولون زهقت نفس فلان إذا خرجت . ومنه قوله
تعالى ﴿ وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾^(٤) فالمراد والله أعلم وهلك الباطل إن
الباطل كان هالكا^(٥) تشبيهاً له بمن فاضت نفسه وانتقضت بنيته لأن الباطل لا

(١) سورة الأنعام الآية ١٣٦ .

(٢) ن . عن مكرها .

(٣) ط . أو تنخفض .

(٤) سورة التوبة الآية ٥٥ والآية ٨٥ .

(٥) ط . هلوكتاً .

٢٧٠ - وقوله تعالى : ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلِهِ ﴾ [الاسراء - الآية ٨٤]

وهذه استعارة لأن الأولى أن يكون المراد ههنا بالشاكلة والله أعلم
الطريقة التي تشاكل أخلاق الانسان وتوافق طبيعته وذلك مأخوذ من الشاكلة
وجمعها شواكل وهي الطرق المتشعبة عن المحجة العظمى فكان الدنيا ههنا
مشبهة بالطريق الأعظم وعادات الناس فيها وطبائعهم التي جبلوا عليها مشبهة
بالطرق المختلفة من ذلك الطريق الذي هو العمود واليه الرجوع وقال
بعضهم الشاكلة العلامة وأنشد :

بدت شواكل حب كنت تضمه في القلب أن هتفت في الدار ورفاء
فكانه تعالى قال : ﴿ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلِهِ ﴾ أي على الدلالة التي
لصبت لاستدلالة والأمانة التي رفعت لاهتدائه .

٢٧١ - وقوله تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ أَنُّكُمْ تَعْلَمُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ
غَشِيَةَ الْإِنْفَاقِ ﴾

[الاسراء - الآية ١٠٠]

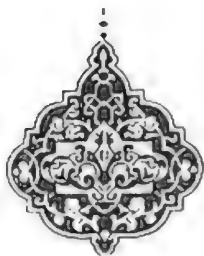
وهذه استعارة والمراد بالخزائن ههنا المواضع التي جعلها^(١) الله تعالى
جهات لدرور الرزق ومنافع الخلق وإلى تلك المواضع ترفع الأيدي عند
السؤال والرغبات واستدراك الخير والبركات .

٢٧٢ - وقوله تعالى : ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ ﴾

[الاسراء - الآية ١٠٦]

(١) ن. جعل .

وهذه استعارة ومعنى فرفناه أي بيناه للناس بنصوح مصباحه وشدوخ^(١)
 أوضحه حتى صار كمنفرق الرأس في وضوح غطّله أو كمنفرق الصبح في بيان^(٢)
 منبلجه وقد^(٣) قال بعضهم معنى فرفناه أي فصلناه سوراً وآيات فذلك بمنزلة
 فرق الشعر وهو تمييز بعضه من بعض^(٤) حتى يزول التباسه ويتخلص
 التّفافه .



(١) شدوخ . من شدخت القرة تلدخ شدخاً وشدوخاً انتشرت وسالت سيلاً فعلات الجبهة ولم تبلغ
 العينين .

(٢) ن . في ثين منبلجة

(٣) ط . خلّت من (قد) .

(٤) ن . من بعضه .

سورة الكهف

ومن السورة التي يذكر فيها الكهف

٢٧٣ - وقوله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۖ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ ۖ

[الكهف - الآية ١ - ٢]

وهذه استعارة لأن حقيقة العوج أن يكون فيما يصح عليه أن ينتصب ويميل ويضطرب ويستقيم وهذه من صفات الاجسام لا من صفات الكلام فنقول انما وصف القرآن والله أعلم بأنه قيم لا عوج فيه^(١) ذهاباً إلى نفي الاختلاف عن معانيه والتناقض في أوضاعه ومبانيه وأنه غير ناكب^(٢) عن المنهاج ولا مستمر على الاعوجاج .

٢٧٤ - وقوله تعالى : ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۖ

[الكهف - الآية ٥]

ووصف^(٣) الكلمة ههنا بالكبر استعارة والمراد أن معناها فظيع وفحواها عظيم وتقدير الكلام (كبرت الكلمة كلمة) وللنصب ههنا وجهان : أحدهما أن يكون على تفسير المضممر^(٤) مثل قولهم نعم رجلاً زيداً وبش صاحباً

(١) ن . فيها بدل فيه .

(٢) مَنْ نَكَبَ : عدل ، مال . يقال : « نَكَبَ عَنْ وَجْهِهِ » أى تنح واعرَض عني .

(٣) ن . وصف الكلمة بالكبر .

(٤) ن . نفسه .

عمرو . والوجه الآخر أن يكون على التمييز في الفعل المنفول نحو « سا . مرتفعاً وتصيب عرقاً » .

٢٨٥ - وقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً ﴾

[الكهف - الآية ٨]

وهذه استعارة لأن المراد بالجرز ههنا الأرض التي لا نبات فيها وذلك مأخوذ من قولهم ناقة^(١) جروز إذا كانت كثيرة الأكل لا يكاد لحياها^(٢) يسكنها من قضم الاعلاف ونشط الاعشاب ومن ذلك قولهم : سيف جراز إذا كان ييري المفاصل ويقط الضرائب^(٣) . وقال محمد^(٤) بن يزيد المبرد : السف الجراز الذي لا يقي من الضربة شيئاً . والاصل في هذه اللفظة أن تكون بمعنى الاستئصال ، قال ومن أمثالهم لا ترضى شائنة إلا بجُرزة أي لا يرضى المبغضة فيمن ابغضته إلا بالاستئصال وإنما سميت تلك الأرض جرزاً إذا كانت كأنها تأكل نباتها فلا تدع منه نابعة^(٥) ولا تترك طالعة ونظير ذلك قولهم أرض جداء وهي التي لا ماء فيها تشبهاً بالناقة الجداء^(٦) التي لا لبن^(٧) لها .

٢٧٦ - وقوله سبحانه : ﴿ فَضْرَبْنَا عَلَى آذَانِهِم فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾

[الكهف - الآية ١١]

وهذه استعارة لأن المراد بها منع آذانهم من استماع الأصوات وهمس الحركات قال بعضهم وذلك كالضرب على الكتاب لتشكيل حروفه فتمتنع على

(١) ن . خلت من (ناقة) .

(٢) ن . لحياها وهو حن .

(٣) ن . ضرباب .

(٤) ط . خلت من حملة الكلام الذي يبدأ به بقوله : (قال محمد بن يزيد بن عوف إلى قوله إذا بالاستئصال)

(٥) ط . نابعة .

(٦) ن . الجداء في الموضعين .

(٧) ط . بالناقة التي لا لبن فيها وهي الجداء .

القارئ قراءته وإنما دل تعالى على عدم الاحساس بالضرب على الاذان دون الضرب على الابصار لأن ذلك أبلغ في الغرض المتصود من حيث كانت الابصار قد يضرب عليها من غير عمى ولا يبطل ادراك بقية الحواس جملة وذلك عند تغميض الانسان أجفان عينيه^(١) وليس كذلك منع^(٢) الاسماع من غير صمم لأنه إذا ضرب عليها من غير صمم بالنوم الذي هو السهو على صفة دل ذلك على عدم الاحساس من كل جارحة يقع بها الادراك ولأن الأذن لما كانت طريقاً إلى الانتباه ثم ضرب عليها لم يكن سبيل الى الانتباه وفي هذا القول بعض التخليط والذي أذهب اليه في ذلك ما ذكرته في كتابي الكبير على شرح واستقصاء وهو أن يكون المراد بقوله تعالى : ﴿ فضربنا على آذانهم ﴾ والله أعلم . أي أخذنا اسماعهم فبطل استماعهم ويكون ذلك من قول القائل قد ضرب فلان على مسالي أي أخذه وحال بيني وبينه فأما تشبيه ذلك بالضرب على الكتاب حتى تشكل حروفه على المتأمل ففيه بُعد وتعسف وقد يجوز أن يكون المراد بذلك ﴿ فضربناهم على آذانهم ﴾ من الضرب الحقيقي تشبيهاً بمن ضرب على صمأخه فهو موقوذ^(٣) مأموم ومشدود مغمور .

٢٧٧ - وقوله سبحانه : ﴿ وَزَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾

[الكهف - الآية ١٤]

وهذه استعارة لأن الربط هو الشد يقال ربطت الأسير إذا شددته بالحبلى او القدو المراد بذلك شددنا على قلوبهم كما تشد الأوعية بالأوكية فتتضخم على مكنونها ويؤمن التبدد على ما استودع فيها أي فشدنا على قلوبهم لئلا تتحل معاقده صبرها وتهفو عزائم جلدتها ومن ذلك قول القائل لصاحبه : ربط الله على قلبك بالصبر .

(١) ط . تغميض الانسان عينيه .

(٢) ن . وليس كذلك مع الانسان .

(٣) من وقذ : صرع . وقذه أي ضربه شديداً حتى اشرف على الموت .

٢٦٠ - وقوله تعالى : ﴿ فَأَوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَبْعَثَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا ﴾ [الكهف - الآية ١٦]

وفي هذه الآية استعارتان إحداهما قوله تعالى ﴿ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ ﴾ . والرحمة ههنا بمعنى النعمة ولم يكن هناك شيء^(١) مطوي فينشر ولا مكنون فيظهر وإنما المراد بذلك يسبغ الله عليكم نعمته على وجه الظاهر . والشياخ دون الاخفاء والاسرار فيكون ذلك كنشر الثوب المطوي واطفائها الشيء^(٢) الخفي في شياخ الأمر وانتشار الذكر والاستعارة الأخرى قوله تعالى : ﴿ وَيَبْعَثَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا ﴾ وأصل المرفق ما ارتفق به وهو مأخوذ من المرفقة وهي التي يرتفق عليها أي يعتمد عليها بالمرفق ويقال مرفق ومرفق بمعنى واحد وقد قرئ بهما جميعاً^(٣) فكأنه سبحانه قال يبعث لكم ومن امركم ما تعتمدون عليه وتستندون اليه ويكون لظهوركم عماداً ولأعضادكم^(٤) سناداً .

٢٧٩ - وقوله تعالى : ﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوةٍ مِنْهُ ﴾ [الكهف - الآية ١٧]

وفي هذه الآية استعارتان أولاهما قوله تعالى في ذكر الشمس ﴿ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ ﴾ . لأن التزاور أصله الميل وهو مأخوذ من الزور^(٥) الذي هو الصدر فكأنه سبحانه قال إن الشمس تميل عن هذا الموضع كما تميل المتزاور عن الشيء بصدرة ووجهه وبين بذلك موقع^(٦) الكهف المشار اليه من

(١) ط . خلت من (شيء) .

(٢) ن . السر الخفي .

(٣) ط . وقد قرئ بهما جميعاً بمعنى واحد .

(٤) من العضد : القوة . فلان يعاضد فلان أي يرافقه ويعاونه .

(٥) ط . وهو الصدر .

(٦) ط . موقع .

جهات المشرق والمغرب وان الشمس لا تلحفه ثوبها عند الشروق ولا تنفض عليها صبغها عند الغروب .

والاستعارة الأخرى قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا غَرَبَت تَّقَرُّضُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ ﴾ . وفي ذلك قولان أحدهما أن يكون المراد أنها تقطعهم في ذات الشمال أي انها تموزهم عادلة بمطرح شعاعها عنهم من قولهم قرضت الشيء بالمقراض اذا فعلته به فالمقراض متجاوز لأجزائه أولاً حتى ينتهي الى آخره والقول الثاني أن يكون المراد انها تعطيهم القليل من شعاعها عند عمرها بهم ثم تسترجعه^(٢) عند انصرافها عنهم تشبيهاً بقرض المال الذي يعطيه المعطي ليسترده ويقدمه ليرتجعه ومعنى قرض المال أيضاً مأخوذاً من القطع لأن المقرض يعطي للمقرض^(٣) شقة من ماله وقطعة من حاله .

٢٨٠ - وقوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَغْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لَيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ [الكهف - الآية ٢٨١]

وهذه استعارة والمراد بها والله أعلم وكذلك أطلعنا عليهم الا ان في^(٤) لفظ الاغثار فائدة وهي مصادفة الشيء من غير طلب له ولا إحساس به وهو أطلعنا من العثار^(٥) وأصله ان الساعي في طريقه اذا صك قدمه أو نكب صبعه شيء ففي الأغلب انه يقف عليه متأملاً له وناظراً اليه فكأنه استفاد لم ذلك من غير أن تتقدم معرفته^(٦) به ومن ذلك قول القائل لعبده لا مثرن عليك بخطيئة فأعاقبك أي لا أقفن على ذلك منك^(٧) وعلى هذا قوله

(١) ن . خلت من (أن)

(٢) ط . عند مرها .

(٣) ن . يعطي المقرض

(٤) ن . خلت من حرف الجر

(٥) ن . خلت من (به) .

(٦) ن . معرفة به .

(٧) ن . لم ترد (منك)

سبحانه ﴿ فَإِنْ عَثَرَ عَلَىٰ أَنهَآ اسْتَحَقَّا أَنهَآ ﴾^(١) أي اطلع على ذلك منها واستفيد العلم من باطن^(٢) أمرهما .

٢٨١ - وقوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ﴾
[الكهف - الآية ٢٢]

وهذه استعارة لأن الرجم هنا هو القذف بالظن والقول بغير علم ومن عادة العرب أن تسمي القاتل بالظن راجماً وقاذفاً وتسمي الساب الشاتم رامياً مرأجاً ويقولون هذا الأمر غيب مرجم أي يرميه الناس بظنونهم ويقدرونه بحسابهم ومرجم إنما جاء لتكثير الفعل^(٣) كأنه يرمي من ههنا ومن ههنا وإنما سمي الظان راجماً لأنه يوجه الظن إلى غير جهة معلومة بل يظن هذا ويظن هذا كالراجم الذي لا يعلم مواقع احجاره اذا رمى بها في الجهات فتارة تقع يميناً وتارة تقع شمالاً .

٢٨٢ - وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تُطْعَمُنَّ أَغْلَانًا قُلُوبُهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبِعْ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ قَرْطًا ﴾

[الكهف - الآية ٢٨]

وهذه استعارة على احد التأويلات في هذه الآية وهو أن يكون المراد بذلك انسا^(٤) تركنا قلبه^(٥) غفلاً من السمات التي نسم بها قلوب المؤمنين فتدل على زكاء أعمالهم وصلاح أحوالهم كقوله ﴿ أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ﴾^(٦) وكذلك تشبيه بالبعير^(٧) اذا اغفل فترك بلا سمة يعرف بها

(١) سورة المائدة الآية ١٠٧ .

(٢) ن . من ناظر .

(٣) ط . لتكثير العمل .

(٤) ن . إنما .

(٥) ن . تركناه غفلاً .

(٦) سورة المجادلة الآية ٢٢ .

(٧) ن . يشبه البعير أي اعقل فيزل .

على عادة العرب في إقامة السمات مقام العلامات المميزة بين أموالهم في الموارد والمراعي وتعريف الضوال والهوافي^(١) وفي هذه الآية أقوال آخر القول الذي قدمناه أدخلها في باب الاستعارة منها أن يكون معنى^(٢) أغفلنا قلبه أي نسبناه إلى الغفلة كقول القائل « اكفرت فلاناً إذا نسبته إلى الكفر وأبخلته إذا نسبته إلى البخل » ومنها أن يكون المراد سميناه غافلاً بتعرضه^(٣) للغفلة فكان المعنى حكمنا عليه بأنه غافل كما يقول القائل : قد حكمت على فلان بأنه جاهل أي لما ظهر الجهل منه وجب هذا القول فيه . ومنها أن يكون ذلك من باب المصادفة فيكون المعنى صادفنا قلبه غافلاً كقول القائل : أحمدت فلاناً أي وجدته محموداً وذلك يؤول إلى معنى العلم فكانه تعالى قال « علمناه غافلاً » وعلى هذا قول عمرو بن معدي كرب : لله دركم يا بني سليم لقد قاتلناكم فما اجبنّاكم وما جبنّاكم فما افحمنّاكم وسألناكم فما ابخلناكم . أي لم نصادفكم على هذه الصفات من الجبن عند النزال والبخل عند السؤال والعبي عند المقال . وعلى ذلك قول نافع بن خليفة الغنوي :

سألنا فأحمدنا ابن كرم مرزاً جواداً وأبخلنا ابن كل بخيل

أي وجدنا هذا محموداً ووجدنا هذا بخيلاً مذموماً . ومما علقته عن قاضي القضاة أبي الحسن عبد الجبار بن أحمد أدام الله توفيقه عند قراءتي عليه كتابه الموسوم بتقريب الأصول في أخريات^(٤) من الكلام في التعديل والتجويز أنه لو لم يكن الأمر على ما قلناه في إغفال القلب^(٥) من أن المراد بذلك مصادفته غافلاً وكان على ما قاله الخصوم من أنه تعالى صدف به عن أمره وصرفه عن ذكره لوجب أن لا^(٦) يقول فاتبع هواه لقول القائل : أعطيته فأخذ

(١) ط . خلت من (والهوافي)

(٢) ط . هنا .

(٣) ن . يتعرض .

(٤) ن . في باب آخر .

(٥) ن . في إغفال الأمر .

(٦) ط . لوجب أن يقول .

وبسطته فانبسط واكرمته فادل أي كانت هذه الأفعال مسببة عن افعالي به لأن هنا وجه الكلام في الأغلب الاعرف^(١) فلما جاء بالواو ، صار كأنه قال ولا تطع من غفل قبله عن ذكرنا واتبع هواه لأنه إذا وجد غافلاً فهو الذي غفل والفعل حيثنذ له ومنسوب اليه .

٢٨٣ - وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَفِيضُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [الكهف - الآية ٢٩]

وفي هذه الآية استعارتان أولاهما قوله تعالى ﴿ أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾ والسرادق هو القسطنطاط المحيط بما فيه فوصف سبحانه النار بالاحاطة والاشتمال فلا ينجو منها ناج ولا يطلق منها عان كقوله تعالى ﴿ وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً ﴾^(٢) أي حبساً يحصرهم وطولاً يقصرهم ومثل قوله سبحانه ﴿ أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾ . كقوله ﴿ إنها عليهم مؤصدة ﴾ في عمد ممددة^(٣) والمؤصدة المغلقة المطبقة . وقرئ عَمَدٌ وَعُمَدٌ والمراد بقوله سبحانه ﴿ في عمد ممددة ﴾ مثل المراد بقوله ﴿ أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾ تشبيهاً بتمديد الأخبية والسرادقات بالأطناب واقامتها على الأعماد والاستعارة الأخرى قوله تعالى ﴿ وساءت مرتفعاً ﴾ والمرتفع المتكأ وهو ما يعتمد عليه^(٤) بالمرق ومنه المرفقة وهي (المخدة) وذلك نظير قوله سبحانه ﴿ ومأواهم جهنم وبئس المهاد ﴾^(٥) . فلما جاء سبحانه بذكر السرادق جاء بذكر المرافق ليتشابه الكلام ويتسق^(٦) النظام وروي عن بعضهم انه قال قال معنى مرتفعاً أي مجتمعاً كأنه ذهب إلى معنى وسائط مرافقة والمرافقة لا تكون إلا باجتماع^(٧) جماعة وهذا القول يخرج

(١) ن . لم ترد فيها لفظة (الاعرف) .

(٢) سورة الاسراء الآية ٨ .

(٣) سورة الحمزة الايتان ٨ و ٩ .

(٤) ن . خلعت من الجار والمجرور .

(٥) سورة الرعد الآية ١٨ .

(٦) ن . خلعت من (ويتسق النظام)

(٧) ط . إلا بالاجتماع .

الكلام عن حد الاسعارة ويدخله في باب الحقيقة والوجه الأول أقوى ويشهد له قوله سبحانه ﴿مَنْكِبِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نَعَمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مَرْتَفَقًا﴾^(١) فجاء بذكر الارتفاق لما قدم ذكر الاتكاء وهذا أوضح شاهد.

٢٨٤ - وقوله تعالى : ﴿كَلِمَاتُ الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أَكْلَهُمَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا﴾
[الكهف - الآية ٣٣]

وهذه استعارة لأن الظلم ههنا ليس على أصله في اللغة ولا على عرفه في الشريعة لأنه في اللغة اسم لوضع الشيء في غير موضعه^(٢) وفي الشريعة اسم للضرر المفعول لا على وجه الاستحقاق ولا فيه استجلاب نفع ولا ذوق ضرر والمراد بقوله تعالى ههنا ﴿ولم تظلم منه شيئاً﴾ أي لم تمنع منه شيئاً وإنما حسن أن يعبر عن هذا المعنى باسم الظلم من حيث كان ثمر تلك الجنة التي هي البستان كالمستحق لما لكها فإذا أخرجه على تمامه وكماله حسن أن يقال إنها لم تظلم منه شيئاً أي لم تمنع منه مستحقاً فتكون في حكم الظالم إذا أضرت بما لكها في نقصان زروعها^(٣) وإخلاف ثمارها وما يقوي ذلك قوله تعالى ﴿آتَتْ أَكْلَهُمَا﴾ أي أعطت أكلها فلما جاء بلفظ الاعطاء حسن أن يجيء بلفظ الظلم ومعناه ههنا المنع فكانه تعالى قال أعطت ما استحق عليها ولم تمنع منه شيئاً .

٢٨٥ - وقوله تعالى : ﴿وَيَجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾
[الكهف - الآية ٥٦]

وهذه استعارة وأصل الدحض الزلق ومكان دحض أي زلق فكانه سبحانه قال ليزلوا الحق بعد ثباته ويزيلوه عن مستقره^(٥) فيكون كالكسير^(٦)

(١) سورة الكهف الآية ٣١ .

(٢) ن . في غير محله .

(٣) ن . ربوعها .

(٤) من دَحَضَ : دَحَضَ الحجة : أبطلها . اندحَضَ البرهان : بطل وزال .

(٥) ط . عن مستقره .

(٦) ن . كالكسر .

بعد قوته والمائل بعد استقامته .

٢٨٦ - وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ﴾

[الكهف - الآية ٥٧]

وهذه استعارة لأن المراد بذكر اليد ههنا ما كسبه الانسان من العمل الذي يجز العقاب ويوجب النكال ومثله في القرآن كثير كقوله سبحانه ﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ ﴾ (١) وقوله تعالى (٢) ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ (٣) وذلك على طريقة للعرب معروفة وهي أن يقولوا للجاني المعاقب هذا ما جنت يداك وهذا ما كسبت يداك . وان لم تكن جنايته عملاً بيد بل كانت قولاً بفم لأن الغالب على أفعال الفاعلين ان يفعلوها بأيديهم فحمل الأمر على الأعراف وخرّج على الأكثر وعلى هذا المعنى تسمى النعمة يداً لأن النعم في الأغلب يعطي بيديه ما ينعم به وان لم يقع ذلك في كل حال . فإنما الحكم للأظهر والقول على الأكثر .

٢٨٧ - وقوله تعالى : ﴿ فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَاقْصَمَهُ ﴾
[الكهف - الآية ٧٧]

وهذه استعارة لأن الارادة على حقيقتها لا تصح على الجماد والمعنى يكاد ان ينقض أي يقارب ان ينقض على (٤) التشبيه بحال من يريد أن يفعل ؛ المباني لانه لما ظهرت فيه امارات الانقضا من ميل بعد انتصاب واضطراب بعد ثبات حسن ان يطلق عليه إرادة الوقوع على طريق الاتساع ويرد في كلامهم كاد بمعنى اراد وأراد بمعنى كاد وجاء في القرآن قوله سبحانه ﴿ كَذَلِكَ

(١) لم يرد ذكر هذه الآية في (ط)

(٢) سورة آل عمران الآية ١٨٢ . وسورة الأنفال الآية ٥١ .

(٣) سورة الشورى الآية ٣٠ .

(٤) ن . أي تقارب أن يفعل في الثاني (كذا)

كدنا ليوسف (١) أي اردنا ليوسف . وقوله تعالى ﴿ ان الساعة آتية أكاد أخفيها ﴾ (٢)
معناه على احد الاقوال اريد اخفيها ومما ورد في اشعارهم شاهداً على ذلك
قول عمر بن أبي ربيعة :

كادت وكدت وتلك خير ارادة لو عاد من هو الصباية ما مضى
فقال وتلك خير ارادة والاشارة الى كادت وكدت ووضح من هذا قول
الأفوه الأودي :

فإن تجمع اوتاد واعمدة وساكن بلغوا الأمر الذي كادوا
اي الأمر الذي أرادوا . فأما قول الشاعر :

يريد الرمح صدر أبي براء ويرغب عن دماء بني عقيل
فليس يصح حمله على مقاربة الفعل كما قلنا في قوله تعالى ﴿ جداراً يريد
أن ينقض ﴾ لانه لا يستقيم في (٣) الكلام ان يقول يكاد الرمح صدر أبي براء
وانما ذلك على سبيل الاستعارة لأن صاحب الرمح اذا اراد ذا (٤) ، كان الرمح
كأنه يريد له فأما قول الراعي : يصف الابل :

في مهمه قلقت به هاماتها قلق الفؤوس إذا اردن نصولا
فإنه (٤) بمعنى مقاربة الفعل لأن الفؤوس إذا قلقت في نُصْبِها قاربت أن
تسقط فجعل ذلك كالارادة منها والنصول ههنا (٥) مصدر نصل نصولاً مثل
وقع وقوعاً وهذا البيت من أقوى الشواهد على الآية .

(١) سورة يوسف الآية ٧٦ .

(٢) سورة طه الآية ١٥ .

(٣) ط . لا تستقيم على الكلام .

(٤) ن . ليس يصح حمله على مقاربة الفعل .

(٥) ن . خلت من (ههنا)

٢٨٨ - وقوله تعالى : ﴿ وَرَدْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجٌ فِي بَعْضٍ ﴾

[الكهف - الآية ٩٩]

وهذه استعارة لأن أصل الموجان من صفات الماء الكثير وإنما عبر سبحانه بذلك عن شدة اختلاطهم^(١) ودخول بعضهم في بعض لكثرة أعدادهم تشبيهاً بموج البحر المتلاطم والتفاف الدبا المتعاضل^(٢).

٢٨٩ - وقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي ﴾

[الكهف - الآية ١٠١]

وهذه استعارة وليس المراد ان عيونهم على الحقيقة كانت في غطاء يسترها^(٣) وحجاء يحجزها وإنما المعنى انهم كانوا ينظرون فلا يعتبرون أو تعرض لهم العبر فلا ينظرون ومن الدليل على ذلك قوله تعالى ﴿ عَنْ ذِكْرِي ﴾ لأن الأعين لا توصف بأنها في غطاء عن ذكر الله تعالى لأن ذلك من صفات^(٤) ذوي العيون وإنما المراد أن أعينهم كانت تذهب صفحاً عن مواقع العبر فلا يفكرون فيها ولا يعتبرون بها فيذكرون الله سبحانه عند إجلاله^(٥) أفكارهم وتصريف خواطرهم وهذا من غرائب القرآن وعجائبه^(٦) وغوامض هذا الكلام ومناسبه^(٧).

٢٩٠ - وقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ

أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً ﴾

[الكهف - الآية ١٠٤]

(١) ط . اختلاطهم .

(٢) من غطّل : ركب بعضهم بعض . تعاضل القوم عليه : أي تراكبوا عليه لضربوه .

(٣) ن . يستر بها وحجاب يحجبها .

(٤) ن . من صفات القلوب لا من صفات العيون .

(٥) ن . أحاطه .

(٦) ن . خلت من (عجائبه)

(٧) ن . خلت من (مناسبه) .

وهذه استعارة وأصل الضلال ذهاب الفاصد عن سنن^(١) الطريق فكان
سعيهم لما كان في غير الطريق المؤدية إلى رضا الله تعالى حسن أن يوصف
بالضلال والعدول عن سنن الرشاد .

٢٩١ - وقوله سبحانه: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ
أَعْمَالُهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزْنًا﴾
[الكهف - الآية ١٠٥]

وفي هذه الآية استعارتان إحداهما قوله سبحانه ﴿بآيات ربهم ولقائه﴾
وتأويل^(٢) لقائه ههنا على وجهين أحدهما أن يكون فيه مضاف محذوف فكانه
تعالى قال ولقاء ثوابه وعقابه أو جنته وناره والوجه الآخر أن يكون معنى ذلك
رجوعهم إلى دار لا أمر فيها لغير الله تعالى فيصرون إليها من غير أن يكون
لهم عنها محيص^(٣) أو دونها محيد وذلك مأخوذ من مقابلتك الشيء من غير أن
تصرف عنه وجهك يمينا ولا شمالا يقول القائل لقيت فلانا أي قابلته بجملي
وتقول داري تلقاء دار^(٤) فلان أي مقابلتها فكانت كل واحدة منهما كالمقبلة
على الأخرى فلما كان لا أحد يوم القيامة يستطيع انصرافا عن الوجهة التي أمر
الله سبحانه بجمع الناس إليها وحشرهم نحوها سمي ذلك لقاء الله على
السعة والمجاز والاستعارة الأخرى قوله تعالى: ﴿فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزْنًا﴾
والمراد بذلك والله أعلم اننا لم^(٥) نجد أعمالا صالحة تثقل بها موازينهم يوم
القيامة والميزان إذا كان ثقيلا سمي مستقيما وقائما وإذا كان خفيفا سمي
عائلا^(٦) ومائلا وقد يجوز أن يكون معنى ذلك انهم لا اعتداد بهم ولا نباهة

(١) ط . سن .

(٢) ن . خلت من (وتأويل لقائه)

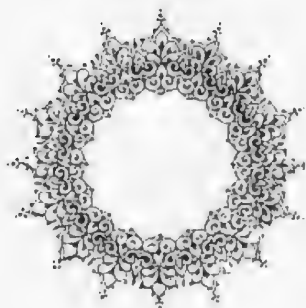
(٣) من محض : محض الشيء : خلصه من كل عيب . يقال : محض الله عن فلان ذنوبه ، أي
نقصها وطهره منها محض من المرض . يرى .

(٤) ن . كما في تلقاء فلان .

(٥) ط . لا نجد .

(٦) ط . عادلا .

لذكرهم^(١) يوم القيامة كما يقال في الحشر للشيء هذا لا وزن^(٢) له ولا قيمة له وكما تقول^(٣) فلان عندي بالميزان الراجح إذا كان كريماً عليك وحبباً اليك .



(١) ط . في يوم القيامة .

(٢) ط . ولا وزن .

(٣) ر . يقال .

سورة مريم

ومن السورة التي يذكر فيها مريم عليها السلام

٢٩٢ - وقوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾

[مريم - الآية ٤]

وهذه من الاستعارات^(١) العجيبة والمراد بذلك العبارة عن تكاثر الشيب في الرأس حتى يثمر^(٢) بياضه وينصل سواده وفي هذا الكلام دليل على سرعة تضاعف الشيب وتزايد^(٣)ه وتلاحق مدده حتى يصير في الاسراع كاشتعال لهب^(٤) النار فيعجز مطفئيه ويغلب متلافيه .

٢٩٣ وقوله تعالى ﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾ [مريم - الآية ٢٣]

وهذه استعارة والمعنى فجاء بها المخاض أو الجأها المخاض إلى جذع النخلة لتجعله سناداً لها وعماداً^(٥) لظهرها وهي التي لجأت إلى النخلة ولكن

(١) . وهذه استعارة عجيبة .

(٢) ن . تقهر كذا .

(٣) ط . وتزايد .

(٤) ط . نلت من (لهب) .

(٥) ط . أو عماداً .

ضرب المحاض لما كان سباً للملك، ليس أن ينسب الفعل اليه في الجائزها
والمجيء بها .

٢٩٤ - وقوله تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ
عَلِيًّا ﴾ [مريم - الآية ٥٠]

وهذه استعارة والمراد بذكر اللسان ههنا والله أعلم الثناء الجميل الباقي
في أعقابهم والخالف في آثارهم والعرب تقول جاءني لسان فلان تريد مدحه أو
ذمه فلما كان مصدر المدح والذم عن اللسان عبروا عنها باسم^(١) اللسان واعت
قال سبحانه ﴿ لِسَانَ صِدْقٍ ﴾ إضافة اللسان إلى افضل حالاته واشرف متعرفاته
لأن افضل أحوال اللسان ان يجبر صدقاً أو يقول حقاً .



(١) ن . عبروا عنها اسم الفسان .

سورة طه

ومن السورة التي يذكر فيها موسى عليه السلام

٢٩٥ - قوله سبحانه : ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ [طه - الآية ١٥]

وهذه استعارة على احد التأويلين وهو ما سمعته من شيخنا ابي الفتح النحوي عفا الله عنه قال الذي عليه حَدَاقٌ^(١) اصحابنا ان اكاد ههنا على بابها من معنى المقاربة إلا أن قوله تعالى ﴿ أُخْفِيهَا ﴾ يؤول إلى معنى الاظهار لأن المراد به اكاد اسلبها خفاءها والخفاء الغشاء والغطاء مأخوذ من خفاء القربة وهو^(٢) الغشاء الذي يكون^(٣) عليها فاذا سُلِبَ عن الساعة غطاؤها المانع من تجليها ظهرت للناس فراوها فكأنه تعالى قال اكاد أظهرها قال لي وانشدني ابو علي منذ أيام بيتاً هو من انطق الشواهد على الغرض الذي رمينا اليه^(٤) وكان سماعي ذلك من أبي الفتح رحمه الله وابو علي النحوي الفارسي معنا في الزمان حيثئذ باقٍ لم يمِت والبيت وهو قول الشاعر :

لقد علم الايقاظ أخفية الكرى ترججها من حالك واكتحاضا

ومعناه لقد علم الايقاظ عيوناً فجعل العين للنوم في انها مشتملة عليه

(١) من حذق : فمن كان ماهراً فهو حاذق . الحذاقي : النصيح اللسان .

(٢) ن . وهي .

(٣) ن . يلف عليها .

(٤) ط . خلت من (اليه) .

كالخفاء للقرينة في انه مشتق من قول الشاعر أخفية الكرى من الاستعارات العجيبة والبدائع الغريبة وقوله تزججها من حالك واكتحالها يعود على^(١) العيون كأنه قال تزجج العيون واكتحالها من سواد الليل وهذا لا يكون إلا مع السهر وامتناع النوم لأن العيون حينئذ بانفتاحها تكون كاللمباشرة لسواد الظلماء فيكون كالكلل لها والتزجج اسوداد العينين^(٢) من الكلل يقال زججت المرأة عينها وحاجبها إذا سودتها بالاثمد^(٣) وقال^(٤) بعضهم وهو الأصح زججت المرأة حاجبها إذا نبت^(٥) ما حولها من الشعر وقومتها وهذا البيت انشدني ابو الفتح النحوي عن أبي علي الفارسي على قوله تزججها من حالك واكتحالها وكذا ذكره ابو علي أيضاً في بعض كتبه ومربي البيت بعد ذلك في قصيدة للكميت ابن زيد طويلة فوجدته يدل على انه في صفة الحرب لانه يقول بعقب أبيات في هذا المعنى منها قوله :

محلقة الاصداغ شمطاء كَشَفَتْ عن الذعر المعود^(٦) منها فصالحا

يريد بقوله فصالحا ما كانت منفصلة فيه من ثباتها أي متبدلة ثم قال بعده :

وقد علم الايقاظ أخفية الكرى تزججها من أنف واكتحالها

والمراد قد علم المستيقظون العالمون تزجج هذه الحرب واكتحالها من أنف أي من قريب ويقول القائل اتيت أنفاً من أنف كأنه جعل الحرب بمنزلة المرأة التي تتصنع لبعْلِها وتنهى لاستهباب فحلها أراد أن الحرب قد اخذت أهبتها ليحذر القوم منها ويعدوا لها عدتها وعلى التأويل الآخر يبعد الكلام

(١) ن . لم ترد فيها (يعود على العيون كأنه قال تزجج العيون) .

(٢) ن . اسوداد العين .

(٣) الأثمد والأثمد : حجرٌ يكتحل به يعرفه علماء الكيمياء باسم انثيموان .

(٤) ط . لم يرد فيها قوله : « وقال بعضهم الى قوله وعلى التأويل الآخر » .

(٥) كذا في النسخة ولعل الأصل نبت . نبت : كنه : (الصحاح للجوهري) .

(٦) كذا في النسخة ولعل الأصل المعهود .

عن طريق الاستعارة وهو ان يكون أكاد ههنا بمعنى أريد كما فليسا في مضي
وقم الشواهد على ذلك قول الشاعر :

أمنخرم شعبان لم نقض حاجة من الحاج كنا في الأصم نكيدها

أي كنا نريدها في رجب ويكون أخفيها^(١) على موضوعه من غير ان
يعكس عن وجهه ويكون المعنى ان الساعة آتية أريد أستر وقت مجيئها لما في
ذلك من المصلحة لأنه اذا كان المراد بإقامتها المجازات على الافعال والمؤاخذه
بالأعمال كانت الحكمة في اخفاء وقتها ليكون الخلق في كل حين وزمان على
حذر من فجأتها ووجل من بغتتها فيستعدوا قبل حلولها ويمهدوا قبل نزولها
ويقوي ذلك قوله تعالى : ﴿ لتجزى كل نفس بما تسعى ﴾

٢٩٦ وقوله سبحانه ﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴾

[طه - الآية ٢١]

وهذه استعارة لأن المراد بالسيرة ههنا الطريقة والعادة وأصل السيرة
مضي الانسان في تدبير بعض الأمور على طريقة حسنة او قبيحة يقال سار^(٢)
فلان الأمير فينا سيرة جميلة وسار بنا سيرة قبيحة ولكن موسى عليه السلام لما
كان يصرف عصاه قبل أن تقلب حية في اشياء من مصلحة كما حكى الله
تعالى عنه بقوله ﴿ هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب
أخرى ﴾ ثم^(٣) قلبت حية جاز ان يقول تعالى ﴿ سنعيدها سيرتها الأولى ﴾ أي
الى الحال التي كنت تصرفها معها في المصالح المذكورة لأن تصرفها في تلك
الوجوه كالسيرة والطريقة المعروفة منها والمراد سنعيدها الى سيرتها الأولى
فانتصبت السيرة بانقطاع الجاز .

٢٩٧ - وقوله تعالى : ﴿ وَأَضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بِنِضَاءٍ مِنْ غَيْرِ
سُوءٍ ﴾

[طه - الآية ٢٢]

(١) ن . لم ترد فيها جملة (ويكون أخفيها على موضوعه من غير أن يعكس عن وجهه) .

(٢) ن . قد سار الأمة كذا .

(٣) يظهر ان (لما) سقطت من النص .

وهذه استعارة والمراد بها والله اعلم وادخل يدك في قميصك مما يلي^(١) إحدى جهتي يديك وسميت تلك الجهتان جناحين لأنها في موضع الجناحين من الطائر ويوضح عن ما ذكرناه في مكان آخر قوله تعالى ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرِّجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سَوَاءٍ﴾^(٢) والجيب في جهة إحدى اليدين .

٢٩٨ وقوله سبحانه : ﴿وَأَحْلَلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿

[طه - الآيتان ٢٧ - ٢٨]

وهذه استعارة والمراد بها إزالة لفظ كان في لسانه فعبّر عنه بالعقدة . وعبر عن مسألة إزالته بحل العقدة ملائمة بين النظام ومناسبة بين الكلام . وقد يجوز أيضاً أن يكون المراد بذلك إزالة التقيّة عن لسانه وكفايته سطوة فرعون واعوانه حتى يؤدي عن الله تعالى آمناً ويقول متمكناً فلا يكون معقود اللسان بالتقيّة ولا معكوم الفم بالخوف والمراقبة وذلك كقول القائل « لسان فلان معقود » إذا كان خائفاً من الكلام « ولسان فلان منطلق » إذا كان مقداماً على المقال .

٢٩٩ - وقوله سبحانه : ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّْي وَلِتُصْنَعَ عَلَىَّ عَيْنِي﴾

[طه - الآية ٣٩]

وفي هذه الآية استعارتان إحداهما قوله تعالى ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ حَبَّةً مِنِّْي﴾ وليس المراد أن هناك شيئاًلقى^(٣) عليه في الحقيقة ولكن المعنى إنني جعلتك بحيث لا يراك أحد إلا أحبك ومال قلبه نحو حتى أحبك فرعون وامراته فتبنياك وربّيك واسترضعا لك^(٤) وكفلاك وهذا كقول القائل على وجه فلان قبولك وليس هناك على الحقيقة شيء يوميء اليه إلا أن كل ناظر ينظر اليه

(١) ن . مما يدي إحدى .

(٢) سورة النمل الآية ١٢ .

(٣) ط . يلقي عليه .

(٤) ن . واستر صفاك .

والى^(١) وجهه بقله فله وبشره نفسه . والاستعارة الأخرى قوله تعالى : ﴿وَلْتَصْنَعْ عَلَى عَيْنِي﴾ والمراد بذلك والله أعلم أن^(٢) تتربى بحيث أراك وليس^(٣) هناك شيء يغيب عن رؤية الله سبحانه ولكن هذا الكلام يفيد الاختصاص بشدة الرعاية وفرط الحفظ والكلاءة^(٤) ولما كان الحافظ للشيء في الأغلب يديم مراعاته بعينه جاء تعالى باسم العين بدلاً من ذكر الحفظ والحراسة على طريقة المجاز والاستعارة ويقول العربي لغيره : أنت مني بمراى ومسمع يريد بذلك أنه متوفر عليه برعايته ومنصرف اليه بمراعاته وقد^(٥) يجوز أيضاً أن يكون المراد بذكر العين ههنا^(٦) بمكانه فقال ولتصنع وأنا عالم بما يفعل بك وكذلك قوله تعالى ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾^(٧) أي تجري ونحن عالمون بجريها غير خاف علينا شيء من تصرفها وحسن أن تقوم العين مقام العلم لما كانت العين طريق العلم وقال تعالى ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ ولم يقل « بعيننا » لما خاطب الجميع على طريق التفضيم والتعظيم .

٣٠٠ - وقوله تعالى : ﴿وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾

[طه - الآية ٨١]

وهذه استعارة والمراد بها اصطفتك لتبلغ^(٨) رسالي وتتعرف على إرادتي ومحبي وقال بعضهم معنى لنفسي ههنا أي لمحبي وإنما جاز أن يوقع النفس موقع المحبة لأن المحبة أخص شيء بالنفس فحسن أن تسمى بالنفس وقد^(٩)

(١) ط . خلعت من (وال وجهه) .

(٢) ن . أي لتربي .

(٣) ط . وليس أن ههنا .

(٤) من كلاً : « كلاً الله فلان » حرسه وحفظه . رعاء : يقال : « رجل كلاًه العين » أي ساهرها لا يغلبها النوم .

(٥) ط . خلعت من قوله : (وقد يجوز أيضاً أن يكون) إلى آخر الكلام عن هذه الآية .

(٦) كذا في النسخة ولعل كلمة (علمه) سها عنها قلم الناسخ .

(٧) القمر ، الآية ٥٤ .

(٨) ن . لتبليغ .

(٩) ط . فقد .

يجوز أن يكون ذلك على معنى الفذائل « اتخذت هذا الغلام لنفسى » أى جعله خاصاً لخدمتي لا يشاركني في استخدامه أحد غيري وسواء قال اتخذته لى أم اتخذته لنفسى في فائدة الاختصاص ليس أن هناك شيئاً يتعلق بالنفس على الحقيقة .

٣٠١ - وقوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ [طه - الآية ٥٠]

وهذه استعارة على أحد التأويلين والمراد بها والله اعلم أنه اكمل لكل شيء صورته واتفق خلقتة وهذا يعنى كل مصور من حيوان وجماد وغير ذلك فلا معنى لحمل من حمله على الحيوان فقط وعندى في ذلك وجه آخر وإن كان الكلام يخرج به من باب الاستعارة وهو أن يكون في الكلام تقديم وتأخير فكأنه تعالى قال « ربنا الذي أعطى خلقه كل شيء ثم هداهم إلى مطاعهم ومشاربهم ومناكبهم ومساكنهم » وغير ذلك من مصالحهم ويكون ذلك نقل قوله تعالى ﴿ وَأَنَّا كَم مِن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾ (١) ويكون المراد إنه سبحانه أعطى خلقه في أول خلقهم كل ما تراح به علمهم وتكامل معه خلقتهم من سلامة الأعضاء واعتدال الأجزاء وترتيب المشاعر والحواس ومواقع الاسماع والابصار ثم هداهم من بعد لمصالحهم ودلهم على مناهجهم (٢) واجراهم في مضى التكليف إلى غاياتهم .

٣٠٢ - وقوله تعالى : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا ﴾ [طه - الآية ٥٣]

وقد قرئ مهاداً وهذه استعارة والمراد بها تشبيه الأرض بالمهاد المفترش ليمكن الاستقرار عليها والتقلب (٣) فيها وقد مضى نظير هذه الاستعارة في تقدم ومعنى المهاد والمهد واحد وهو مثل الفرش والفراش إلا أن المهد رطب

(١) ابراهيم الآية ٣٤ وقد وردت في الأصل خطأ « وَأَنَّا كَم مِن كُلِّ شَيْءٍ مَا سَأَلْتُمُوهُ » بزيادة كلمة شيء .

(٢) ط . مناكبهم .

(٣) ن . والتمكن .

استعمل في اسم الآلة التي تعمل فيها الصبي الصغير فتحفظه^(١) وهو يؤول
إلى معنى الفراش والمهد أيضاً مصدر مهد يمهد مهداً إذا مكن موضعاً لقدمه
ومضجاً لجنبه .

٣٠٣ - وقوله تعالى : ﴿ وَغَتَّ الْوُجُوهَ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ
ثُلُمًا ﴾

[طه - الآية ١١١]

وهذه استعارة والمراد بها ما يظهر في الوجوه يوم القيامة^(٢) من آثار
الضرع^(٣) وإعلام الجزع^(٤) وذلك مأخوذ من تسميتهم الأسير العاني^(٥) ومنه
ما جاء في بعض الكلام النساء عوان عند أزواجهن أي اسراء في أيدي
الأزواج وعلى ذلك قول القائل هذه المرأة في حبال فلان لأنه بما عقده من
نكاحها كالأسر لها والمالك^(٦) لرقبها فكان الوجوه خضعت من خشية الله تعالى
خضوع الأسير الذليل في يد الأسر العزيز .

(١) طه . لتحفظه .

(٢) ن . خلت من (القيامة)

(٣) من ضرع : ذل : الضراعة : الضعف . نضرع إلى الله : ابتهل .

(٤) ن . الجوع .

(٥) العاني : من عنا عتوا صار أسيراً .

(٦) طه . والمالك .

(سورة الانبياء)

ومن السورة التي يذكر فيها الأنبياء عليهم السلام

٣٠٤ قوله سبحانه: ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً ﴾

[الأنبياء - الآية ١١]

وحقيقة القصم كسر الشيء الصلب وجعل ههنا مستعاراً للعبارة عن إهلاك الجبارين من أهل القرى اصلب ما كانوا عيदानاً وأمنع ما كانوا أركاناً .

٣٠٥ - وقوله تعالى : ﴿ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيداً

خَامِدِينَ ﴾

[الأنبياء - الآية ١٥]

وفي هذه الآية استعارتان لأنه سبحانه جعل القوم الذين أهلكتهم بعداء بمنزلة النبات المحصود الذي انيم بعد قيامه وأحمد بعد اشتغاطه واهتزازه والاستعارة الأخرى قوله تعالى ﴿خامدين﴾ والخمود من صفة^(١) النار كما كان الحصيد من صفة^(٢) النبات فكانه سبحانه شبه همود أجسادهم بعد حراكتهم بخمود النار بعد اشتغالها وقد يجوز أيضاً والله أعلم أن يكون المراد تشبيههم بالنبات الذي حصد ثم أحرق فيكون ذلك ابلغ في صفتهم بالهلاك والبود وانحاء العالم والآثار لاجتماع صفتي^(٣) الحصد^(٤) والاحراق وقال سبحانه

(١) ط . من صفات .

(٢) ط . ن صفات .

(٣) ن . صفة .

(٤) ن . الحصيد .

﴿ حصيد اخامدين ﴾ . بل حامداً كما قال ﴿ فظلت أعناقهم لها خاضعين ﴾ (١) ولم يقل خاضعة لأنه سبحانه رد معنى خاضعين (٢) على اصحاب الاعناق لا على الاعناق فكذلك يجوز رد معنى خامدين على القوم الذين أهلكوا لا على النبات الذي به شبهوا وقيل معنى ﴿ جعلناهم حصيداً ﴾ أي سلطنا عليهم السيف . فغلبهم كما تختل الزروع بالمنجل وقد جاء في الكلام جعله الله حصيد سينك . أسير خوفك .

٣٠٦ - وقوله تعالى : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾

[الأنبياء - الآية ١٨]

وهذه استعارة لأن حقيقة القذف من صفات الأشياء الثقيلة التي يرجم بها كالحجارة وغيرها فجعل سبحانه إيراد الحق على الباطل بمنزلة الحجر الثقيل الذي يرض ما صكه ويدمغ ما مسه ولما بدأ تعالى بذكر قذف الحق على الباطل وفي الاستعارة حقها وأعطاها واجبها فقال سبحانه ﴿ فيدمغه ﴾ ولم يقل فيذهبه ويطله لأن الدمغ إنما يكون عن وقوع الأشياء الثقيل على طريق الغلبة والاستعلاء فكان الحق اصاب دماغ الباطل فأهلكه والدماغ مقتل ولذلك قال سبحانه من بعد ﴿ فإذا هو زاهق ﴾ والزاهق الهالك .

٣٠٧ - وقوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾

[الأنبياء - الآية ٣٠]

وهذه استعارة لأن الرتق هو سد خصاصة الشيء ويقال رتق فلان الفتق إذا سده (٣) ومنه قيل للمرأة رتقاء إذا كان عمر الذكر منها ملتحم وأصل ذلك

(١) الشعراء الآية ٤ .

(٢) ن . رد معنى الخاضعين .

(٣) ن . إذا شده .

مأخوذ من قولهم رتق فتق الحياء والنسطاء وما يجري مجراها إذا خاطبه فكأن
السموات والأرض كانتا كالشيء المحيط بالمتصق ببعضه ففتقتهما سبحانه
بأن صدع ما بينهما بالهواء الرقيق والجو النسيج . وروي عن أمير المؤمنين علي
ابن أبي طالب عليه السلام انه قال معنى ذلك^(١) أن السماء كانت لا تمطر
والأرض لا تنبت ففتق الله السماء بالامطار والأرض بالنبات .

٣٠٨ وقوله سبحانه : ﴿ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا ﴾ [الأنبياء - الآية ٣٢]

وهذه استعارة لأن حقيقة السقف ما اظلم الانسان من علو بيت أو خباء
أو ما يجري مجرى ذلك فلما كانت السماء تظل من تحتها وتعلو على ارضها
حسن ان تسمى سقفاً لذلك ومعنى محفوطاً أي يحفظ مما لا يمكن أن يعفط
منه^(٢) سائر السقوف من الانقراج والانهدام والتشعث^(٣) والاستمرام وقد قيل
معنى ذلك حفظ السماء من مسارق السمع وتحصينها^(٤) بمقاذف الشهب .

٣٠٩ - وقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ
فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [الأنبياء - الآية ٣٣]

وهذه استعارة لأن أصل السبح هو التقلب والانتشار في الأرض ومثله
السباحة في الماء ولا يكون ذلك إلا من حيوان متصرف ولكن الله تعالى لما
جعل الليل والنهار والشمس والقمر مسخرة للتقلب في هذا الفلك الدائر
والصفائح^(٥) السائر تتعاقب فيه وتتغير وتتقارب وتتباعدها حسن ان يعبر عنها بـ

(١) ط . معنى ان السموات .

(٢) ط . من مثله .

(٣) ن . والسحب - كذا .

(٤) ن . وتخصيصها .

(٥) ن . والصفح .

يعبر به عن الحيوان المدحرف وزيدت على ذلك شيئاً فعبّر عنها بالعبارة عن الحيوان المسير ففعل بسبحون ولم يقل يسبح لأنها في الجري على الترتيب المتقن والتقدير المحكم أقوى تصرفاً من الحيوان غير المميز ولأن الله تعالى أضاف إليها الفعل على تدبير من يعقل فحسن أن يعبر عنها بالعبارة عمن يعقل مثل قوله سبحانه ﴿إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين﴾ (١) ومثل قوله تعالى ﴿قالت غلة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم﴾ (٢) فقال ادخلوا ولم يقل ادخلن (٣) لأن خطابها لما خرج على مخرج خطاب من يعقل كان الأمر لها على مثال (٤) أمر من يعقل وقد مضى الكلام على ذلك فيما تقدم .

٣١٠ - وقوله تعالى : ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ [الأنبياء - الآية ٣٧]

وهذه استعارة والمراد ان الانسان خلق مستعجلاً بطلب ما يؤثره واستصرف ما يحذره والله تعالى إنما يعطيه ما طلب ويصرف عنه ما رهب على حسب ما يعلم من مصالحه لا على حسب ما يستح من مآربه .

وقيل ذلك على طريق المبالغة في وصف الانسان بالعجلة كما يقال في الرجل الذكي إنما هو نار تتوقد والانسان البليد إنما هو حجر جلد (٥) فأما من قال من اصحاب التفسير ان العجل هنا اسم من اسماء الطين واورد عليه شاهداً من الشعر فلا اعتبار بقوله ولا التفات إلى شاهده فإنه شعر مولد وقول فاسد .

٣١١ - وقوله سبحانه : ﴿ وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ [الأنبياء - الآية ٤٦]

(١) سورة يوسف الآية ٤

(٢) سورة النمل الآية ١٨ .

(٣) ن . ادخلي .

(٤) ن . على مثل .

(٥) من جلد : الصخر - يقال : « رجل جلد » أي شديد صلب .

ولفظ النجحة ههنا مستعارة ، المراد بها إصابة الشيء ، اليسير من العذاب يقال نجح فلان فلاناً بيده ونجح الفرس فلاناً بحافره اذا اصابه إصابة خفيفة ولم يبلغ في ايلامه الغاية فكان النجحة ههنا قدر يسير من العذاب يدل وافعه على عظيم متوقعه وشاهده على فظيع غائبه .

٣١٢ - وقوله سبحانه : ﴿ ثُمَّ نَكُوسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴾ [الأنبياء - الآية ٦٥]

وهذه استعارة والمراد بها وصف ما لحقهم من الخضوع والاستكانة والاطراق عند لزوم الحجة فكانهم شبهوا بالتردي على راسه تدويحاً بتصوع^(١) البيان وابلاساً عند وضوح البرهان .

٣١ - وقوله سبحانه : ﴿ وَنَجِّنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴾ [الأنبياء - الآية ٧٤]

ولفظ القرية ههنا مستعار والمراد به الجماعة التي كانت تعمل الخبائث من أهل القرية وكشف سبحانه عن ذلك بقوله ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴾ وفي هذا الكلام خفي^(٢) عجيب لأنه تعالى جعل^(٣) لفظ أهل القرية مؤنثاً إذ كانت مؤنثة فقال : ﴿ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ ﴾ وجعل بنية الكلام مذكراً فقال : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴾ . لأن المراد به مذكر فصار الكلام في الآية على قسمين : قسم عائد على اللفظ وقسم عائد على المعنى وهذا من عجائب القرآن .

٣١٤ - وقوله تعالى : ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالِ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ [الأنبياء - الآية ٧٩]

(١) ن . بتصوع .

(٢) ط . خبر ولعل الأصل سر خفي عجيب .

(٣)

وقد مضى من الكلام في الرعد على قوله تعالى ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾ ما هو بعينه تأويل تسبيح الجبال ههنا وقد قيل في ذلك وجه آخر يخرج به الكلام^(١) عن حد الاستعارة وهو ان يكون قوله تعالى ﴿يُسَبِّحُنَّ﴾ ههنا مأخوذاً من السبح^(٢) وهو الابعاد في السير والتصرف في الارض لا من التسبيح^(٣) فكأنه قال وسخرنا مع داود الجبال يسرن في الأرض معه ويتصرفن على أمره طاعة له ونظير ذلك قوله تعالى في سبأ ﴿يَا جِبَالُ أَوْبِيْ مَعَهُ وَالطَّيْرُ﴾^(٤) أي سيري معه والتأويب السير وإنما قال سبحانه ﴿يُسَبِّحُنَّ﴾ عبارة عنها بتكثير الفعل من السبح وقال تعالى : ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾^(٥) أي تصرفاً ومتسعاً وبجلاً وبنفسها .

٣١٥ - وقوله سبحانه : ﴿وَالَّتِي أَحْصَيْتُ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُّوحِنَا﴾ [الأنبياء - الآية ٩١]

وهذه استعارة والمراد ههنا بالروح اجراء روح المسيح عليه السلام في مريم عليها السلام كما يجري الهواء بالنفخ لأنه حصل معها من غير علوق من ذكر ولا انتقال من طبق إلى طبق فأضاف تعالى الروح الى نفسه لمزية الاختصاص بالتعظيم والاصطفاء التكريم إذ كان خلقه المسيح عليه السلام من غير توسط مناكحة ولا تقدم ملازمة .

٣١٦ - وقوله سبحانه : ﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾ [الأنبياء - الآية ٩٣]

وهذه استعارة والمراد بها أنهم تفرقوا في الاهواء واختلفوا في الآراء وتقسمتهم المذاهب وتشعبت بهم الولائج ومع ذلك فجميعهم راجع إلى الله

(١) ط . من بدل عن

(٢) ط . من التسبيح .

(٣) ط . من التسبيح كذا .

(٤) سورة سبأ الآية ١٠ .

(٥) سورة المزمل الآية ٧ .

تعالى على احد وجهين أما ان يكون ذلك رجوعاً في الدنيا فيكون المعنى انهم وان^(١) اختلفوا في الاعتقادات مسانرون الى الاقرار بأن الله خالقهم ورازقهم ومصرفهم ومدبرهم أو يكون ذلك رجوعاً في الآخرة فيكون المعنى انهم راجعون إلى الدار التي جعلها الله مكان الجزاء على الأعمال وموفى^(٢) الثواب والعقاب وإلى حيث لا يحكم فيهم ولا يملك أمرهم إلا الله تعالى وشبهه تخالفهم في المذاهب وتفرقهم في الطرائق مع أن أصلهم واحد وخالقهم واحد بقوم كانت بينهم وسائل^(٣) متناسجة وخلائق متشابهة^(٤) ثم تباعدوا تباعداً قطع تلك العلائق وشذب^(٥) تلك الوصايل فصاروا اخيافاً^(٦) متفرقين واوزاعاً مختلفين .

٣١٧ - وقوله سبحانه : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾
[الأنبياء - الآية ٩٨]

وهذه استعارة لأن الحصب هو ما يرمى به من الحصباء وهي الحصى الصغار يقال حصب فلان فلاناً اذا قذفه بالحصباء ويقولون حصينا الجمار أي قذفنا فيها بالحصىات فثبه سبحانه قذفهم في نار جهنم بالحصباء التي يرمى بها من ذل مقادفهم وهوان مطارحهم وفي ذلك أيضاً معنى لطيف وهو انه سبحانه لما قال ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ ﴾ . والمراد خبيث والله أعلم أن ما تعبدونه الأصنام والأغلب عليها ان تكون من الحجارة فحس أن يسمى الرمي بها في نار جهنم حصباً وتسميتها حصباً إذ كانت حجارة ومن

(١) ن . خلت من حرف الشرط

(٢) ن . ويومي .

(٣) ن . وحبال .

(٤) ن . متاركة .

(٥) ن . وسدم . من شَذَبَ : الشيء : قطعه وقزقه .

(٦) من خيف : والأخيف : المختلفون .

٢٤٤ - وقوله تعالى : ﴿ فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾

[الحجر - الآية ٩٤]

وهذه استعارة لان الصدع على الحقيقة إنما يصح في الأجسام لا في الخطاب والكلام والفرق والصدع والفصل في كلامهم بمعنى واحد ومن ذلك قولهم للمصيب في كلامه قد طبق المفصل ويقولون فلان يفصل الخطاب أي يصيب حقائقه ويوضح غوامضه فكأن المعنى في قوله سبحانه ﴿ فأصدع بما تؤمر ﴾ أي اظهر القول وبينه في الفرق بين الحق والباطل من قولهم ^(١) صدع الرداء إذا شقه شقاً بيناً ظاهراً ومن ذلك صدع الزجاج إذا استطار بها الشق واستبان ^(٢) الكسر وإنما قال سبحانه ﴿ فأصدع بما تؤمر ﴾ ولم يقل « فبلغ ما تؤمر » لأن الصدع ههنا أعم ظهوراً وأشد تأثيراً وقد يجوز أيضاً ^(٣) أن يكون المراد بذلك والله أعلم أي بالغ في اظهار امرك والدعاء الى ربك حتى يكون الدين في وضوح الصبح لا يشكل نهجه ولا يظلم فجه مأخوذاً ذلك من الصديق وهو الصبح ^(٤) وإنما سمي بذلك لبيانه ووضوح اعلانه ^(٥) وقد يجوز ^(٦) أيضاً ان يكون المراد بقوله ﴿ فأصدع بما تؤمر ﴾ مأخوذ من المصدع وهو واحد النبال لأنه ينفذ في الرمايا والجمع مصادع مثل مشقص ومشاقص وهي السهام العراض الرؤوس أي كن في أمر الله سهماً وامض في طاعته قدماً .

(١) ن . من قوله .

(٢) ن . بان .

(٣) ن لم ترد فيها أيضاً .

(٤) ط . خلت من (وهو الصبح وإنما سمي بذلك) .

(٥) ن . أعلامه .

(٦) ط . خلت من قوله وقد يجوز الى آخر البحث .

جنس الحصباء وجار أن يسمى قذف العابدين لها في النار أيضاً بذلك حملاً على حكمها وادخالا في جملتها والفائدة في قذف الأصنام مع عابديها في نار جهنم أن تكون من زيادات عذابهم ورجحان عقابهم لأنهم إذا كثرت مشاهدتهم لها في أهوال العذاب كان ذلك اعظم لحسرتهم على عبادتها وندمهم على الدعاء اليها وقد قيل أيضاً أنها إذا حيت بوقود النار نعوذ بالله منها لصقت باجسادهم فكانت من أقوى أسباب الايلام لهم وعلى هذا التأويل حمل جماعة من المفسرين قوله تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (١) .

٣١٨ - وقوله سبحانه : ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجْلِ لِلْكَتُبِ ﴾ [الأنبياء - الآية ١٠٤]

وهذه استعارة والمراد بها على أحد القولين ابطال السماء ونقض بنيتها واعدام جملتها من قوهم طوى الدهر آل فلان إذا اهلكهم وعفى آثارهم وعلى القول الآخر يكون الطي ههنا على حقيقته فيكون المعنى أن عرض السماء يطوى حتى يجمع بعد انتشاره ويتقارب بعد تباعده اقطاره فيصير كالسجل المطوي وهو ما يكتب فيه من جلد أو قرطاس أو ثوب أو ما يجري مجرى ذلك والكتب ههنا مصدر كقولهم كتب كتاباً وكتابة وكتباً فيكون المعنى يوم نطوي السماء كطي السجل ليكتب فيه فكأنه تعالى قال كطي السجل للكتابة لأن الأغلب في هذه الأشياء التي أومأنا اليها أن تطوى قبل ان تقع الكتابة فيها لأن الطي أبلغ في التمكن منها .

(١) سورة البقرة الآية ٢٤ .

(سورة الحج)

ومن السورة التي يذكر فيها الحج

٣١٩ - وقوله سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ [الحج - الآية ١]

وهذه استعارة لأن حقيقة الزلزلة هي حركة الأرض على الحال المنزعج ومثل ذلك قولهم زلزل الله قدمه وكان الأصل أزل الله قدمه بمعنى أزالها عن ثباتها واستقامتها واسرع تعثرها وتهافتها ثم ضوعف ذلك ف قيل زلزل الله قدمه كما قيل دكه الله ودكدكه فالمراد بزلزلة الساعة والله اعلم رجفان القلوب من خوفها^(١) واضطراب الأقدام من روعة موقعها ويشهد بذلك قوله سبحانه من بعد^(٢) : ﴿ وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسَكَارَىٰ ﴾ يريد تعالى من شدة الخوف والوجل والذهول والوهل^(٣) .

٣٢٠ - وقوله سبحانه : ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهِيجٌ ﴾ [الحج - الآية ٥]

وهذه استعارة لأن المراد ههنا باهتزاز الأرض والله اعلم تشبيهها^(٤)

(١) ط . من خوف .

(٢) ط . خلت من الجار والمجرور .

(٣) ن . الوهول من وهل : ضعف فزع .

(٤) ن . تشبيهاً

بالحيوان الذي همد بعد حراره وخشع^(١) بعد تقالبله^(٢) وإشرافه . لعله طرأت عليه فاصارته إلى ذلك ثم أفاق^(٣) من تلك الغمرة وصحا من تلك السكره فتحرك بعد هموده واستهيب بعد ركوده وكذلك حال الأرض إذا أماتها الجذب وأهمدها المحل ثم حاشا إذا نضحها الغيث بسجاله وبألها القطر ببلاله فاهتزت^(٤) بالنبات فاخضرت ورطبت بعد الجفوف متربلة . ذلك تقدير العزيز العليم .

٣٢١ - وقوله تعالى : ﴿ثَانِي عَطْفِهِ يُضِلُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾

[الحج - الآية ٩]

وهذه استعارة والمراد بها والله أعلم الصفة^(٥) بالكبر والجبرية يقال قد جاء فلان ثاني عطفه وثاني جيده إذا جاء متكبراً متشاكساً وقال الشماخ :

نبئت ان ربيعاً أن رعى إبلا بهدى إلى خناه ثاني الجيد

أي شاخساً متكبراً وقد يجوز أيضاً أن يكون المراد بذلك الصفة بالاعراض عن سماع الرشد وفي العنق عن اتباع الحق لأن المستقل^(٦) لسماع الشيء الذي لا يلائمه في الاكثر يصرف دونه^(٧) بصره ويشي عنه عنقه والعطف جانب القميص وبه سمي شق الانسان عطفاً^(٨) لأن منه يكون ابتداء انعطافه وأول انحرافه ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾^(٩) .

(١) ن . وخضع

(٢) ن . تظاوله .

(٣) ن . ثم أفاق .

(٤) ن . وافتت .

(٥) ط . خلعت من قوله بالكبر والجبرية الى قوله بالاعراض عن سماع .

(٦) ط . المستقل .

(٧) ن . خلعت من الجار والمجرور .

(٨) ن . عطفه .

(٩) الإسراء ، الآية ٨٣ ، وفصلت الآية ٥١ .

٣٢٢ - وقوله سبحانه : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتُودُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ ﴾
[الحج - الآية ١١]

وهذه استعارة والمراد والله أعلم صفة الانسان المضطرب الدين الضعيف اليقين الذي لم يثبت في الحق قدمه ولا استمرت عليه مريته^(١) فأوهن شبهه تعرض له ينقاد معها ويفارق دينه لها تشبيهاً بالقائم على طرف مهواة فأذن عارض يزلقه واضعف دافع يطرحه .

٣٢٣ - وقوله سبحانه : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ ﴾
[الحج - الآية ١٨]

وهذه استعارة والمراد والله أعلم بسجود الشمس والقمر والنجوم والشجر وما ليس بحيوان مميز ما يظهر فيه من آثار الخضوع لله سبحانه وعلامات التدبير ودلائل التصريف والتسخير فحسن لذلك أن يسمى ساجداً على أصل السجود في اللغة لانه الخضوع والاستكانة أو يكون ذلك على معنى آخر وهو ان الذي يظهر في الأشياء التي عددها^(٢) من دلائل الصنعة وأعلام القدره يدعو العارفين الموقنين إلى السجود وبعثهم على الخضوع اعترافاً له سبحانه بالافتقار واختباتاً^(٣) له بالاقرار وذلك كما تقدم من قولنا في تسبيح الطير والجبال .

٣٢٤ - وقوله سبحانه : ﴿ فَأَلْذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ ﴾
[الحج - الآية ١٩]

(١) ن . ممرته كذا .

(٢) ن . عددناها .

(٣) من خبت : اخبت القوم الى الله : اطمأن اليه تعالى وخشع امامه . الخبئة : الواضع .

وهذه استعارة والمراد بها أن النار نعوذ بالله منها تشتمل عليهم اشتعال الملابس على الأبدان حتى لا يسلم منها عضو من أعضائهم ولا يغيب عنها شيء من أسجادهم وقد يجوز أيضاً أن يكون المراد بذلك والله اعلم أن سراييل القطران التي ذكرها سبحانه فقال ﴿سراييلهم من قطران﴾^(١) إذا لبسوها واشتعلت النار فيها صارت كأنها ثياب من نار لاحاطتها بهم واشتمالها عليهم .

٣٢٥ - وقوله سبحانه : ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾

[الحج - الآية ٤٦]

وهذه استعارة لأن المراد بها ذهول القلب عن التفكير في الأدلة التي تؤدي إلى العلم وذلك في مقابلة قوله تعالى ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾^(٢) فإذا وصف القلب عند تبين الأشياء بالرؤية والابصار جاز أن يوصف عند الغفلة والذهول بالعمى والضلال . وإنما جعلت القلوب ههنا بمنزلة العيون لأن بالقلوب يوصل إلى المعلومات كما أن بالعيون يوصل إلى المراتب ولأن الرؤية ترد في كلامهم بمعنى العلم الا تراهم يقولون هذا الشيء مني بمراى ومسمع وأي بحيث أعرفه وأعلمه ولا يريدون بذلك نظر العين ولا سمع الاذن وفي قوله تعالى ﴿فإنها لا تعمي الأبصار﴾ معنى عجب وسر لطيف وذلك انه تعالى لم يرد نفي العمى عن الأبصار جملة وكيف يكون ذلك وما يعرض من عمى كثير منها أشهر من أن يومأ اليه ويدل عليه وإنما المراد والله اعلم أن الابصار اذا كانت معها آلة الرؤية من سلامة الاحداق واتصال الشعاعات لم يحز ألا ترى ما لا مانع لها من الرؤية . والقلوب بخلاف هذه الصفة لانه^(٣) قد

(١) سورة ابراهيم الآية ٥٠ .

(٢) سورة النجم الآية ١١ .

(٣) ط . بها .

تكون فيها آلة التفكير والبطر من سلامة النية وصحة^(١) الرؤية وزوال الموانع العارضة ثم هي مع ذلك لاهية عن البطر ومتشاغلة عن التفكير فلذلك أفردنا الله تعالى بصفة العمى عن الابصار على الوجه الذي بيناه^(٢) فأما الفائدة في قوله تعالى ﴿ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ والقلب لا يكون إلا في الصدر فإن هذا الاسم الذي هو القلب لما كان فيه اشتراك بين مسميات كقلب الانسان وقلب النخلة والقلب الذي هو الصميم والصريح من قولهم هو عربي قلباً والقلب الذي هو مصدر قلبت الشيء قلبه قلباً حسن ان يزال اللبس^(٣) بقوله تعالى ﴿القلوب التي في الصدور﴾ . احترازاً من تجويز الاشتراك .

٣٢٦ - وقوله تعالى : ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ﴾

[الحج - الآية ٥٥]

وهذا من احسن الاستعارات لأن العقيم المرأة التي لا تلد فكأنه سبحانه وصف ذلك اليوم بأنه^(٤) لا ليل بعده ولا نهار لأن الزمان قد مضى والتكليف قد انقضى فجعلت الأيام بمنزلة الوالدات لليالي وجعل ذلك اليوم^(٥) من بينها عقيماً لا ينتج ليلاً بعده ولا يستخلف بدلاً له وقد يجوز أيضاً أن يكون المراد والله اعلم ان ذلك اليوم لا خير بعده لمستحقّي العقاب^(٦) الذين قال سبحانه في ذكرهم ﴿ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ فوصفه^(٧) بالعقم لأنه لا ينتج لهم خيراً ولا يتيح لهم فرجاً .

(١) ن . خلت من كلمتي وصحة الرؤية .

(٢) ط . وزيدت فيها (مع الفائدة) .

(٣) ن . أن يلبس .

(٤) ن . خلت من لفظة (بأنه) .

(٥) ن . خلت من (اليوم)

(٦) ن . العذاب .

(٧) ن . يوصف بالعقيم .

٣٢٧ - وقوله سبحانه : ﴿ وَإِذَا تَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيَّنَّا تَعْرِفَ فِي وُجُوهِ
الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ ﴾ [الحج - الآية ٧٢]

وهذه استعارة والمراد بها والله اعلم ان الكفار عند مرور الآيات
بأسماعهم يظهر في وجوههم من النكرة لسماعها والاعراض عن تأملها
واستماعها^(١) ما لا يخفى على المخالط لهم والناظر اليهم وذلك كقول^(٢) القائل
عرفت في وجه فلان الشر أي استدلت منه على اعتقاد المكروه وإرادة فعل
القيح ويحتمل قوله تعالى المنكر فهنا وجهين^(٣) أحدهما ان يكون المنكر ما
ينكره الغير من امرهم والآخر أن يكون ما ينكرونه من اُحجوم عليهم بتلاوة
القرآن صواع^(٤) البيان .



(١) ط . خلت من (واستماعها)

(٢) ط . لقول القائل .

(٣) ن . خلت من هذه الجملة (وجهين أحدهما أن يكون المنكر) .

(٤) من صدع الأمر : كشفه وبيّنه . مُصدع بالحق : تكلم به جهاراً وذلك مأخوذ من الصديع
وهو الصبح . وصدع الأمر بالحق : فصله .

سورة المؤمنون

ومن السورة التي يذكر فيها قد أفلح المؤمنون

٣٢٨ - وقوله سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴾
[المؤمنون - الآية ١٢]

وهذه استعارة لأن حقيقة السلالة هي أن تسل الشيء من الشيء ، فكان آدم عليه السلام لما خلق من اديم الأرض كان كأنه انسل منها واستخرج من سرها وقد صار ذلك عبارة عن محض الشيء ومصاصه وصفوته ولبابه ليس ان هناك شيئاً استل من شيء ، على الحقيقة وقد تسمى النطفة سلالة على هذا المعنى ويسمى ولد الرجل سلالة أيضاً على مثل ذلك .

٣٢٩ - وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴾
[المؤمنون - الآية ١٧]

وهذه استعارة لأن المراد بالطرائق^(١) ههنا السماوات السبع مشبهة^(٢) بطرائق النعل وواحدتها طريقة وقد تجمع أيضاً على طراق وهي قطع الجلود يجعل بعضها فوق بعض وتنظم بالخرز ويقال طارقت النعل من ذلك .

٣٣٠ - وقوله تعالى : ﴿ أَنْ أَصْنَعَ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيُنَا ﴾

[المؤمنون - الآية ٢٧]

(١) ن . بالطريق هنا .

(٢) ن . مشتملة .

وهذه استعارة والفول فيها كالقول في ﴿ ولتصنع على عيني ﴾ (١) على حد سواء فكانه سبحانه قال « واصنع الفلك بحيث نراك ونحفظك ونمنع منك من يريدك أو يكون المعنى واصنع الفلك بأعين أوليائنا من الملائكة والمؤمنين فاننا نمنعك بهم ونشدك بمعاذتهم فلا يصل اليك من أراد ولا تبلغك مرامي من كادك .

٣٣١ - وقوله تعالى : ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبَعْدًا لِلقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [المؤمنون - الآية ٤١]

وهذه استعارة والمراد والله أعلم انه عاجلهم بالاستئصال والهلاك فطاحوا كما يطيح الغثاء إذا سال به السيل والغثاء ما حملته السيول في مرها من اضغاث النبات وهشيم الاوراق وما يجري مجرى ذلك فكان أولئك القوم هلكوا ولم يحس لهم أثر كما لا يحس اثر ما طاح به السيل من هذه الأشياء المذكورة والعرب يعبرون عن هلاك القوم بقولهم : قد سال بهم السيل . فيجوز أن يكون قوله سبحانه ﴿ فجعلناهم غثاء ﴾ كناية عن الهلاك كما كنوا بقولهم سال بهم السيل عن الهلاك والمعنى فجعلناهم كالغثاء الطافح (٢) في سرعة انجفاله (٣) وهوان فقدانه .

٣٣٢ - وقوله تعالى : ﴿ وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [المؤمنون - الآية ٦٢]

وهذه استعارة والنطق لا يوصف به إلا من يتكلم (٤) بآلة وسمعت قاضي القضاة أبا الحسن يجيب بذلك من سأل هل يجوز أن يوصف القديم تعالى بأنه ناطق كما يوصف بأنه متكلم (٥) فمنع من ذلك وقال ما قدمت ذكره

(١) طه الآية ٣٩ .

(٢) ن . الطايخ .

(٣) من جفل : اسرع هرباً ، وصيره يجفل أي أفزعه .

(٤) ن . إلا من نكلم .

(٥) ط : يتكلم .

فوصف سبحانه القرآن بالنطق مبالغة في وصفه باظهار البيان واعلان البرهان تشبيهاً باللسان الناطق في الابانة عن ضميره والكشف عن مستوره .

٣٣٣ - وقوله تعالى : ﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غُمْرَةٍ مِنْ هَذَا ﴾

[المؤمنون - الآية ٦٣]

وهذه استعارة والمراد بها أن القوم الذين قال الله تعالى فيهم أمام هذه الآية ﴿ فذرهم ^(١) في غمرتهم حتى حين ﴾ ^(٢) هم الموصوفون بقوله تعالى ﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غُمْرَةٍ مِنْ هَذَا ﴾ أي في حيرة تغمرها وغمة تسترها والغمر جمع غمرة وهي ما وقع الانسان فيه من أمر مذهل وخطب مدلة ^(٣) ومثبهة بغمرات الماء التي تغمر الواقع فيها وتأخذ بكظم ^(٤) المغمور بها .

٣٣٤ - وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴾

[المؤمنون - الآية ٧١]

وهذه استعارة والمراد بها ولو كان الحق موافقاً لأهوائهم لعاد ^(٥) إلى كل ضلة ووقع في كل مضلة لأن الحق يدعو إلى المصالح والمحاسن والأهواء تدعو إلى المفسد والمقابح فلو اتبع الحق قائد الهوى لشمّل الفساد وعمّ الاختلاط وخفضت ^(٦) أعلام الهداية ورفعت منار الغواية .

(١) ط . خلت من هذه الآية .

(٢) الآية ٥٤ .

(٣) ن . مدلة .

(٤) كَظَمَ : سكت ، يقال أخذ يَكْظِمُهُ : أي كربه وغمه .

(٥) ط . لعاد كل الى ضلة .

(٦) ن . خضعت أعلام الهدى .

٣٣٥ - وقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾
وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾

[المؤمنون - الآية ١٠٢ - ١٠٣]

وهذه استعارة على أحد التأويلين وهو أن يكون معنى الموازين ههنا المعادلة بين الأعمال بالحق لتظهر زيادة^(١) الحسنات على السيئات أو زيادة السيئات على الحسنات كما يظهر بالموازين ثقل الشيء الكثيف وخفة الشيء الخفيف والتأويل الآخر يخرج به الكلام عن حد الاستعارة وهو أن تكون الموازين هنا محمولة على حقائقها إلا أن الأعمال يستحيل أن توزن بها لأنها أعراض لا قوام لها بنفسها فيكون الوزن على ما قال بعض شيوخ أهل العدل أن يجعل الضياء في إحدى^(٢) كفتي الميزان أمانة لرجحان الثواب والطاعة وتجعل الظلمة في الكفة الأخرى أمانة لرجحان العقاب والمعصية فإذا ظهر الرجحان في إحدى الكفتين حكم بأن صاحبها من أهل الجنة أو النار أو مستحق الثواب أو العقاب وفي ذلك فائدة وهي أن أهل الجنة يعظم سرورهم بمشاهدة تلك الحال الدالة على ثوابهم وأهل النار تعظم غمومهم بمعاناة تلك الحال المؤذنة بعقابهم وفيه مع ذلك تعظيم لأهل الجنة وهوان لأهل النار وفي علمنا بذلك في دار التكليف مصلحة لنا لأنه يزجر^(٣) عن المعصية خوفاً من ذلك الموقف الفظيع ويدعو إلى الطاعة رغبة في ذلك المقام الشريف .

٣٣٦ - وقوله تعالى : ﴿ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴾

[المؤمنون - الآية ١٠٦]

(١) ط . قلت من قوله (زيادة الحسنات) قوله تعالى : ﴿ يوم تشهد عليهم السنتهم ﴾ .

(٢) في النسخة (ن) أحد .

(٣) من زجر : منع ونهى .

وهذه استعارة لأن الشقوة لما ظهرت عليهم وعلمت من حالهم كانت كالغالبية على جميعهم وحقيقة الغلبة الاستعلاء بالقوة والأخذ بالبسطة حتى يصير المأخوذ بها كالمسروق في يد مالكة^(١) والاسير في قبضة أسرهِ .



(١) في النسخة (ن) هالكة .

سورة النور

ومن السورة التي يذكر فيها النور

٣٣٧ - وقوله تعالى : ﴿ سُوْرَةُ اُنْزِلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَاَنْزَلْنَا فِيْهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُوْنَ ﴾

[النور الآية ١]

وهذه استعارة لأن اصل الفرض هو واحد الفروض وهي الحزوز التي تجعل في القداح كالعلامات لتمييز مقادير الانصباء والحفظ فيكون معنى فرضناها ههنا أي جعلنا لها شعائر تدل على شرفها وتشهد بجلالة قدرها ونهاية ذكرها وقد قرئ فرضناها بالتخفيف وفرضناها بالتشديد والتشديد يدل على كثرة الفعل .

٣٣٨ - وقوله تعالى : ﴿ اِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِاَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُوْنَ بِاَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ﴾

[النور الآية ١٥]

وهذه استعارة والمراد بها والله أعلم انكم تتفاوضون هذا الحديث بينكم فكان بعض الستكم تلتقاه عن بعض سروراً بالافاضة فيه واعتماداً للاذاعة به وذلك كما يقول أحدنا قد تلتقيت أمر فلان براحتي واستقبلته بكلتا يدي إذا كان غيباً عن شدة من قبوله أو سروره به وقد قرئ إذ تلقونه بالتخفيف وكسر اللام وضم القاف أي تسرعون به في طريق الكذب يقال ولقى يلقى إذا اسرع وقال الشاعر (جاءت به عيس من الشام تلق) أي تسرع وهذا خارج

من باب الاستعارة وداخل في باب الحقيقة .

٣٣٩ - وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

[النور - الآية ٢٤]

وهذه استعارة على أحد التأويلات الثلاثة وهو أنه تعالى يجعل في الأيدي التي بسطت الى المحظورات والأرجل التي سعت^(١) الى المحرمات علامة تقوم مقام النطق المصرح واللسان المفصح في الشهادة على أصحابها والاعتراف بذنوبها فأما شهادة الألسنة فقد قيل أن المراد بها اقرارهم على نفوسهم بما واقعوه من المعاصي إذ علموا أن الكذب لا ينفعهم والجهود لا يغني عنهم وليس ذلك بمناقض لقوله تعالى ﴿ اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون ﴾^(٢) لأنه قد قيل في ذلك أنه جائز أن تخرج الستهم من أفواههم فتتطرق بمجردا من غير اتصال بحوياتها^(٣) وهواتها فيكون ذلك أعجب لها وابلغ في معنى شهادتها ويختم في تلك الحال على أفواههم وقيل يجوز أن يكون الختم على الأفواه إنما هو في حال شهادة الأيدي والأرجل بعد ما تقدم من شهادة الألسن وأما التأويلان الآخران في معنى شهادة الأيدي والأرجل فالكلام يخرج بهما عن حد الاستعارة إلى الحقيقة^(٤) وذلك أنهم قالوا أن الله سبحانه يبي الأيدي والأرجل بنية يمكن^(٥) أصحابها النطق من جهتها وقيل بينها تعالى بنية هي الناطقة بما تشهد به عليهم من ع. أن يكون النطق منسوباً إليهم .

(١) ن . تبعت .

(٢) سورة يس ، الآية ٦٥ .

(٣) ن . بحوياتها وفي ط . بحوياتها والسياق يقتضي بحلولها .

(٤) ن . خلت من (الى الحقيقة) .

(٥) ن . (يمكن أصحابها النطق من جهتها وقيل بينها تعالى بنية) (هذه العبارة لا توجد : ط) .

٣٤٠ - وقوله سبحانه : ﴿ وَلَيُضْرَبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾

[النور - الآية ٣١]

وهذه استعارة والمراد بها إسبال الخمر التي هي المقانع على فرجات الجيوب لأنها خصاصات إلى الترائب والصدر والثدي والشعور وأصل الضرب من قولهم ضربت القسطاط إذا اقمته بأقامة أعماده وضرب أوتاده فاستعير ههنا كناية عن التناهي في إسبال الخمر وإخفاء الأزر .

٣٤١ - وقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [النور - الآية ٣٥]

وهذه استعارة والمراد بذلك عند بعض العلماء أنه هادي أهل السموات والأرض بصوادع برهانه ونواصع بيانه كما يهتدى بالأنوار^(١) الثاقبة والشهب اللامعة وقال بعضهم المراد بذلك والله أعلم الله منور السماوات والأرض بمطالع^(٢) نجومها ومشارق أقمارها وشموسها .

٣٤٢ - وقوله سبحانه : ﴿ يَكَادُ رِيْتَهَا يُضْيِئُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾

[النور - الآية ٣٥]

وهذه مبالغة في وصف^(٣) الزيت بالصفاء والخلابة على طريق المجاز والاستعارة حتى يقارب^(٤) ان يضيء من غير أن يتصل بنار أو يراط بذبال^(٥) .

٣٤٣ - وقوله سبحانه : ﴿ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾

[النور - الآية ٣٧]

(١) ن . الأنوار .

(٢) ن . يطلع .

(٣) ن . في صفة .

(٤) ن . حتى تقارب .

(٥) ط . بذلك وفي ن . يقال : كذا . والباقي يقتضي ما ذكر . والزبالة : الفيلة .

وهذه استعارة والمراد بتقلب القلوب ههنا تغير الأحوال عليها من الخوف والرجاء والسرور والغناء^(١) اشفاقاً من العقاب^(٢) ورجاء للثواب فالأولى صفه أولياء الله وأما تقلب الابصار فالمراد به تكرير لحظ المؤمنين إلى مطالع الثواب وتكرير لحظ الكافرين إلى موارد^(٣) العقاب .

٣٤٤ - وقوله سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾

[النور - الآية ٣٩]

فقوله تعالى ﴿ ووجد الله عنده ﴾ استعارة ومجاز والمعنى فوجد وعد الله^(١) سبحانه عند انتهائه إلى منقطع عمله السيء فكأله بصواعه وجزاه بجزائه وذلك يكون يوم المعاد وعند انقطاع تكليف العباد وقد قيل أيضاً ان الضمير في قوله تعالى عنده يعود إلى الكافر لا إلى عمله^(٥) فكأنه تعالى قال فوجد الله قريباً منه أي وجد عقابه مرصداً له فأخذه من كتب وجزاه بما اكتسب وذلك كقول القائل الله عند لسان كل قائل أي يجازيه على قول الحق بالثواب وعلى قول^(٦) الباطل بالعقاب والقولان جميعاً يؤلان إلى معنى واحد .

٣٤٥ - وقوله سبحانه : ﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَمَّنْ يَشَاءُ ﴾

[النور - الآية ٤٣]

(١) ط . والغم .

(٢) ن . من العذاب .

(٣) ط . مطالع .

(٤) ن . فوجد عند الله .

(٥) ن . خلت من (لا إلى عمله) .

(٦) ن . وعلى القول الباطل .

وهذه استعاره على بعض^(١) التأويلات لأن الجبال ههنا يراد بها السحاب الثقيل تشبهاً لما تكاثف أطوارها ومشارف هضابها ويكون الضمير في قوله سبحانه ﴿من جبال فيها﴾ عائداً على السماء لاعلى الجبال فكان التقدير وينزل من جبال من^(٢) السماء من^(٣) برد يريد من السحاب المشبهة بالجبال وتكون الفائدة في قوله من جبال في السماء تخصيص تلك الجبال من جبال الأرض لأنها لو جعلنا الضمير الذي فيها عائداً على الجبال أوهم أنها جبال تنزل إلى الأرض من السماء فإذا جعلنا الضمير عائداً إلى السماء أمن من الالتباس^(٤) وكان في ذلك أيضاً تعجيب لنا من وصف جبال في السماء على طريق التشبيه لأن الجبال على الحقيقة لا تكون إلا في قرارات الأرض وصفحات التراب^(٥).

٣٤٦ - وقوله تعالى : ﴿يَقْلَبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ [النور - الآية ٤٤]

وهذه استعارة والمراد بها طرد النهار بالليل وطرد الليل بالنهار فكأن عن ذلك سبحانه باسم التقلب وليس المراد تقليب^(٦) الأعيان بل تغاير الأزمان .

(١) ن . عن بعض .

(٢) ن . في السماء .

(٣) ن . خلت من قوله (برد الى قوله تخصيص) .

(٤) ن . الالتباس .

(٥) ن . المهذا .

(٦) ن . تقلب .

سورة الفرقان

ومن السورة التي يذكر فيها الفرقان

٣٤٧ - وقوله تعالى : ﴿ إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾

[الفرقان - الآية ١٢]

وفي هذه الآية استعارتان احدهما قوله سبحانه ﴿ إذا رأوهم ﴾ وهو صفة نار جهنم نعوذ بالله منها ولا تصح^(١) صفة الرؤية عليها وإنما المراد العلم إذا كانت منهم^(٢) بمقدار مسافة لو كان بها من يوصف بالرؤية لراهم وهذا من لطائف التأويل وغرائب التفسير وقد يجوز أيضاً أن يكون معنى دلالة إذا قربت منهم وظهرت لهم من قولهم دور بني فلان تتراعى أي تتقارب إذا الحديث لا تراءى ناراهما^(٣) أي لا تتداني والاستعارة الأخرى قوله ﴿ سمعوا لها تغيطاً وزفيراً ﴾ وهاتان الصفتان من صفات الحيوان ويختص الله بالناس والزفير قد يشترك في الصفة به الانسان وغير الانسان وإنما المراد من الصفتين المبالغة في وصف النار بالاهتياج والاضطرام على عادة الله والغضببان .

(١) ن . ولا تصلح .

(٢) ن . خلقت من (منهم) .

(٣) ن . آثارها .

٣٤٨ - وقوله سبحانه : ﴿ وَقدّمنا إلى ما عملوا من عملٍ فجعلناه هباءً منثوراً ﴾
[الفرقان - الآية ٢٣]

وهذه استعارة لأن صفة القدوم لا تصح إلا على من تجوز عليه الغيبة
لجوز منه الآية^(١) والله سبحانه شاهد غير غائب وقائم غير زائل والمعنى
وأفصدنا إلى ما عملوا أو عمدنا إلى ما عملوا وذلك كقول القائل قام فلان
بفلان في الناس إذا أظهر ذمّه وعييه وليس يريد أنه نهض عن قعود وتحفز بعد
استقرار وسكون وإنما يريد أنه نهض^(٢) عن قصد إلى سبه^(٣) وتظاهر بثلبه^(٤)
وقال الشاعر :

فإن إياكم تارك ما سألتكم فمهما أتيتكم فأقدموه على علم
يقال قدمت على هذا الأمر وأنا أقدمه إذا أتيت وقصدته . وقد ذكر
بعض العلماء في ذلك وجه آخر قال إنما قال سبحانه : ﴿ وَقدّمنا إلى ما عملوا
من عملٍ ﴾ لانه عاملهم معاملة القادم من غيبة إذ^(٥) كان بطول إمهاله لهم
لـ الغائب عنهم ثم قدم فراهم^(٦) على خلاف ما أمرهم به واستعملهم فيه
فأحبط أعمالهم الفاسدة وعاقبهم عقاب العائد^(٧) عن الطاعة المرتكس^(٨) في
الضلالة والمعتمد على القول الأول .

وقوله سبحانه : ﴿ فجعلناه هباءً منثوراً ﴾ مجاز آخر وذلك أنه لم يجعل
عملهم على الحقيقة هباءً منثوراً وهو الغبار الرقيق فهنا ومنه الهابي وإنما أراد
سبحانه أنه أبطل ذلك العمل فعفى رسمه وسقط حكمه وبطل بطلان الغبار

(١) ن . الاثابة

(٢) ط . أنه قصد إلى سبه .

(٥) ط . « أوه بدل » إذ .

(٦) ن . يراهم .

(٣) ن . إلى نفسه .

(٤) من ثلّب : طرد . ثلّب : غتابه ، لامة .

(٧) ن . العائد .

(٨) من رُكس : قلب أوله على آخره . ارتكس : ارتكس . المرتكس : الضعيف .

٣٤٩ - وقوله سبحانه : ﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾

[الفرقان - الآية ٢٤]

وهذه استعارة لأن المقييل من صفات المواضع التي ينام فيها ولا نوم . الجنة^(٣) وتقدير الكلام وأحسن موضع قائلة مكان ذلك المكان من وثارة . ههنا وبرد افيائه يصلح أن ينام فيه لو كان ذلك جائزاً وهذا كقوله سبحانه في دن اصحاب الجنة : ﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾^(٤) أي مثل أوقات البكرة والعشي^(٥) المعهودين في حال الدنيا لأن الجنة لا يوصف زمانها بالأيام والليالي لأن ذلك من صفات الزمان الذي تتعاقب عليه الشمس طالعة وغاربة فيسمي نهاراً بطلوعها ويسمى ليلاً بقبوعها .

٣٥٠ - وقوله سبحانه : ﴿ وَيَوْمَ تَشَقُّ السَّمَاءُ بِالسَّعَابِ وَنُزِّلُ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا ﴾

[الفرقان - الآية ٢٥]

وهذه استعارة والمراد بها والله أعلم على أحد القولين صفة السماء . ذلك اليوم بتعاظم الغمام فيها وانتشاره في نواحيها كما يقول القائل قد تشدهم الغمام بالبرق وتشققت السحاب^(٦) بالرعد إذا كثر ذلك فيها ليس ان . ههنا تشققاً على الحقيقة في قول أهل الشرع وقيل أيضاً ان المراد بذلك انتفاخ السماء وتغيرها الى غير ما هي عليه الآن كما تظهر في البناء آثار التدهور .

(١) من محق : تحق الشيء : ابطله ومجاه : أتحق المال ، هلك .

(٢) ن . الغبار .

(٣) ن . في الحقيقة .

(٤) سورة مريم الآية ٦٢ .

(٥) ن . العشاء .

(٦) ط . السحاب .

وأعلام التهافت من تلثم^(١) الاطراف^(٢)، وتفطر الافطار^(٣) فيكون ذلك مؤذناً^(٤) بانتقاضه ومنذراً^(٥) بانتقاضه وقال تعالى : ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار﴾^(٦) وقال تعالى ﴿يوم تطوي السماء كطلي السجل للكتب﴾^(٧) ويكون انتفاض بنية السماء عن ظهور الغمام الذي أذننا الله تعالى بمجيئه يوم القيامة إذ يقول عز من قائل : ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر وإلى الله ترجع الأمور﴾^(٨) ومعنى تشقق السماء بالغمام أي عن الغمام كما يقول القائل رميت بالقوس وعن القوس بمعنى واحد .

٣٥١ - وقوله تعالى : ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾

[الفرقان - الآية ٤٣]

وهذه استعارة على احد التأويلين وهو أن يكون في الكلام تقديم وتأخير كأنه تعالى قال : «أرأيت من اتخذ هواه إلهه» معنى ذلك انه جعل هواه أمراً يطيعه وقائداً يتبعه فكانه قد عبده لفرط تعظيمه له ومن أمثالهم الهوى إله معبود على المعنى الذي ذكرنا . وذكر أحمد بن يحيى البلاذري في كتاب الاشراف ان هذه الآية نزلت في الحارث بن قيس بن عدي السهمي وهو^(٩) من عبدة الأوثان لأنه كلما رأى حجراً أحسن من الذي اقتناه لعبادته أخذه

(١) من تلثم : كسر . والتلثم في الحائط ونحوه : الخلل .

(٢) ط . اطراف .

(٣) ط . افطار .

(٤) ن . مؤذناً .

(٥) ن . ومنذراً .

(٦) سورة ابراهيم الآية ٤٨ .

(٧) سورة الانبياء الآية ١٠٤ .

(٨) سورة البقرة الآية ٢١٠ .

(٩) ن . خلعت من (وهو)

واطرح ما عبده^(١).

٣٥٢ - وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿ [الفرقان - الآيات ٤٥ - ٤٦]

وفي هذه الآية استعارتان أحدهما قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ ﴾ والمراد فعل ربك أو إلى حكمة ربك في مد الظل فحذف هذه اللفظة لدلالة الكلام عليها إذ كان الله تعالى لا يدرك بالمشاعر ولا يُرى بالنواظر وقد يجوز أن يكون معنى الرؤية ههنا بمعنى^(٢) العلم فكأنه تعالى قال « ألم تعلم حكمة^(٣) ربك في مد الظل » وإنما أقام سبحانه الرؤية ههنا مقام العلم لتحقيق المخاطب الذي هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك الفعل فقامت معرفة قلبه مقام رؤية عينه قطعاً باليقين وبعداً عن الظنون والاستعارة الأخرى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴾ وهذه استعارة على القلب لأن الظل في الشاهد يدل على الشمس وذلك أن الظل لا يكون إلا وهناك شمس طالعة فيوصف ما لم تطلع عليه لحاجز يحجز أو مانع يمنع بأنه ظل وقد قيل إن الظل ما كان بالغداة والفيء ما كان بالعشي وقيل إن^(٤) الظل ما نسخته^(٥) الشمس والفيء ما نسخ الشمس فعلى هذا القول يجوز أن يكون معنى قوله تعالى ﴿ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ﴾ دائماً لا ترد الشمس عليه فتزيله وتذهب به ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴾ أي دللناها عليه فهي تحيف^(٦) من أقطاره وتتنقص من أطرافه حتى تستوفي^(٧) أجمعه وتكون بدلا منه فهذا معنى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴾ . ويجوز أن يكون معنى دلالة الشمس على الظل أنه لو لا

(١) ن . ما عبده .

(٢) ط . معنى بدون حرف جر .

(٣) ن . حكمة الله .

(٤) ن . خلت من (أن)

(٥) ن . ما نسخته .

(٦) تحيف الشيء : تنقصه وأخذ من جوانبه ، حائف الجبل : حافته الحيفة أي الناحية .

(٧) ن . حتى يستوي .

الشمس لم يعرف الظل ويجوز ان يقول لولا الظل لم تعرف الشمس .

٣٥٣ - وقوله سبحانه : ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِيَسَآءُ وَالتَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾

[الفرقان - الآية ٤٧]

وفي الآية استعارتان احدهما قوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِيَسَآءُ﴾ والمراد باللباس ههنا والله أعلم تغطية ظلام الليل للنشور^(١) والقيعان^(٢) واشخاص الحيوان كما تغطي الملابس الضافية^(٣) وتستر الجن الواقية وهذه العبارة من افصح العبارات عن هذا المعنى ومعنى السبات قطع الأعمال والراحة من الاشغال والسبت في كلامهم القطع . والاستعارة الأخرى قوله تعالى : ﴿وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ والنشور في الحقيقة الحياة بعد الموت وهو ههنا مستعار الاسم لتصرف الحيوان بساطته تشبيهاً للنوم بالمات واليقظة بالحياة وذلك من أوقع التشبيه واحسن التمثيل .

٣٥٤ - وقوله سبحانه : ﴿لِنُخَبِّئَ بِهِ بَلَدَةً مِّثًا﴾ [الفرقان - الآية ٤٩]

وهذه استعارة وقد مضت الإشارة الى نظيرها^(٤) في الاعراف ووصف البلدة بالموت^(٥) ههنا محمول على أحد وجهين أما أن تكون انما شبهت بالميت من فرط يبسها لتسلط المحل عليها وتأخر الغيث عنها أو يكون ما فيها من النبات والشجر لما مات لانقطاع الماء عنه حسن ان توصف هي بالموت لموت نباتها لانها كالأم التي^(٦) تكفله والظئر^(٧) التي ترضعه .

(١) من نشر : المكان المرتفع .

(٢) ط . والقيعان أشخاص الحيوان .

الجلال والأكام .

(٣) ن . اتضامه .

(٤) ن . الى مثله .

(٥) ن . بالميت .

(٦) ن . الى

(٧) من ظئر : الظئر : العاطفة على ولد غيرها . المرضعة لولد غيرها .

٣٥٥ - وقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا
مِلْحٌ أجاجٌ ﴾ [الفرقان - الآية ٥٣]

وهذه استعارة والمراد بذلك والله اعلم انه خلاهما في^(١) مذهبهما^(٢) وارسلهما في مجاريهما كما تخرج الخيل^(٣) أي تخلى في المروج وهي مواضع^(٤) مراعيها^(٥) ومدايحها فكان وجه الإعجوبة من ذلك انه سبحانه مع التخلي بينهما في تقاطعهما والتقاءهما في منافعهما لا يختلط الملح بالعذب ولا يلتبس العذب بالملح ولغة أهل تهامة^(٦) مرجه ولغة أهل نجد امرجه وقال أبو عبيده إذا تركت الشيء وخليته فقد مرجته ومنه قولهم مرج الامير الناس إذا خلاهم بعضهم على بعض والأمير المريج المختلط الملتبس .

٣٥٦ - وقوله تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً
وَقَمَراً مُبِيناً ﴾ .

[الفرقان - الآية ٦١]

وقد قرئ سُرُجاً على الجمع وهي قراءة^(٧) حمزة والكسائي من السبعة والباقيون يقرأون^(٨) سراجاً على التوحيد فمن قرأ^(٩) سرجاً أراد النجوم . . . قرأ سراجاً ، أراد الشمس ويقوي ذلك قوله سبحانه في موضع آخر .

(١) ط . من .

(٢) هذا بهما كذا .

(٣) ط . ان .

(٤) ط . لا توجد (وهي مواضع)

(٥) ن . ومدايحها وفي ط . ومدايحها ولعل الأصل ومدايحها .

(٦) ن . وهذا مثل تهامة .

(٧) ن . خلت من (قراءة) .

(٨) ن . يقرأ .

(٩) ن . خلت من قوله فمن قرأ الى قوله أراد الشمس .

﴿ وجعل الشمس سراجاً ﴾^(١) ويقوي قراءة من قرأ سراجاً ان النجوم من شعائر الليل والسرّج بأحوال الليل اشبه منها بأحوال النهار وإنما شبهت النجوم بالسرّج لاهتداء الناس بها في الظلماء كما يهتدى بالمصابيح الموضوعة والنيران المرفوعة .

٣٥٧ - وقوله سبحانه : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَن أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً ﴾ .

[الفرقان - الآية ٦٢]

وهذه استعارة ومعنى خلفه على احد^(٢) الاقوال أي جعل الليل والنهار يتخالفان فاذا اتى هذا ذهب هذا وإذا ادبر هذا أقبل هذا وقيل خلفه أي يخلف احدهما الآخر فيكون^(٣) ذلك من الخلافة لا من المخالفة وقيل خلفه أي احدهما اسود والآخر ابيض وهو أيضاً راجع إلى معنى المخالفة .

٣٥٨ - وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخْرُوا عَلَيْهَا ضُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾

[الفرقان - الآية ٧٣]

وهذه اسعارة والمراد والله أعلم لا يصمون عن قوارع النذر ولا يعفون عن مواقع العبر .

(١) سورة نوح الآية ١٦

(٢) ط . في بعض

(٣) ن . خلت من قوله فيكون ذلك من الخلافة لا من المخالفة وقيل خلفه .

سورة الشعراء

ومن السورة التي يذكر فيها الشعراء

٣٥٩ - وقوله سبحانه : ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴾
[الشعراء - الآية ٦١]

وهذه استعارة والمراد بها العبارة عن التقارب والتداني وإنما قلنا ان هذه اللفظ مستعار لانه قد يحسن ان يوصف به الجمعان وان لم ير بعضهم بعضاً بالموانع^(١) من مثار العجاج ورجح الطراد لان المراد به تقارب الاشخاص لا تلاحظ الاحداق وذلك كقوئهم في الحيين المتقاربين تراءى ناراهما اي تتقابل وتتقارب لكون التاريخ بحيث لو كان بدلاً منهما انسانان لرأى كل واحد منهما صاحبه وقد اومأنا إلى ذلك فيما مضى ويقال أيضاً قوم رثاء على مثال فعال أي يقابل بعضهم بعضاً وكذلك بيوتهم رثاء إذا كانت متقابلة . ذكر ذلك احمد ابن يحيى ثعلب ومن هذا الباب الحديث المشهور عن النبي ﷺ وهو قوله ان بريء من كل مسلم مع مشرك قيل ولم يا رسول الله قال لا تراءى ناراهما وقد استقصينا الكلام على معنى هذا الخبر في كتاب مجازات الآثار النبوية^(٢) .

٣٦٠ - وقوله تعالى : ﴿ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحاً وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾
[الشعراء - الآية ١١٨]

(١) في ن . بالمواضع .

(٢) راجع ص ١٩٨ من كتاب المجازات النبوية من الطبعة المصرية الحديث ٢٠٧ .

وهذه استعارة والمراد بها والله أعلم فاحكم بيننا وبينهم حكماً قاطعاً وأمرأ
فواصلأ كفتح الباب المبهم بعدما استصعب رتاجه واعضل علاجه ويقال^(١)
للحاكم الفتح لانه يفتح وجه الأمر بعد اشتباهه واستبهام ابوابه . وقال
نعالى : ﴿ وَهُوَ الْفَتْاحُ الْعَلِيمُ ﴾^(٢) وقال بعض بني ذهل بن زيد بن نهد :

وعمي الذي كانت فتاحة قومه إلى بيته حتى تجهز غاديا

أي كان الحكم بين قومه فيه وفي أهل بيته إلى حين وفاته وقال فتاحة
قومه بكسر الفاء لأنها في معنى الولاية والزعامة^(٣) وما يجري مجراها .
٣٦١ - وقوله سبحانه : ﴿ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلَعَتْ هُضَيْمٌ ﴾

[الشعراء - الآية ١٤٨]

وهذه استعارة والمراد بالهضم ههنا على بعض الاقوال والله أعلم الذي
قد ضمن^(٤) بدخول بعضه في بعض فكأن بعضه هضم بعضاً لفرط تكاتفه
وشدة تشابكه وقيل^(٥) الهضم اللطيف وذلك أبلغ في صفة الطلع الذي يراد
للأكل وذلك مأخوذ من قولهم فلان هضم الحشا أي لطيف البطن وأصله
النقصان من الشيء كأنه نقص من انتفاخ بطنه فلطفت معاقد خصره ومنه
قوله تعالى ﴿ فَلَا يَخَافُ ظُلُمًا وَلَا هَضْمًا ﴾^(٦) أي نقصاً وثلماً وقيل الهضم الذي قد
أينع وبلغ وقيل ايضاً هو الذي إذا مس تهافت من كثرة مائه ورطوبة أجزائه
والقولان الأخيران يخرجان الكلام عن حد الاستعارة .

٣٦٢ - وقوله سبحانه : ﴿ وَتَقْلَبُكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾ [الشعراء - الآية ٢١٩]

(١) ن . ويقول .

(٢) ن . واستبهاج .

(٣) سورة صبا الآية ٢٦ .

(٤) ن . لم ترد فيها والزعامة . الخ .

(٥) ن . ضمن ولعل الأصل ضم .

(٦) ن . وقال .

(٧) سورة طه الآية ١١٢ .

وهذه استعارة ونسب هناك صواب منه على الحقيقة وإنما المراد به تغلب أحواله بين المصلين وتصرفه فيهم بالركوع والسجود والقيام والقعود وذهب بعض علماء الشيعة في تأويل هذه الآية مذهباً آخر فقال المراد بذلك تغلب الرسول صلى الله عليه وآله في أصلاب الأبناء المؤمنين واستدل بذلك على أن آباءه إلى آدم عليه السلام مسلمون لم تختلجهم خوالج الشرك ولم تضرب فيهم أعراق الكفر تكريماً له عليه السلام عن أن يجري إلا في منزهات الأصلاب ومظهرات الأرحام وهذا الوجه يخرج به الكلام عن أن يكون مستعاراً .

٣٦٣ - وقوله سبحانه : ﴿ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴾

[الشعراء - الآية ٢٢٣]

وهذه استعارة على أحد التأويلين وهو أن يكون المراد بها أنهم يشغلون أسماعهم ويديمون إصغاءهم ليسمعوا من أخبار السماء ما يموهون به على الضلال من أهل الأرض وهم عن السمع بمعزل وعن العلم بمدحر^(١) وذلك كقول القائل لغيره قد القيت إليك سمعي أي صرفته إلى حديثك ولم أشغله بشيء غير^(٢) سماع كلامك والتأويل الآخر أن يكون السمع ههنا بمعنى المسموع كما يكون العلم بمعنى المعلوم^(٣) فيكون التأويل أن الشياطين يلقون ما يدعون أنهم يستمعونه إلى أفلاك أثيم من أعداء النبي صلى الله عليه وآله على طريق الوسوسة واعتماد القدح في الشريعة وهذا الوجه يخرج الكلام^(٤) عن حد الاستعارة .

٣٦٤ - وقوله سبحانه : ﴿ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ نَرَأَهُمْ فِي كُلِّ

وَإٍ يَهْمُونَ ﴾ [الشعراء - الآيتان ٢٢٤ - ٢٢٥]

(١) ط . بمزحر .

(٢) ن . عن

(٣) ط . الموم .

(٤) ن . خلت من (الكلام)

وهذه استعاره والمراد بها والله أعلم ان الشعراء يذهبون في أقوالهم
المذاهب المختلفة ويسلكون الطرق المتشعبة وذلك كما يقول الرجل لصاحبه إذا
كان مخالفاً له في رأي^(١) أو مباعداً له في كلام (أنا في واد وأنت في واد) أي
أنت ذاهب في طريق وأنا ذاهب في طريق ومثل ذلك^(٢) قولهم فلان يهب مع
كل ريح ويطير بكل جناح إذا كان تابعاً لكل قائد ومجيباً لكل ناعق وقيل
ان^(٣) معنى ذلك تصرف الشاعر في وجوه الكلام من مدح وذم واستزادة
وعتب^(٤) وغزل ونسيب ورثاء وتشبيب فتشبهت هذه الأقسام من الكلام
بالأودية المتشعبة والسبل المختلفة ووصف الشعراء بالهيمن فيها فرط مبالغة في
صفتهم بالذهاب في اقطارها^(٥) والابعاد في غاياتها لأن قوله سبحانه ﴿ يهيمنون ﴾
أبلغ في هذا المعنى من قوله يسعون أو يسرون ومع ذلك فالهيمن صفة من لا
مسكة له ولا رجاحة معه وهي مخالفة لصفات ذي الحلم الرزين والعقل
البرصين .



(١) ن . في رأي .

(٢) ن . خلعت من (ذلك)

(٣) ن . أنه .

(٤) ن . وعيب .

(٥) ط . من اقطارها .

سورة النمل

ومن السورة التي يذكر فيها النمل

٣٦٥ - وقوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ﴾

[النمل - الآية ٧]

وهذه استعارة على القلب والمراد بها والله اعلم اني رأيت نارا فأنستني فنقل فعل^(١) الايناس الى نفسه على معنى اني وجدت النار مؤنسة لي كما سبق من قولنا في تأويل قوله تعالى ﴿ وَلَا تَطْعَمْ مِنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا ﴾^(٢) أي وجدناه غافلاً على بعض الأقوال وقريب من ذلك قوله تعالى ﴿ وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾^(٣) ولم تغرهم هي إنما اغتروا بها هم^(٤) فلما كانت سبباً للغرور حسن أن ينسب اليها ويناط بها وحقيقة الايناس هي الاحساس بالشيء من جهة يؤنس بها وما أنست به فقد أحسست به مع سكون نفسك اليه .

٣٦٦ - وقوله تعالى حاكياً عن ملكة سبأ : ﴿ مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴾

[النمل - الآية ٣٢]

(١) ن . خلت من (فعل)

(٢) سورة الكهف الآية ٢٨ .

(٣) سورة الأنعام الآية ٧٠ والاية ١٣٠ وسورة الأعراف الآية ٥١ .

(٤) ن . خلت من (هم)

وهذه استعارة . المراد بقطع الأمر والله اعلم الرجوع بعد إجماله الآراء
 ونحش الأقوال إلى رأي واحد يضح العزم على فعله والعمل عليه دون غيره
 تشبيهاً بالاسداء والاحكام في الثوب النسيج ثم القطع له بعد الفراغ منه فكأنها
 اجالت الرأي عند ورود ما ورد عليها من دعاء سليمان عليه السلام لها الى
 الايمان به والاتباع له فمئلت بين الامتناع والاجابة والمحاشنة والملاينة فلما قوي
 في نفسها أمر الملاطفة عازمت على فعله فحسن أن يعبر عن ذلك بقطع الأمر
 كما أشرنا اليه وعلى هذا قول الرجل لصاحبه لا أقطع أمراً دونك أي لا أقرر
 العزم على شيء حتى اخاوضك^(١) فيه واوافقك عليه وقد يجوز أن يكون ذلك
 كناية عن الاستعجال بفعل الأمر تشبيهاً بسرعة قطع الشيء المستدق كالحبل
 وغيره ومنه قولهم صرم الأمر أي فرغ من فعله والصريعة من ذلك وفصل الأمر
 ايضاً قريب منه .

٣٦٧ - وقوله سبحانه : ﴿ اَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾

[النمل - الآية ٤٠]

وهذه استعارة لأن المراد بارتداد الطرف ههنا التقاء الجفنين بعد افتراقهما
 وذلك أبلف ما يوصف^(٢) به في السرعة وليس هناك على الحقيقة شيء ذهب
 عنه ثم رجع ولكن جفن العين لما كان يفتح وينطبق اقام الانفتاح مقام
 الخروج والانطباق مقام الرجوع وقيل في ذلك وجه آخر وهو ان في مجرى عادة
 الناس ان يقول القائل لغيره إذا كان على انتظار أمر يرد عليه من جهة انا
 محدود الطرف اليك وشاخص البصر نحوك فاذا كان امتداد الطرف بمعنى
 الانتظار مستعملاً^(٣) جاز ان يجعل ارتداده عبارة عن زوال الانتظار فكأنه قال
 انا آتيك به قبل أن تتكلف الانتظار وتعد الاوقات والقول الأول اولى
 بالاعتماد واخلق بالصواب .

(١) كذا في النسختين ولعل الأصل حتى اخاوضك .

(٢) ن . وصف .

(٣) ن . خلت من قوله (مستعملاً) إل قوله : (زوال الانتظار) .

٣٦٨ - وقوله سبحانه : ﴿ بَلْ أَذَارُكُمْ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ﴾

[النمل - الآية ٦٦]

وهذه استعارة لأن العمى ههنا ليس يراد به فقد الجارحة المخصوصة وإنما يراد به التعامي عن الحق والذهاب صفحاً عن النظر والفكر أما قصداً وتعمداً أو جهلاً وعمهاً وإنما أجرى الجهل مجرى العمى في هذا المعنى لأن كل واحد منها يمنع بوجوده من ادراك الشيء على ما هو عليه^(١) إذ الجهل مضاد للعلم والمعرفة والعمى منافي للنظر والرؤية وإنما قال سبحانه : ﴿ بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ﴾ ولم يقل عنها لأن المراد انهم يشكون فيها ويمترون في صحتها فهم في عمى منها ولا يصلح أن يكون في هذا الموضع عنها لانه ليس المراد ذكر عماهم عن النظر اليها وإنما القصد ذكر عماهم بالشك فيها وهذا من لطائف المعاني .

٣٦٩ - وقوله سبحانه : ﴿ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴾

[النمل - الآية ٧٢]

وهذه استعارة لأن حقيقة الردف هي حمل الانسان غيره مما يلي ظهره على مركوب تحته^(٢) والفرق بين الردف والتابع ان^(٣) في التابع معنى الطلب لموافقة الأول وليس ذلك في^(٤) الردف فالمراد بقوله تعالى : ﴿ رَدِفَ لَكُمْ ﴾ ههنا والله اعلم أي عسى أن يكون العذاب الذي تتوقعونه قد قرب منكم وهو في آثاركم ولاحق بكم وقد قيل أيضاً ان^(٥) المراد بردف لكم أي ردفكم فصار

(١) ط . به

(٢) ط . لفظة (تحته) مطموسة

(٣) ط . خلت من (ان في التابع)

(٤) ط . خلت من حرف الجر .

(٥) ن . خلت من (أن) .

العذاب في الانتصاف بكم كالمراذف لكم والمعنى واحد .

٣٧٠ - وقوله سبحانه : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ .

[النمل - الآية ٧٦]

وهذه استعارة لأن القصص كلام مخصوص ولا يوصف به إلا الحي الناطق المميز ولكن القرآن لما تضمن نبأ الأولين ومصادر أمور الآخرين كان كأنه يقص على من آمن به ، عند تلاوته قصص من تقدمه وخبر^(١) من يأتي بعده ويقص على بني اسرائيل خصوصاً أحاديث رسلهم وسرائر شرائعهم على حقائقها ويبين غوامضها فهو كالحاكم بينهم والمزيل لاختلافهم .

٣٧١ - وقوله سبحانه : ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ ﴾

[النمل - الآية ٨٢]

وهذه استعارة والمراد بوقوع القول ههنا تحقيق ما أوعد الله به من عذابهم وذلك كقول القائل لغيره اذا سبق تحذيره له من أمر يخافه قد وقع ما كنت خوفتك منه وحذرتك اياه وعلى هذا قول^(٢) الشاعر :

ابتها النفس اجلي جزعاً ان الذي تحذرين قد وقعاً

أي قد ورد مخوفه وتحقق محذوره وفي العبارة من^(٣) هذا المعنى بذكر الوقوع زيادة فائدة على العبارة عنه بمعنى التحقيق والورود لأن الوقوع يفيد

(١) ط . توجد فيها نقيصة من قوله وخبر الى الآية ٢٦ من سورة الأحزاب وتقرب من ١٦ صفحة .

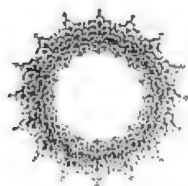
(٢) الشاعر هو أوس بن حجر .

(٣) ن . من هذا ولعل الأصل عن هذا .

ورود الأمر بسرعة وليس هذه الفائدة في الوجود والتحقيق إذا أطلق لفظها
واريد معناها .

٣٧٢ - وقوله سبحانه : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ
مُبْصِرًا ﴾ [النمل - الآية ٨٦]

وهذه استعارة وقد مضى الكلام على نظيرها والمراد بوصف النهار
بالابصار ابصار أهله فيه واتصال شعاعات اعيينهم الى المراتب بضوئه .



سورة القصص

ومن السورة التي يذكر فيها القصص

٣٧٣ قوله تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۚ ﴾ [القصص - الآية ١٠]

وقد تقدم الایماء إلى معنى ذلك بذكر نظيره في السورة التي يذكر فيها ابراهيم عليه السلام ومعنى فارغاً أي قد خلا من صبر وثبات وتماسك ووقار لفرط الجزع والأسف وشدة الارغاض^(١) والقلق وحسن وصف القلب بالفراغ من الاشياء التي ذكرنا وإن كان مملوءاً باضدادها لأن تلك الأشياء من الحمودات واددادها من المذمومات والممتلي من الاشياء المذمومة كالفارغ إذا كان امتلاؤه مما لا فائدة فيه ولا عائدة له .

٣٧٤ وقوله تعالى : ﴿ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ۚ ﴾

[القصص - الآية ٣٢]

وهذه استعارة والجنح ههنا عبارة عن اليد وقد اشرنا الى الكلام على نظيره فيما تقدم وقيل معنى ذلك أي سكن روعك وخفض جأشك من الرهب الذي أصابك والرعب الذي داخلك عند انقلاب العصا في هيئة الجان ولما كان من شأن الخائف القلق والانزعاج والتلملل والاضطراب وصار^(٢) ضم

(١) من رمض : المرض : حرقه القبط . ارتفض نفلان أي حزن له الرماضة : الحدة وشدة الوقع .

(٢) لعل الواو من قوله (وصار) من زيادة النسخ .

الجناح عبارة عن السكون بعد القلق والأمان بعد الغرق فأما قوله في صدر هذه الآية ﴿ اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء ﴾ فيقرب من أن يكون استعارة لأن اسلك ان كان بمعنى ادخل فإن أصلها مأخوذ من إدخال السلك وهو الخيط المستدق في خروق الخرز المنظومة فهو إذا يفيد إدخال الشيء في الشيء المتضايق أو ادخاله على الوجه الشاق المستصعب وعلى هذا قوله تعالى ﴿ كذلك سلكناه في قلوب المجرمين ﴾^(١) أي أدخلنا القرآن في قلوبهم من جهة الأسماع على كره منها ادخالاً يشق وقد تقدم كلامنا على مثل هذا وكذلك قوله تعالى ﴿ ما سلكنكم في سقر ﴾^(٢) أي ما أدخلكم فيها على كره منكم ومشقة عليكم وعلى هذا قول الشاعر

وقد سلكنوك في يوم عصيب

أي ادخلوك وأنت كاره له فيكون معنى قوله تعالى لموسى عليه السلام ﴿ اسلك يدك في جيبك ﴾ فان^(٣) كنت على خوف واشفاق عند مشاهدة ما بدر عنك^(٤) من تلك الآيات القواهر والاعلام البواهر .

٣٧٥ - وقوله تعالى : ﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴾ [القصص - الآية ٣٥]

وهذه استعارة والمراد بها تقويته على انفاذ الأمر وتأييد الوحي بأخيه لأن اشتداد العضد والساعد في قولهم عبارة عن القوة والجلد والقدرة على العمل
الا ترى إلى قول الشاعر :

(١) سورة الشعراء الآية ٢٠٠ .

(٢) سورة المدثر الآية ٤٢ .

(٣) كذا في النسخة والظاهر ان الفاء من زيادة الناسخ .

(٤) كذا في النسخة ولعل الأصل ما قد راعك .

أعلمه الرمايه كل يوم فلما اشتد ساعده رماي

ويروى فلما استد ساعده بالمين والأول أقوى وأظهر ولأن اشتداد العضد بمعنى القوة تمكن اليد من السطوة وتعينها على البسطة وهذا من عجيب الكلام .

٣٧٦ - وقوله تعالى : ﴿ قَالُوا سَجَرًا نَّظَاهِرًا ﴾ [القصص - الآية ٤٨]

على قراءة أهل الكوفة وهذه استعارة لأن التظاهر الذي معناه المعاونة والمصاهرة^(١) انما هو من صفات الاجسام والسكر عرض من الاعراض والمراد بذلك حكاية ما قاله المشركون في الكلام الذي جاء نبينا صلى الله عليه وآله بعد ما جاء به موسى عليه السلام من الآيات الباهرة والاعلام الظاهرة ومعنى تظاهرا اي تعاونا من طريق الاشتباه والتماثل وكان الثاني مصدقاً للاول والمتأخر مقوياً للمتقدم .

٣٧٧ - وقوله سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾

[القصص - الآية ٥١]

وهذه استعارة والمراد بتوصيل القول^(٢) والله اعلم إرداف بعضه ببعض وتكرير بعضه على اعقاب بعض مظهارة للحجة على سامعيه وابعاداً في منازع الاحتجاج على مخالفيه ليتذكروا بعد الغفلة ويتنبهوا من الرقدة وذلك تشبيهاً بتوصيل الحبال بعضها ببعض عند ادلاء الدلو إلى الطوى البعيدة إلى ان يصل إلى الماء ويقضي إلى الرواء وهذا من دقيق المعاني .

٣٧٨ - وقوله تعالى : ﴿ وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ الْسَّيِّئَةَ ﴾ [القصص - الآية ٥٤]

(١) لعل الأصل والمضاهرة .

(٢) في النسخة بتوصيل القلب وهو وهم من الناسخ .

وهذه استعارة لأن الحسنه والسئنه لبسنا بجسمين يصح دفع احدهما بالآخر وإنما المراد والله أعلم انهم يختارون الافعال الحسنه على الافعال القبيحه فيكونون بذلك الاختيار كأنهم قد دفعوا السيئات بالحسنات عكساً لرقابها ورداً على اعقابها وقد يجوز أن يكون أيضاً معنى ذلك انهم يدفعون ضرر العقوبة بعاجلة التوبه لأن التوبه حسنة والعقوبة قد تسمى سيئة لأنها جزاء على السيئه ولأنها مضرة وان لم تكن قبيحه .

٣٧٩ - وقوله تعالى : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا ﴾

[القصص - الآية ٥٨]

وهذه استعارة والمراد بها أهل القرية والبطر سوء احتمال النعمة حتى يستقلع مغارسها ويستنزع ملابسها وقد مضت الإشارة الى نظير ذلك فيما تقدم .

٣٨٠ - وقوله سبحانه : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ

رَسُولاً ﴾

[القصص - الآية ٥٩]

وهذه استعارة والمراد ههنا بأُم القرى مكة على الأغلب وقال بعضهم المراد معظمها والمنظور إليها منها لأن ما هو دونها جار مجرى التبعية لها ومثل ذلك قوله تعالى ﴿ لَتَنْذِرُ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ (١) يريد مكة وإنما سميت مكة أم القرى لما ضُمَّت من بيت الله وحرمه ومهابط وحيه ومدارج أقدام رسله عليهم السلام فصارت من أجل ما ذكرناه كأنها كبيرة القرى وصارت القرى بالاضافة إليها صغاراً كصغر البنات إذا أضيفت إلى الأمهات .

٣٨١ - وقوله تعالى : ﴿ فَعَمِيتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾

[القصص - الآية ٦٦]

(١) سورة الأنعام الآية ٩٢ . وسورة الشورى الآية ٧ .

وهذه استعارة والخلام وارد في وصف أحوال الآخرة لأنه سبحانه يقول أمام هذه الآية ﴿ويوم يناديهم فيقول: ماذا أجبتكم المرسلين﴾^(١) ثم قال تعالى ﴿فعميت عليهم الأنباء يومئذ﴾ والمعنى أنهم إذا سئلوا في الآخرة عما أجابوا به أنبياءهم في الدنيا لجلجوا^(٢) المقال واخطأوا الجواب ولم يعلموا ما يقولون ولا عما يخبرون فكأن الأنباء التي هي الاخبار عميت عليهم فكانوا لا يوجهون كلاماً إلا ضل عن طريق الحق ولا يخبرون خبراً إلا كان قاصراً عن غرض الصدق كالأعمى الذي لا يهتدي لقصد ولا يقوم على نهج وكأنهم حادوا عن الجواب لانسداد طرق الأنباء عليهم ولم يتساءلوك^(٣) فيستخبر بعضهم بعضاً عن ذلك علماً منهم بقيام الحجة عليهم وعموم الحيرة لجميعهم وقد يجوز أن يكون لقوله تعالى ﴿فعميت عليهم الأنباء يومئذ﴾ وجه آخر هو أن يكون ذلك على معنى قول القائل خربت علي داري وموت علي إبلي . أي خربت هذه وموت عذو وجاءت لفظة عليّ فهنا لاختصاص الضرر بصاحب الدار والابل فيكون المعنى أن الاخبار عميت في نفوسها أي لم تهتد إلى صدق ولم تنفذ في حق وقيل عليهم لاختصاص ضرر ذلك بهم لأن الحجة لزمتهم والاحتجاج قعد بهم ومثل ذلك قوله سبحانه في هذه السورة ﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾^(٤) لأن ضلال افتراءهم في معنى عمى أنبائهم ومن الكنايات العجيبة عن الدعاء على قوم بعمى العيون قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في كلام له يخاطب بعض اصحابه : « مالكم^(٥) لا سدتم لرشد ولا هديتم لقصد » فكانه عليه السلام قال لهم ما لكم أعمى الله عيونكم وقد ذكرنا هذا الكلام بتمامه في كتابنا الموسوم (بنهج البلاغة) وهو المشتمل على المختار من كلام امير المؤمنين عليه السلام في جميع اقسامه ومرامي اغراضه .

(١) الآية ٦٥ .

(٢) من جَلَجَجَ : تردد في الكلام .

(٣) كذا في النسخة والظاهر ان الكاف من تزيد الناسخ . والأرجح انها لم يتساءلوا .

(٤) الآية ٧٥ .

(٥) في النهج شرح الشيخ محمد عبده ج ١ ص ٢٣١ طبع مصر ما بالكم . . الخ

٣٨٢-وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّمَا مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ﴾ .

[القصص - الآية ٧٦]

وهذه الاستعارة على القلب لأن المراد أن العصبه أولي القوة تنوء بتلك المفاتيح أي تنهض بها نهضاً متشاقلاً لكثرة أعدادها وثقل اعتمادها ولكن لما كانت هي السبب في نوء تلك العصبه بها على الثاقل من نهضها كانت كأنها هي التي تنوء بالعصبه أي تحوجها إلى النهوض على تلك الحال من المشقة .

٣٨٣-وقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ .

[القصص - الآية ٨٨]

وهذه استعارة والوجه ههنا عبارة عن ذات الشيء ونفسه وعلى هذا قوله تعالى في السورة التي يذكر فيها الرحمن سبحانه ﴿وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ ^(١) أي ويبقى ذات ربك ومن الدليل على ذلك الرفع في قوله ذو الجلال والإكرام لأنه صفة للوجه الذي هو الذات ولو كان الوجه ههنا بمعنى العضو المخصوص على ما ظنّه الجاهل لكان وجه الكلام أن يكون ويبقى وجه ربك ذي الجلال ^(٢) والإكرام فيكون ذي صفة للجمله لا صفة للوجه الذي هو التخطيط المخصوص كما يقول القائل رأيت وجه الأمير ذي الطول والانعام ولا يقول ذا لأن الطول والانعام من صفات جملته لا من صفات وجهه ويوضح ذلك قوله في هذه السورة ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ ^(٣) كان الاسم غير المسمى وصف سبحانه المضاف اليه ولما كان الوجه في الآية المتقدمة هو النفس والذات قال تعالى ﴿ذُو الْجَلَالِ﴾ ولم يقل ذي الجلال والإكرام ويقولون عين الشيء ونفس الشيء على هذا النحو وقد قيل في ذلك

(١) سورة الرحمن الآية ٢٧ .

(٢) في النسخة ذو الجلال .

(٣) سورة الرحمن الآية ٧٨ .

وجه آخر وهو أن يراد بالوجه ههنا ما قصد الله به من العمل الصالح والمتجر
الرابع على طريق القرية وملب الزلفة^(١) وعلى ذلك قول الشاعر :

استغفر الله ذنباً لست محصيه رب العباد اليه الوجه والعمل

أي اليه تعالى قصد الفعل الذي يستنزله به فضله ودرجات عفوه
فأعلمنا سبحانه أن كل شيء هالك إلا وجهه دينه الذي يوصل اليه منه
ويستزلف عنده به ويجعل وسيلاً إلى رضوانه وسبباً لغفرانه .



(١) من زُلف : درجة ، منزلة قُرْبَة .

سورة العنكبوت

ومن السورة التي يذكر فيها العنكبوت

٣٨٤- قوله سبحانه: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

[العنكبوت - الآية ٥]

وهذه استعارة لأن لقاء الله سبحانه على الحقيقة لا يصح وإنما المراد لقاء حسابيه ولقاء جزائه وثوابه أو لقاء الوقت الذي جعله سبحانه وقت توفية الجزاء على أعمال العاملين وتوفير الاعواض على المعوضين وعلى ذلك قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ رَاجِعُونَ﴾^(١) وكل ما اورد في القرآن من ذكر لقاء الله تعالى فالمراد به المعنى الذي ذكرناه والله أعلم ومن كلام العرب لقينا خيراً ولقينا شراً وليس شيء من ذلك مما يرى بعين ولا يواجهه بوجه وإنما المراد اصابنا هذا واصابنا هذا .

٣٨٥- وقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾

[العنكبوت - الآية ١٧]

وهذه استعارة والمراد أنكم خلقتُم من الاصنام صوراً أي قدرتموها على اختيار انكم وأصل الخلق التقدير ثم جعلتموها آلهة تعبدونها والاله المعبود إنما هو الخالق لا المخلوق والصانع لا المصنوع فكأنه قال انكم جعلتم كذباً من الآلهة تعبدونه من دون الله والافك ههنا هو الكذب وقال بعضهم معنى

(١) سورة البقرة الآية ٤٦ .

تخلقون إفكاً أي تسمعون الكذب على مواقع ارادتكم وتضعونه مواضع شهواتكم .

٣٨٦ - قوله سبحانه: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ .

[العنكبوت - الآية ٤٥]

وهذه استعارة والمراد بها أن الصلاة لطف في الامتناع من المعاصي فأقيمت مقام الزاجر الناهي لأن فيها من ذكر الله تعالى وتلاوة كلامه وما فيه من بشائر ثوابه ونذائر عقابه ما هو أدمى الدواعي الى الطاعات وأقوى الصوارف عن المقبحات .

٣٨٧ - وقوله سبحانه: ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ .

[العنكبوت - الآية ٦٤]

وهذه استعارة والحَيَوَان ههنا مصدر كالحياة والدار التي هي دار الآخرة لا يجوز وصفها على الحقيقة بأنها حياة وإنما المراد أن الخلق يحيون فيها حياة دائمة لا موت بعدها ولا انفصال لها فلما كانت الحياة الدائمة فيها حسن أن توصف بها على طريق المبالغة لأن الصفات بالمصادر تفيد المبالغة في معاني تلك الأشياء الموصوفة .

٣٨٨ - وقوله سبحانه: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾ .

[العنكبوت - الآية ٦٧]

وهذه استعارة وهي في معنى الاستعارة التي تقدمتها على حد سواء لأن الحرم لا يصح وصفه بالأمن على الحقيقة وإنما يأمن الناس فيه فلا اتصال هذه الحال ودوامها واختصاص الحرم بين المواضع بها حسن أن يوصف بالأمن على طريق المبالغة ولذلك نظائر في القرآن كثيرة .

(سورة الروم)

ومن السورة التي يذكر فيها الروم .

٣٨٩- قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ ^(١) الْمُجْرِمُونَ ﴾ .

[الروم - الآية ١٢]

وهذه استعارة والمراد بقيام الساعة حضور وقتها والاجل المضروب لها وعلى هذا قولهم قد قامت السوق أي حضر وقتها الذي يتحرك فيه اصحابها ويستمر بيعها وشراؤها وعلى هذا المعنى سميت القيامة وقد يجوز ايضاً أن تكون تسميتها بذلك لقيام الناس فيها على اقدامهم قال سبحانه ﴿ يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾ ^(٢) فأما قوله في هذه السورة ﴿ ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ﴾ ^(٣) فمعناه أنها تماسك بأمره في مناطاتها وتقف على مستقراتها ومثل ذلك قول القائل إنما يقوم أمر فلان بكذا يريد أنه إنما يتماسك به وليس هناك في الحقيقة قيام يشار اليه فأما قوله تعالى في هذه السورة ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفاً ﴾ ^(٤) فالمراد به اتباع طرائق الدين قاصداً إلى سمته غير منحرف عنه إلى غيره ومنه قول العرب قد استقام المنسم إذا سارت الأبل في طريق واضح لا جوانح له ولا معادل فيه والمعنى قوم وجهك على الدين السالح ^(٥) ومنهج الحق الواضح وقوله تعالى في هذه الآية دليل على أن

(١) من بلس : يلبس : انكسر وحزن . قل خيره . تحير في امره . يش من رحمة الله .

(٢) سورة المطففين الآية ٦ .

(٣) الآية ٢٥ .

(٤) الآية ٣٠ .

(٥) من تحب : تحب الطريق : سلكه . أوضحه .

الدين القيم راجع في المعنى إلى ما ذكرناه والمراد به أنه مستقيم بغير اعوجاج ومتصب بغير اضطراب وقوله تعالى من بعد ﴿ وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين ﴾ (١) قريب في المعنى مما تقدم لأن المراد بذلك لا يخلو من أحد الأمرين إما أن يكون أراد تعالى باقامة الصلاة القيام لاوقاتها لأن القيام أعظم اركان الصلاة وإما أن يكون أراد تأديتها على واجبها واخلاصها من كل ما يعود بفسادها وذلك كقولهم أقام فلان قناة الدين أي اظهر أمره ووالى نصره ورمى الاعداء عنه ووقم (٢) الاضداد دونه وجميع هذه الالفاظ المذكورة نظائر وهي بأجمعها استعارات لا حقائق وإنما اوردها في نسق واخذ لاتفاق وزودها في سورة واحدة .

٣٩٠- وقوله تعالى: ﴿ مِنْ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعْبًا ﴾ . [الروم - الآية ٣٢]

على قراءة من قرأ فرقوا لا فارقوا وهذه استعارة لأن الدين على الحقيقة لا يتأق فيه التفريق وإنما المراد والله أعلم انهم لما افترقوا في دينهم بمذاهب مختلفة وطرائق متباينة كانوا كأنهم قد فرقوه فرقاً وجعلوه شيعاً فحسن وصبغهم بذلك .

٣٩٢- وقوله تعالى: ﴿ أَمْ أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴾ .

[الروم - الآية ٣٥]

وهذه استعارة والمراد بالسلطان مهنا البرهان على أحد التأويلين وهو الحق الذي يتسلط به الانسان على مخالفه ويظهر على منازعه وإنما وصفه سبحانه بالكلام لظهور حجته وقوة دعوته فكانه ناطق ومدافع مناضل .

٣٩٣- وقوله سبحانه: ﴿ وَمَا آتَيْنَا مِنْ رَبٍّ لِيَرْبُو فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ ﴾ .

[الروم - الآية ٣٩]

(١) الآية ٣١ .

(٢) من وقم: اوقم الرجل: قهره . ورثه عن حاجته اقيح الرد .

على قراءة من قرأ ليربو بالباء وهذه استعارة والمراد بالربا ههنا المال الذي يعطيه الانسان غيره ليعطيه اكثر منه على الوجه المنهى عنه وأصل الربو الزيادة والكثرة وإنما سمي المال المعطى الذي يلتمسون به الزيادة ربا لأنه جعل غرضه لطلب الزيادة ووصلته إليها علة لها فحسن تسميته بذلك للسبب الذي ذكرناه ومعنى قوله تعالى ﴿ ليربو في أموال الناس ﴾ أي ليزيد في أموال الناس وليس قوله سبحانه ههنا بمعنى ليكون مدداً لأموال الناس فتزيد به وإنما المعنى يزيد هو بدخوله في أموال الناس ودخوله فيها هو أن صاحبه يعطيه الناس ليأخذ منهم أكثر منه ، فإذا ما كره^(١) وأراد التعويض عنه بالقدر الزائد عليه كان كأنه قد ربا أي كثر بحصوله في أموال الناس لأن كثرته وإضعافه كان السبب فيها^(٢) كونه في أموال الناس على الوجه الذي بيناه وهذا من غوامض المعاني ومن الشواهد على بيان ربا بمعنى الزيادة والكثرة في كلامهم قول يزيد بن مفرغ الحميري :

وكم عطايا له ليست مكدرة لا بل تفيض كفيض المسبل الرابي

يريد البحر فسماه رابياً لكثرة مائه وارتفاع امواجه .

٣٩٣- وقوله سبحانه: ﴿ وَمَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلَا نَفْسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴾ .

[الروم - الآية ٤٤]

وهذه استعارة ومعنى يمهدون ههنا أي يوطئون جنوهم ويمكنون لأقدامهم عند مصارع الموت ومواقف البعث وذلك كناية عن تقديم العمل الصالح والمتجر الرابع تشبيهاً بمن وطأ لمضجعه بالفرش الوثيرة والنمارق^(٣) الكثيرة .

(١) كذا في النسخة

(٢) ولم تكن لفظة (فيها) واضحة وضوحاً تاماً .

(٣) من التمرق : البسادة الصغيرة يُتَكأ عليها .

٣٩٤ - وقوله تعالى ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ ﴾ .

[الروم - الآية ٤٦]

وهذه استعارة والمراد بها ما جرت به العادة من هبوب الرياح أمام الغيوث وأن ذلك يقوم مقام النطق البشار والوعد بالامطار المتوقعة بين يدي الرحمة والرحمة في كثير من الآيات كناية عن الغيث وعلى ذلك قوله تعالى في هذه السورة ﴿ فَاَنْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ ﴾ (١) وقرئ « أثر رحمة الله » أي إلى ما كان يعقب الغيوث من منابت الاعشاب واكتساء القيعان .

٣٩٥ - وقوله تعالى ﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُبْرِئُ سَحَاباً فَيَسْطُطُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ .

[الروم - الآية ٤٨]

وهذه استعارة والمراد بآثارها السحاب انها تلتق قطعها وتوصل منقطعه وتستخرجه من غيوبه وتظهره بعد غيوضه تشبيهاً بالقانص (٢) أي ينهضه من مجائمه ويبرزه عن مكانه لئلا يلقى لقيضه ويتمكن من فرصه .



(١) الآية ٥٠ .

(٢) في النسخة القابض

سورة لقمان

ومن السورة التي يذكر فيها لقمان

٣٩٦- قوله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي هُوَ الْحَدِيثَ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.

[لقمان - الآية ٦]

وهذه استعارة والمراد بالاشتراء ههنا الاستبدال بالشيء من غيره وكذلك البيع للشيء يكون بمعنى استبدال غيره منه فكأن المذموم بهذا الكلام استبدال هو الحديث من سماع القرآن والتأدب بآدابه والاعتلاق بأسبابه ويدخل تحت هو الحديث سماع الغناء والحداء^(١) والافاضة في الهزل والفحشاء وما يجري هذا المجرى . ويروى عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي هُوَ الْحَدِيثَ﴾ قال هو شراء القينات وقيل ان ذلك نزل في النضر بن الحارث بن كلدة بن عبد الدار بن قصي وكان يبتاع الكتب وفيها أحاديث الأكاسرة وأنباء الأمم الخالية ويقرأها على قريش إلهاء لهم عن سماع القرآن وتدبره بزعمه وحيداً لهم عن تأمل قوارعه وزواجه .

٣٩٧- وقوله سبحانه ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

[لقمان - الآية ٧]

وهذه استعارة لأن البشارة في العرف إنما تكون بالخير والسعادة والمسرة

(١) من حداً : حدا الشيء عنه : صرفه .

لا بالشّر والمفسدة لكن الامم الوعيد بالعقاب لما كان كابلانهم الوعد بالثواب في تقدم الخير به جاز أن يسمى هذه العلة باسمه وكان أبو العباس المبرد يذهب بذلك مذهباً حسناً فيقول إن لفظ البشارة مأخوذ من البشارة فكان المخبر لغيره بخبر النفع والخير أو خبر الشر والضرر يلقي في قلبه من كلا الأمرين ما يظهر تأثيره في بشرة وجهه فان كان خيراً ظهرت تباشير المسرة وإن كان شراً ظهرت فيه علامات المساء فحسن على هذا المعنى أن تستعمل البشارة في الشر والضرر كما تستعمل في النفع والخير .

٣٩٨- وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تُضَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ .

[لقمان - الآية ١٨]

وقرىء « ولا تصاعر » وهذه استعارة وأصل الصعر داء يأخذ الابل في رؤوسها حتى تقلب أعناقها فكانه أمره أن لا يشمخ بأنفه ويعرض بوجهه من الكبر تشبيهاً بالبعير إذا أصابه ذلك الداء ومن صفات الكبر رفع الطرف حتى كأنه معقود بالسما وعلى ذلك قول كثير في صفة قوم بالكبر :

تراهم إذا ما جئتهم فكأنما يشيمون أعلى عارض متراكب

أي يرفعون رؤوسهم كبراً ويطمحون بأبصارهم عجباً وقال شيخنا أبو الفتح عثمان بن جني أنشدنا أبو علي الفارسي هذا البيت وقال يصلح أن يجعل في مقابلة قوله تعالى ﴿ وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي ﴾ (١) لأن البيت في صفة المتكبرين بالغيرة (٢) والآية في صفة الخاشعين بالدلة وهما في طرفين وسبيلين مختلفين والبيت المتقدم ذكره أنشدنا (٣) أبو الفتح عن أبي علي ما ذكرته وهو قوله :

يشيمون أعلا عارض متراكب

(١) سورة الشورى الآية ٤٥ .

(٢) كذا في النسخة والظاهر أن الأصل بالغيرة .

(٣) لعل الأصل أنشدناه .

والصحيح أعلا عارض متعصب لأن هذه القصيدة مدح بها كثير عبد
الملك بن مروان وتالي البيت المذكور قوله :

يردون^(١) شزراً والعيون طوامح بأبصارهم آفاق شرق ومغرب
وأنشده منشد عمر بن عبد العزيز فقال هجانا ورب الكعبة يريد أنه
وصفهم بالكبر المفرط والطماح المشرف^(٢).

٣٩٩- وقوله سبحانه: ﴿وَاعْظُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ
الْخَمِيرِ﴾.

[لقمان - الآية ١٩]

وهذه استعارة لأن اصل الغض الخط من منزلة عليّة إلى منزلة دنيّة يقال
غض فلان من فلان إذا فعل به ذلك قولاً وفعلاً وغض طرفه إذا كسره
وضعفه أي فكأنه قال وخط صوتك من حال الارتفاع إلى حال الانخفاض
أخباتاً لله وتظامناً لأولياء الله .



(١) ترجع ان يكون الفعل يردون .

(٢) نظن أن الأصل المشرف .

سورة السجدة

ومن السورة التي يذكر فيها السجدة

٤٠٠ - قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ .

[السجدة - الآية ٨]

وهذه استعارة لأن المهين لا يكون بحقيقته إلا الانسان قال الله تعالى ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يَبِينُ﴾^(١) وقال تعالى : ﴿وَلَا تَطْعَمْ كُلَّ حَلَالٍ مَهِينٍ﴾^(٢) ومهين فعيل من المهنة وهي الخدمة يقال مهين القوم يمهينهم مهنة إذا خدمهم والمهنة بكسر الميم خطأ فيكون معنى من ماء مهين على ما قدمناه أي من ماء مستدل لأن ماهن القوم إذا خدمهم يكون ذليلاً لهم ومبتدلاً بينهم .

٤٠١ - وقوله تعالى: ﴿إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ .

[السجدة - الآية ١٠]

وهذه استعارة لأنها عبارة عن حال الموت والميت لا يوصف بالضلال الذي هو المتاه والضياح فكأن المعنى إذا دفننا في الارض فكنا كالشيء الضال الضائع لتفرق أوصالنا وتمزق أعضائنا تستأنف بعد هذه الحال اعادتنا

(١) سورة الزخرف الآية ٥٢

(٢) سورة القلم الآية ١٠ .

ونستجد حياتنا كأنهم قالوا على سبيل الاستبعاد وأخرجوه غرج الاستطراف والاستغراب فأعلمهم الله سبحانه أنهم لا يضلون عن علمه ولا يلفنون عن جمعه وإن صاروا رميمًا وترابًا وفرقًا وأوزاعًا وفي عرف كلام العرب أن كل شيء غلب عليه^(١) حتى يغيبه باشماله عليه فقد ضل فيه ويسمون الدافنين كالأموات مضلين لأنهم يغيبونهم في الأرض قال النابغة الذبياني في ذلك :

فآب^(٢) مضلوه بعين جليئة وغودر بالجولان حزم ونائل

يريد دافنيه وحكى الأصمعي أنه رواه مضلوه بالصاد وفتحها والمصل الوارد بعد السابق قال فكان المعنى أن ناعيه الاول جاء بنعيه فشك في قوله ثم جاء الثاني بجملته الخبر فوق العلم وارتفع الشك والعين الجلية الواضح الذي يتجلى بعد خفائه أو يجلو الشك بعد التباسه وأنشد للمخبل السعدي يمدح قيس بن عاصم المقرري :

أضلت بنو قيس ابن سعد عميدها وفارسها في الدهر قيس بن عاصم
أي دفنته في التراب وغيبته في الأرض.

٤٠٢ - وقوله سبحانه ﴿ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

[السجدة - الآية ١٩]

وقد تقدم مثل هذه اللفظة في بعض السور المتقدمة ولم نشر إليه إذ كان في الأشهر بين التأويل خارجاً عن الاستعارة لأنه عند عامة المفسرين بمعنى المنزل والنزول فكانه تعالى قال كانت لهم جنات الفردوس منزلاً ينزلونه وقراراً يستوطنونه فلما بلغنا الى هذا الموضع من هذه السورة نظرنا فإذا هذه اللفظة مجاز آخر يدخلها في حيز الاستعارة فذكرناها هذه العلة وهو أن لفظ

(١) كذا في النسخة ولعل الأصل (كل شيء غلب عليه شيء حتى الخ)

(٢) لم يذكر الشطر الأول من البيت في النسخة كاملاً ونحن أثبتناه كما في ديوانه طبعة مصر .

نزوله فيجوز أن يكون معنى قوله تعالى ﴿ فلهم جنات المأوى نزلاً بما كانوا يعملون ﴾ أي فرى معداً كما يقرى الضيوف لأنهم ضيفان الله تعالى في جناته وجيرانه في داره ليس أن هناك قرباً بمسافة ولا وصفاً في أداء إقامة وإنما أوجب هذا الاختصاص في قولنا ضيفان الله وجيران الله لأنهم نزول في الدار التي لا يملك الحكم فيها غيره ولا يتسلط عليها إلا سلطانه كما قيل إن قريشاً كانوا يسمون قطين الله إذ كانوا جيران بيته الذي اختصه وفرض على الناس حجه ومن الشاهد قول عبد الله بن قيس الرقيات :

أتانا رسول من رقية ناصح بأن قطين الله بعدك سيرا

يريد أهل مكة وحكى ابن الزبير قال سمعت حسان بن ثابت ينشد هذا البيت في جملة قصيدته الميمية على قوله :

لنا حاضر فخم وباد كأنه قطين إله عزة وتكرما

قال فغيره الرواة فيما بعد حسداً لقريش فقالوا :

شماريخ رضوى عزة وتكرما

وأي تكرم للجبال .

٤٠٣ - وقوله سبحانه : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ ﴾ .

[السجدة - الآية ٢٧]

وقد أشرنا إلى هذه اللفظة أنها مستعارة واطلعنا خبيها ونشرنا مطوبها في سورة الكهف فلا حاجة إلى إعادة ذلك .

سورة الاحزاب

ومن السورة التي يذكر فيها الأحزاب

٤٠٤ - قوله سبحانه ﴿وَإِذَا زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ .

[الأحزاب - الآية ١٠]

وهاتان استعارتان فأما قوله تعالى ﴿وَإِذَا زَاغَتْ الْأَبْصَارُ﴾ فالمراد به تشتت الحافظة وعدولها عن جهة استقامتها نظراً إلى مطالع الخوف وجزعاً من مواقع السيف ومن عادة الخائف المتوقع أن يكثر التفاته وتتقسم أخطاه . وأما قوله ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ فالمراد به والله أعلم انتفاخ الرئات من الرعب ومن قولهم للخائف الجبان انتفخ سحره والسحر الرئة وكفي عنها بالقلب لتجاورها في الجوف ويجوز أن يكون المراد بذلك نبو القلوب عن أماكنها وانزعاجها من معاطنها^(١) لشدة الرعب وعلو الكرب فإذا انزعجت القلوب عن مستقراتها فانما تطلب صعوداً فلذلك حسن أن يقال ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ ويجوز أن تكون القلوب فهنا كناية عن النفوس ويكون معنى بلوغها الحناجر مقاربتها الخروج من عظيم الجزع وشدة الملح .

٤٠٥ - وقوله سبحانه ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنَّ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ .

[الأحزاب - الآية ١٣]

(١) الْمُعْطَن : من عطن : تَبَرَّكَ الْإِبِلُ (الكان)

وهذه استعارة لأن المراد بالعورة ههنا الموضع الذي يتوقى منه الرجل في الحرب والغيلة يقال أمور فلان لعدوه أي أمكنه من ظهره ومنه قولهم رجل مُعَبَّر أي مكشوف العيوب لمن أراد عيه وأصله مأخوذ من عورة الانسان وهي ما يستفحش ظهوره للناس فكان المعنى أن بيوتنا مكشوفة وللغارة معرضة لأن يدخل منها العدو إلى المدينة فصارت بمنزلة العورة للمدينة كما يخاف الرجل في الحرب أن يؤق من عورة ويرى من موضع غفلة .

٤٠٦ - وقوله سبحانه: ﴿ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ ﴾ .

[الأحزاب - الآية ١٩]

وهذه استعارة والمراد بسلقوكم ههنا طعنوكم بالسنة وهم بذمهم وعيبهم وأصل السلق شدة وقع الصوت ومنه خطيب سلاق ومسلاق وقال الاعشى :

فيحم الخصب والسماحة والنجدة فيهم والخطاب السلاق

ويروي المسلاق وعندني أن ذلك مأخوذ من قوفهم سلق الراكب ظهر البعير إذا أدبره يسلفه سلقاً فيكون قوله تعالى ﴿ سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ ﴾ أي أثروا فيكم بأقوالهم وحزوا في قلوبكم بكلامهم كما أثر هذا الراكب في ظهر البعير بادمان السير وانغاط الرجل ووصف اللسنة بالحدة محض الاستعارة تشبيهاً لما بمضارب الصنّاح ولهازم^(١) الرماح لشدة وخزها في القلوب وخزها في الجنوب .

٤٠٧ - وقوله تعالى^(٢): ﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ﴾ .

[الأحزاب - الآية ٢٦]

(١) من هُذَمَ : اخذ القاطع من السيوف والأسنة والأنياب .

(٢) إلى هنا انتهى النقص الذي في ط .

وهذه استعارة والمراد بها أنه تعالى ألقى الرعب في قلوبهم من أثقل جهاته وعلى افطع بغضاته تشبيهاً بقذفة الحجر إذا صكت الإنسان على غفلة منه فإن ذلك يكون أملاً لقلبه وأشد لروعه .

٤٠٨ - وقوله سبحانه: ﴿مَنْ يَأْتِ مِنْكُمْ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ .

[الأحزاب - الآية ٣٠]

وهذه استعارة على قراءة من قرأ مينة بكسر الياء فكأنه تعالى جعل الفاحشة تبين حال صاحبها وتشير إلى ما يستحقه من العقاب عليها وهذا من أحسن الاغراض وأنقى جواهر الكلام .

٤٠٩ - وقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ .

[الأحزاب - الآية ٤٠]

على قراءة من قرأ خاتم ففتح التاء وكسرهما والمعنيان متفقان وهذه استعارة والمراد بها أن الله تعالى جعله صلى الله عليه وآله حافظاً لشرائع الرسل عليهم السلام وكتبهم وجامعاً لمعالم دينهم وآياتهم كالخاتم الذي يطبع به على الصحف وغيرها ليحفظ ما فيها ويكون علامة عليها وفيه ايضاً معنى آخر وهو أن الخاتم الذي يختم به ما يكتب بعد الفراغ من كتابته على الأغلب فكأنه من هذا الوجه يدل على أن الله سبحانه بعثه بعد تقضي مباعث الرسل وانقطاع إرسالهم إلى الأمم ولم يبق منهم من يرجي مولده ولا ينتظر مولده .

٤١٠ - وقوله تعالى: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُبِينًا﴾ .

[الأحزاب - الآية ٤٦]

وهذه استعارة والمراد بالسراج المنير ههنا أنه صلى الله عليه وآله يهتدى به

في ضلال الكفر وظلام الغي كما يستصبح بالشهاب في الظلماء وتستوضح الغرة في الدِّهماء .

٤١١ - وقوله تعالى ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ .

[الأحزاب - الآية ٧٢]

وهذه استعارة وللعلماء في ذلك أقوال نحن نستقصي ذكرها عند البلوغ اليها من الكتاب الكبير بتوفيق الله ومشيئته إلا أننا نشير إلى بعض ذلك ههنا إشارة تليق بغرض هذا الكتاب في طريقة الاختصار وحذف الاكثار قال بعضهم المراد بذلك أهل السماوات والأرض والجبال فحذف^(١) لفظ الأهل اختصاراً للدلالة^(٢) الكلام عليه وذلك كقوله تعالى ﴿ وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ ﴾ أي أهلها ﴿ وَالْعِيرَ ﴾ أي ركبائها وكقولهم صلى المسجد فلما حذف الأهل أجري الفعل على لفظ السماوات والأرض والجبال فقليل ﴿ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ﴾ كقوله تعالى ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ ﴾ أي من أهل القرية فلما حذف الأهل أجري الفعل على القرية فقليل كانت تعمل الخبائث رداً على أهل القرية وهذا موضع حسن وقال بعضهم المراد بذلك تفخيم شأن الأمانة ووأن منزلتها منزلة ما لو عرض على هذه الأشياء المذكورة مع عظمها وكانت تعلم ما فيها لأبت أن تحملها واشفقت كل الاشفاق منها إلا أن هذا الكلام خرج مغرغ معارضته سواء^(٣) والمعارضة والمقابلة والمقايسة والموازنة بمعنى واحد فأخبر الله تعالى عن عظم أمر الأمانة وثقلها وأنها إذا قيست بالسماوات والأرض والجبال ووزنت بها رجحت عليها ولم تطق حملها ضعفاً عنها وذلك معنى قوله تعالى ﴿ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ﴾ ومن كلامهم فلان يأبى الضيم إذا كان

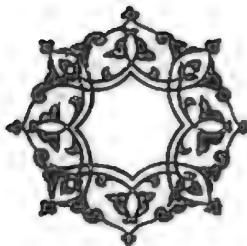
(١) ط . أغلب كلمات هذا المورد مطبوسة بالحروف

(٢) ط . بدلالة .

(٣) ن . معارضته بغير حرف العطف .

(٤) ن . نخلت من (سواء)

لا يحتمله^(١) فالإباء ههنا هو^(٢) لا تمام يحتمل الشيء والاشفاق في هذا الموضع هو الضعف عن الشيء ولذلك كُتِبَ به عن الخوف الذي هو ضعف القلب فقالوا فلان مشفق من كذا أي خائف منه يقول تعالى : فالسماوات والأرض والجبال لم تحمل الأمانة ضعفاً عنها وحملها الإنسان أي تقلدها وتطوَّق^(٣) المآثم فيها للمعروف من كثرة جهله وظلمه لنفسه .



(١) ن . لا يحمله .

(٢) ن . خلت من (هو) ونظن الأصل أن تكون ان المصدرية بين هو ولا يقام .

(٣) ط . تطرق .

سورة سبأ

ومن السورة التي يذكر فيها سبأ

٤١٢ - قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ الآية .

[سبأ - الآية ٢٣]

وهذه استعارة على قراءة من قرأ فَرَعَ بالزاي والعين وفرغ بالراء والغين فالمراد بقراءة من قرأ بالعين غير المعجمة أي ازيل الفرع عن قلوبهم كما تقول قَذَّيت عينه إذا ازلت القذى^(١) عنها وهو كقولهم رغب عنه إذا رفعت الرغبة عنه خلافاً لقولهم رغب فيه إذا صرفت الرغبة اليه فالرغبة في أحد الامرين منعطفة وفي الآخر منصرفة . والمراد بقراءة من قرأ فَرَّغ بالعين المعجمة قريب من المراد بالقراءة الأولى كأنه سبحانه قال حتى إذا أخرج ما كان في قلوبهم من الخوف والوجل ففَرَّغَتْ منها وإنما قال عن قلوبهم لأنه تعالى اقام ذلك مقام التفريغ عن قلوبهم فكما حسن أن يقال فَرَّجَ عن قلبه فكذلك حسن أن يقال فَرَّغَ عن قلبه وهذا موضع سر لطيف ومعنى عجيب .

٤١٣ - وقوله سبحانه: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ .

[سبأ - الآية ٣١]

وهذه استعارة والمراد بها ما تقدم القرآن من الكتب فكأنها كانت مشيرة اليه ومطرقة بين يديه وقد مضى الكلام على نظائر ذلك .

(١) القذى : التراب المدقق .

٤١٤ - وقوله تعالى: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا﴾.

[سبأ - الآية ٣٣]

والمراد بمكر الليل والنهار ما وقع^(١) من مكرهم في الليل والنهار فأضاف تعالى المكر اليهما لوقوعه فيهما وفيه أيضاً زيادة فائدة وهي دلالة الكلام على أن مكرهم كان متصلاً غير منقطع في الليل والنهار كما يقول القائل : ما زال بنا سير الليل والنهار حتى وردنا أرض بني فلان وهذا دليل على اتصال سيرهم في الليل والنهار من غير اغياب^(٢) ولا إراحة ركاب .

٤١٥ - وقوله سبحانه: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ غَذَابٍ شَدِيدٍ﴾^(٣).

[سبأ - الآية ٤٦]

وهذه استعارة والمراد أنه عليه السلام بعث ليقدم الانذار أمام وقوع العقاب إزاحة للعلة وقطعاً للمعذرة وقد تقدمت اشارتنا إلى نظائر هذه الاستعارة في عدة مواضع من هذا الكتاب .

٤١٦ - وقوله سبحانه: ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيءُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُهُ﴾^(٤).

[سبأ - الآية ٤٩]

وهذه استعارة لأن الابداء والاعادة يكونان في القول ويكونان في الفعل فأما كونهما في الفعل فقوله تعالى ﴿وهو الذي يبدىء الخلق ثم يعيده﴾^(٥) وأما

(١) ط . ما يتوقع .

(٢) من غِبٍّ : تَنَاقُ .

(٣) ن . خلت من شرح هذه الآية .

(٤) ن . لم يذكر فيها الآية وإنما ذكر شرحها .

(٥) سورة الروم الآية ٢٧ ولفظها : ﴿وهو الذي يبدىء الخلق ثم يعيده﴾ ونظن انه اراد التمثيل بالآية ١٩ من سورة العنكبوت ولفظها : ﴿أو لم يروا كيف يبدىء الله الخلق ثم يعيده﴾ ويبدو ان هناك خطأ من النساخ .

كونها في القول فإن النائل يقول سكت فلان فلم يعد ولم يبدء أي لم يتكلم ابتداءً ولا احرار جواباً وهاتان الصفتان يستحيل^(١) أن يوصف بهما الباطل الذي هو عرض من الأعراض إلا على طريق الاتساع والمجاز وإنما المراد أن الحق قوي وظهر والباطل ضعف واستتر ولم يبق له بقية يقوي بها ضعفه وينجبر بعد وهنه أي ما تقوم له قائمة في بدء ولا عود والبدء الحال الأولى والعود الحال الأخرى وكذلك الابداء والاعادة ويجوز أن يكون لذلك وجه آخر وهو أن يكون المعنى أن الباطل كان عند غلبة الحق وظهوره بمنزلة الواجم الساكت^(٢) الحائر الذاهل الذي لا قدرة له^(٣) على الحجاج ولا قوة له على الانتصار كقوهم سكت فيما اعاد ولا أبدى عند وصف الانسان بالخير وغلبة الفكرة وقد قيل في ذلك ايضاً وجه آخر يخرج به الكلام عن حيز^(٤) الاستعارة وهو أن يكون المراد أن صاحب الباطل لا يبدى ولا يعيد عند حضور صاحب الحق ضعفاً^(٥) عن حجاجه وضلالاً عن منهاجه فجعل المضاف ههنا في موضع المضاف اليه وذلك كثير في كلامهم .

٤١٧ - قوله سبحانه: ﴿ وَيَقْدِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ .

[سبأ - الآية ٥٣]

وهذه استعارة والمراد بذلك والله أعلم انهم يقولون ما لا يعلمون ويظنون ولا يتحققون وهم بمنزلة الرامي غرضاً بينه وبينه مسافة متباعدة فلا يكون سهمه ابداً إلا قاصراً عن الغرض وعادلاً عن السدد .

(١) ن . مستحيل .

(٢) ن . الساكن .

(٣) ن . الذاهل الذي لا قدرة له على الانتصار كقوهم .

(٤) ن . عن حد الاستعارة .

(٥) ن . ضعيفاً .

سورة فاطر

ومن السورة التي يذكر فيها الملائكة (وهي فاطر)

٤١٨ - قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ .

[فاطر - الآية ١٠]

وهذه استعارة وليس المراد أن هناك على الحقيقة شيئاً يوصف بالصعود ويرتقي من سفال إلى علو وإنما المراد ان القول الطيب والعمل الصالح متقبلان عند الله عز وجل واصلان اليه سبحانه بمعنى أنها يبلغان رضا وينالان زلفاء وانه تعالى ^(١) لا يضيعهما ولا يهمل الجزاء عليهما وهذا كقول القائل لغيره قد ترقى إلى الأمير ما فعلته ^(٢) أي بلغه ذلك على وجهه وعرفه على حقيقته وليس يريد به الارتقاء الذي هو الارتفاع وضده ^(٣) الانخفاض ووجه آخر قيل ان معنى ذلك صعود الاقوال والاعمال إلى حيث لا يملك الحكم فيه إلا الله تعالى كما يقال ارتفع أمر القوم إلى القاضي إذا انتهوا إلى أن يحكم بينهم ويفصل خصامهم . ووجه آخر قيل ان الله سبحانه لما كان موصوفاً بالعلو على طريق الجلال والعظمة لا على طريق المدى والمسافة فكلماً يتقرب به من قول زكي وعمل مرضي فالأخبار عنه يقع بلفظ الصعود والارتفاع على طريق المجاز والاتساع .

(١) ن . والله تعالى .

(٢) ط . خلت من (ما فعلته)

(٣) ن . خلت من (وضده الانخفاض)

٤١٩ - وقوله تعالى ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جِلْهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۝ ﴾ .

[فاطر - الآية ١٨]

وقد مضى نظير هذا الكلام في الانعام وفي بني اسرائيل وتركنا الاشارة اليه هناك وجاءت في هذا الموضع زيادة حققت الكلام بالاستعارة فاحتجنا إلى العبارة عنها اسوة بنظائرها فنقول ان قوله تعالى ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۝ ﴾ أي لا تحمل حامله حمل غيرها يوم القيامة يقال وزر يزر وزراً اذا حمل والاسم الوزر ومن ذلك أخذ اسم الوزير لأنه حامل الثقل عن الأمير والمعنى ولا يحمل مذنب ذنب غيره ولا يؤخذ بجرمه وجنائته والزيادة في هذا الموضع قوله تعالى ﴿ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جِلْهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۝ ﴾^(١) فشبّه سبحانه استغاثه المثلث من الأثام باستغاثه المثلث من الأعباء لأن من عادة من تلك حاله أن يطلب من يشاطره الحمل ويخفف عنه الثقل فأما في ذلك اليوم فلا تهم كل امرئ إلا نفسه ولا يعنيه إلا أمره ولا يعين أحد أحداً ولا يخفف مدعو من داع ثقلاً ولو كان أولى الناس بأمره وأقربهم التياطاً به وانتياطاً بنسبه وإنما قال سبحانه ﴿ مُثْقَلَةٌ ﴾ ولم يقل مثقل لأنه رد ذلك إلى النفس ولم يردده إلى الشخص .

٤٢٠ - وقوله تعالى ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ۝ ﴾ .

[فاطر - الآية ٤٣]

وهذه استعارة والمراد أن الله تعالى يعاقب المشركين على مكربهم بالمؤمنين فكأنما مكروا بأنفسهم ووجعوا الضبر الهم لا إلى غيرهم إذ كان^(٢) المكرب عائداً بالوبال عليهم ومعنى ﴿ وَلَا يَحِيقُ ﴾ أي لا يحل^(٣) ولا ينزل ولا يحيط إلا بهم وهذه الالفاظ بمعنى واحد .

(١) الآية ١٨ نفسها .

(٢) ن . اذا

(٣) ط . أي لا يحمل .

سورة يس

ومن السورة التي يذكر فيها يس

٤٢١ - قوله تعالى ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ﴾ ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ .

[يس - الآيتان ٧ / ٩]

وهاتان استعارتان ومن أوضح الأدلة على ذلك أن الكلام كله في اوصاف القوم المذمومين وهم في احوال الدنيا دون الآخرة ألا ترى قوله تعالى^(١) بعد ذلك ﴿ وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرتهم لا يؤمنون ﴾ وإذا كان الكلام محمولاً على احوال الدنيا دون الآخرة وقد علمنا أن هؤلاء القوم الذين ذهب الكلام اليهم كان الناس يشاهدونهم غير مقمحين بالاغلال ولا مضروباً عليهم بالأسداد علمنا أن الكلام خرج مخرج قوله سبحانه ﴿ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ﴾^(٢) فكان ذلك وصف لما كان عليه الكفار عند سماع القرآن من تنكيس الاذقان وليّ الاعناق ذهاباً عن الرشيد واستكباراً عن الانقياد للحق وضيق صدورهم بما يرد عليهم من صواع البيان وقوارع القرآن وقد اختلف في معنى الاقماح فقال قوم هو غرض الابصار واستشهدوا بقول بشر بن أبي حازم في ذكر السقيفة :

ونحن على جوانبها قعود نغض الطرف كالابل القماح

(١) ن . إلتراء تعالى يقول . (٢) البقرة ، الآية ٧ .

وقال قوم المفسرين الرابع رأسه صعوداً فكان هؤلاء المذمومين شبهوا على
 المبالغة في وصف تكابرهم للايمان وتضايق صدورهم لسماع القرآن يقوم
 عوقبوا فجذبت أعناقهم بالاغلال الى صدورهم مضمومة اليها ايمانهم ثم
 رفعت ليكون ذلك أشد لايلامهم وأبلغ في عذابهم . وقيل أن المقصود الغاض
 بصره بعد رفع رأسه فكانه جامع بين الصفتين جميعاً وقيل ان قول تعالى
 ﴿فهي الى الأذقان﴾ يعني به ايمانهم^(١) المجموعة بالاغلال الى أعناقهم فاكتمت
 بذكر الأعناق من الايمان لأن الاغلال تجمع بين الايمان والأعناق وكذلك معنى
 السد المجعل بين أيديهم ومن خلفهم إنما هو تشبيه بمن قصر خطوه وأخذت
 عليه طريقه ولما كان ما يصيبهم من هذه المشاق المذكورة والأحوال المذمومة وإنما
 هو عقوبت تلاوة القرآن عليهم ونفث قوارعه في أسماعهم حسن أن يضيف
 سبحانه ذلك الى نفسه فيقول « إنا جعلناهم على تلك الصفات » وقد قرئ
 سداً بالفتح وسداً بالضم وقيل ان السد بالفتح ما يصنعه الناس والسد بالضم
 ما يصنعه الله تعالى وقال بعضهم المراد بذكر السد ههنا الاخبار عن خذلان
 الله اياهم وتركه نصرهم ومعونتهم كما تقول العرب في صفة الضال المتحير
 فلان لا يتخذ في طريق يسلكه ولا يعلم أمامه أم وراؤه خير له وعلى ذلك قول
 الشاعر :

فأصبح لا يدري وإن كان حازماً أقدامه خير له أم وراؤه

وأما قوله سبحانه ﴿ فأغشيناهم فهم لا يبصرون ﴾ فهو أيضاً في معنى
 الختم والطبع وواقع على الوجه الذي يقعان عليه وقد تقدم ايماننا اليه .

٤٢٢ - وقوله سبحانه ﴿ وَأَيُّ نَفْسٍ أَلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴾ .

[يس - الآية ٣٧]

وهذه استعارة والمراد نخرج منه النهار ونستقصى تخليص أجزائه من

(١) ن . الايمان .

(٢) ن . خلت من (هذه) .

أجزائه^(١) حتى لا يبقى من ضوء النهار شيء مع ظلمة الليل فإذا الناس قد دخلوا في الظلام وهذا معنى قوله تعالى ﴿ فَإِذَا هُمْ مَظْلَمُونَ ﴾ كما يقال أفجروا إذا دخلوا في الفجر وانجدوا واتهموا إذا دخلوا نجداً وتهمة . والسلخ اخراج الشيء مما لا بهه والتحم به فكل واحد من الليل والنهار متصل بصاحبه اتصال الملابس بأبدانها والجلود بحيوانها ففي تخليص أحدهما من الآخر حتى لا يبقى معه منه طرف عليه منه أثر آية باهرة ودلالة قاهرة فسبحان الله رب العالمين .

٤٢٣ - وقوله سبحانه في ذكر البعث: ﴿ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثُنَا مِن مَّرْقَدِنَا * هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾ .

[يس - الآية ٥٢]

وهذه استعارة لأن المرقد ههنا عبارة عن الممات فشبها حال موتهم بحال نومهم لأنها أشبه الأشياء بها وكذلك شبه حال الاستيقاظ بحال الأحياء والانتشار وعلى ذلك قوله عليه السلام « انكم تموتون كما تنامون وتبعثون كما تستيقظون » وقال بعضهم الاستعارة هنا أبلغ من الحقيقة لأن النوم أكثر من الموت والاستيقاظ أكثر من الأحياء بعد الموت لأن الإنسان الواحد يكرر عليه النوم واليقظة مرات وليس كذلك حال الموت والحياة .

٤٢٤ - وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَن يُبْصِرُوا ﴾ .

[يس - الآية ٦٦]

وهذه استعارة والمراد بالطمس ههنا اذهاب نور الأبصار حتى يبطل ادراكها تشبيهاً بطمس حروف الكتاب حتى تشكل قراءتها وفيه أيضاً زيادة معنى لأنه يدل على محو آثار عيونهم مع اذهاب إبصارها وكشف أنوارها وقيل معنى الطمس إلحام الشقوق التي بين الاجفان حتى تكون مبهمه لا شق فيها ولا شفر لها يقولون : أعشى مطموس وطميس اذا كان كذلك .

(١) ط - خلت من (أجزائه)

٤٢٥ - وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ .

[يس - الآية ٦٨]

وقرى، نكسه بالشديد وهذه استعارة والمراد والله أعلم أنا نعيد الشيخ الكبير الى حال الطفل الصغير في الضعف بعد القوة والتشاغل بعد النهضة والاخلاق بعد الجدة تشبيهاً بمن انتكس على رأسه فصار أعلاه سفلاً وأسفله علواً .

٤٢٦ - وقوله تعالى: ﴿ لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحَقِّقَ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ .

[يس - الآية ٧٠]

وهذه استعارة والمراد بالحي ههنا الغافل الذي يستيقظ اذا اوقظ ويتعظ إذا وعظ فسمى تعالى المؤمن^(٢) الذي يتنفع بالانذار حياً لنجاته وسمى الكافر الذي لا يصغي الى الزواجر ميتاً لهلكه^(٣) .

٤٢٧ - وقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴾ .

[يس - الآية ٧١]

وهذه استعارة والمراد بذكر الايدي ههنا قسمان من أقسام اليد في اللغة العربية إما ان تكون بمعنى القوة أو بمعنى تحقيق الاضافة فكأنه سبحانه « أو لم يروا أنا خلقنا لهم أنعاماً اخترعناها بقوة تقديرنا ومتقن تدبيرنا » أو يكون المعنى أن هذه الانعام مما تولينا خلقه من غير أن يشاركنا فيه أحد من

(١) ن . البصر .

(٢) ط . للون (كذا)

(٣) ن . لهلكته .

المخلوقين لأن المخلوقين^(١) قد يعملون سفائن البحر ولا يعملون سفائن البر
المذلة ظهورها والمحلة لحومها فهذا وجه فائدة الاضافة في قوله تعالى في مما
عملت أيدينا ﷻ والله تعالى أعلم .



(١) ن . خلقت من (لأن المخلوقين)

سورة الصافات

ومن السورة التي يذكر فيها الصافات

٤٢٨ - قوله تعالى ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عَيْنٌ ۖ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾ .

[الصافات - الآيتان ٤٨ - ٤٩]

وهذه استعارة والمراد بالقاصرات^(١) الطرف ههنا اللواتي جعلن نظرهن مقصوراً على ازواجهن أي حبسن النظر عليهم فلا يتعدى بهم إلى غيرهم وجيء بذكر الطرف على طريق المجاز وإلا فحقيقة المعنى أنهم حبسن الأنفس على الأزواج عفة وديناً وطلقاً^(٢) وصوناً وإنما وقعت الكناية عن هذا المعنى بقصر الطرف لأن طمّاح^(٣) العين في الأكثر يكون سبباً لتتبع النفوس وتطرب القلوب وعلى هذا قوله الشاعر :

وكنّت اذا أرسلت طرفك رائداً لقلبك يوماً أتعبتك المناظر

والطرف ههنا واحد في تأويل الجمع^(٤) ونظيره قوله تعالى ﴿وختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم﴾^(٥) أي على أسماعهم أو مواضع استماعهم .

(١) ن . بقاصرات .

(٢) كذا في ن . وفي ط . حلقاً ولعل الأصل طهراً .

(٣) من طمّح : بصره اليه أي ارتفع ونظره شديداً . استشرّف له وطمّح بانفقه . شمع . وطمّحت المرأة زوجها : جمحت فهي طامّح .

(٤) ط . الجميع .

(٥) البقرة الآية ٧ .

سورة ص

ومن السورة التي يذكر فيها ص

٤٢٩ - قوله تعالى ﴿ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴾ .

[ص - الآية ١٢]

وهذه استعارة على بعض الأقوال وهو أن يكون معنى ذي الاوتاد^(١) ذا الملك الثابت والأمر الراسخ والاسباب التي يثبت بها السلطان كما يثبت الخباء^(٢) بأوتاده ويقوم على أعماده وقد يجوز أيضاً أن يكون معنى ذي الاوتاد ذا الأبنية المشيدة والقواعد المهيّدة التي تشبّه بالجبال في ارتفاع الرؤوس ورسوخ الأصول لأن الجبال قد تسمى^(٣) أوتاد الأرض قال الله سبحانه : ﴿ وَالْجِبَالُ أَوْتَادُ ﴾^(٤) .

٤٣٠ - وقوله تعالى ﴿ وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَأْثُورًا مِنْ فَوْقِ ﴾ .

[ص - الآية ١٥]

وقرىء فواق بالضم وقد قيل انها لغتان وذلك قول الكسائي وقال ابو عبيدة من فتح أراد ما لها من راحة ومن ضم أراد ما لها في إهلاكهم من مهلة بمقدار فواق الناقة وهي الوقفة التي بين الخلتين والموضع الذي يحقق فيه الكلام بالاستعارة على قراءة من قرأ من فواق بالفتح أن يكون سبحانه وصف

(١) ط . يعني ذو الملك .

(٢) ط . الجنايا .

(٣) ط . لم يرد فيها (قد)

(٤) النبأ ، الآية ٥٣ .

تلك الصيحة بأنها لا افاة من سكرتها ولا استراحة من كبريتها كما يفق المريض من علته والسكران من نشوته والمراد أنه لا راحة للقوم منها فجعل تعالى الراحة لها على طريق المجاز والاتساع ومثله كثير في الكلام .

٤٣١ - وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعَجَةً وَلِي نَعَجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ۝ ﴾ .

[ص - الآية ٢٣]

هذا الكلام داخل في حيز الاستعارة لأن النعاج ههنا كناية عن النساء وقد جاء في أشعارهم الكناية عن المرأة بالشاة وعلى ذلك قول الأعشى :

يا شاة ما قنص لمن حلت له حرمت علي وليتها لم تحرم

وربما سموا الظبية نعجة والظبية مشبهة بالمرأة فتكون اللفظة مستعارة على هذا التركيب وإنما شبهت النساء بالنعاج لأن النعاج يرتبطن للاحتلاب والاستنتاج والنساء يصطفين للاستمتاع والاستيلاء .

٤٣٢ - وقوله تعالى في ذكر الخيل حاكياً عن سليمان عليه السلام لما عرضت عليه فكاد أن يفوته للشغل بها وقت صلاة كان يصليها فضرب رؤوسها وعراقيبها^(١) بالسيف على ما وردت به الاخبار: ﴿ رُدُّوْهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ۝ ﴾ .

[ص - الآية ٣٣]

وهذه استعارة لأن المسح ههنا في أكثر أقوال أهل التأويل^(٢) كناية عن الضرب بالسيف ومن قولهم^(٣) مسح علاوته إذا ضرب رأسه بالسيف وامتسح رأسه إذا فعل به مثل^(٤) ذلك وهذه الباء ههنا لالصاق فكأنه تعالى قال

(١) عراقيب : « العروق عصب غليظ فوق الغيب .

(٢) ن . التنزيل .

(٣) طه . خلعت من (ومن قولهم مسح علاوته إذا ضرب رأسه بالسيف) .

(٤) ط . لم ترد فيها (مثل) .

« فالصق السيف بسوقها وأعناقها كما يقول القائل » مسحت يدي بالمنديل « أي الصقته به وعلى ذلك قول الشاعر^(١) :

نَشُّ بِأَعْرَافِ الْجِيَادِ أَكْفَنَّا إِذَا نَحْنُ قَمْنَا عَنْ شَوَاءِ مَصْهَبِ

أي نلصق أيدينا بأعرافها كما نلصقها بالمناديل التي نمسح بها الأيدي وقد صرح بذلك الشاعر الآخر^(٢) :

(أعرافهن لأيدينا مناديل)^(٣)

والشاهد الأعظم على ذلك ما ورد في التنزيل من قوله سبحانه ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ إِلَى الْكَعْبِينَ﴾^(٤) لوعلى قراءة من قرأ أرجلكم جرّاً أي الصقوا المسح بهذه المواضع وهذه الآية يستدل بها أهل العراق على أن استيعاب الرأس بالمسح ليس بواجب خلافاً لقول مالك وقال الشيخ أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمي إدام الله توفيقه عند بلوغي في القراءة عليه من مختصر أبي جعفر الطحاوي إلى هذه المسألة سألت أبا علي الفارسي النحوي وأبا الحسن علي بن عيسى الرّماني هل يقتضي ظاهر الآية الصاق الفعل بجميع المحل أو ببعضه فقالا جميعاً إذا التصق الفعل ببعض المحل تناوله الاسم قال وهذا يدل على الاختصار على مسح بعض الرأس كما يقول أصحابنا .

٤٣٣ - وقوله تعالى : ﴿وَأَذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ .

[ص - الآية ٤٥]

(١) الشاعر هو امرؤ القيس .

(٢) هو عبدة بن الطيب .

(٣) صدر البيت (نُشْتُ قَمْنَا إِلَى جَرْدِ مَسْمُومَةٍ)

(٤) سورة المائدة الآية ٦ .

وهذه استعارة والمراد بها والله أعلم أولي القوة^(١) في العبادة والبصائر في الطاعة ولا يجوز أن يكون المراد بالابصار ههنا الجوارح والخواس لأن سائر الناس يشاركون الأنبياء عليهم السلام في خلق ذلك لهم ولا يحسن مدح الإنسان بأن له يداً وقدماً وعيناً وفماً وإنما يحسن أن يمدح بأن له نفساً شريفة وهمة منيفة^(٢) وأفعالاً جميلة وأخلاقاً^(٣) عمودة وقيل أيضاً أولي الأيدي أولو النعم في الدين لأن ورود اليد بمعنى النعمة مشهور في كلامهم فكانهم اسدوا إلى الناس أيدياً بدعائهم إلى الإيمان وانفلاتهم من حبال الضلال^(٤) وأما قوله تعالى في هذه السورة ﴿وما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾^(٥) فقد مضى الكلام على قوله تعالى في يس ﴿أو لم يروا إنا خلقناهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون﴾^(٦) ما هو عينه الكلام على هذا الموضع فلا فائدة في إعادته وجملته أن المراد بقوله ﴿لما خلقت بيدي﴾ مزية الاختصاص بخلق آدم عليه السلام من غير معونة معين ولا مظاهرة ظهير .

(١) ط . الفوي

(٢) همة منيفة : تامة الطول والحسن .

(٣) ط . خللاً .

(٤) ن . الشيطان في الدين .

(٥) الآية ٧٥ .

(٦) الآية ٧١ .

سورة الزمر

ومن السورة التي يذكر فيها الزمر

٤٣٤- قوله تعالى: ﴿يُكْوَرُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوَرُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ﴾

[الزمر - الآية ٥]

وهذه استعارة والمعنى يعني هذا على هذا وهذا على هذا وذلك مأخوذ من قولهم كار العمامة على رأسه يكورها إذا أدارها عليه وقد قالوا^(١) طعنه فكوره أي صرعه ومنه قول أبي كبير الهذلي :

متكورين على المعادي بينهم ضرب كتعطاط المزاد الانجل

ومنه الحديث المأثور « نعوذ بالله من الحور بعد الكور » أي من الابدان بعد الاقبال وقيل من القلة بعد الكثرة لأنهم يسمون القطيع الكثير من البقر وغيرها كوراً ومنه قول أبي ذؤيب في صفة الثور :

ولا شبوب من الثيران أفرده عن كوره كثرة الاغراء والطرد

أي عن سر به الكثير فيجوز أن يكون المعنى ﴿يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل﴾ على قول من يقول طعنه فكوره يريد فصرعه أي يلقي الليل على النهار ويكون المعنى على قول من يذهب إلى أن الكور اسم

(١) ن . وقد يقال .

للكثرة أي يكثر اجزاء الليل حتى يغشى ضوء النهار وتغلب ظلمة الليل ويكون
النهار على الليل أي يكثر اجزاء النهار حتى تظهر وتنتشر وتتلاشى اجزائه
وتضمحل .

٤٣٥ - وقوله تعالى: ﴿لِلَّهِ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ﴾ .

[الزمر - الآية ٤٢]

وفي هذا الكلام استعارة خفية وذلك أن قوله تعالى ﴿لِلَّهِ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ أي يقبضها والتي لم تمت في منامها منسوق عليه وظاهر الخطاب أنه سبحانه يتوفى الأنفس التي لم تمت في منامها ايضاً ونحن نجد اشارة بقاء نفس النائم في جسده بأشياء كثيرة منها ظهور التنفس والحركة وحذف لسانه بالكلمة بعد الكلمة وغير ذلك مما يجري وبجراه فيكون معنى توفي النفس النائمة هنا اقتطاعها عن الافعال التمييزية والحركات الارادية كالعزوم والقصود وترتيب القيام والعود إلى غير ذلك مما في معناه وقال بعضهم الفرق بين قبض النوم وقبض الموت أن قبض النوم يضاد اليقظة وقبض الموت يضاد الحياة^(١) وقبض النوم تكون الروح معه في البدن وقبض الموت تخرج الروح معه من البدن .

٤٣٦ - وقوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتُ عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاجِرِينَ ۖ﴾ .

[الزمر - الآية ٥٦]

وهذه استعارة وقد اختلف في المراد بالجانب هنا فقال قوم معناه في ذات الله وقال قوم معناه في طاعة الله وفي أمر الله إلا أنه ذكر الجانب على مجرى العادة في قولهم هذا الأمر صغير^(٢) في جنب ذلك الأمر أي في جهته لأنه إذا

(١) ط . خلعت من (يضاد الحياة)

(٢) ط . صغير كذا .

عبر عنه بهذه العبارة دل^(١) على اختصاصه به من وجه قريب من معنى صفته وقال بعضهم معنى^(٢) في جنب الله أي في سبيل الله أو في الجانب الأقرب إلى مرضاته بالأوصل إلى طاعته ولما كان الأمر كله يتشعب إلى طريقتين : إحداهما هدى ورشاد والأخرى غي وضلال وكل واحد منهما بجانب لصاحبه أي هو في جانب الآخر في جانب وكان الجنب والجانب بمعنى واحد حسنت العبارة ههنا عن سبيل الله بجنب الله على النحو الذي ذكرناه .

٤٣٧ - وقوله سبحانه: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ .

[الزمر - الآية ٦٣]

وهذه استعارة والمقاليد المفاتيح وواحداهما مقلید وواحد الاقاليد إقليد وهما بمعنى واحد وقال غيره واحدهما قلد على غير قياس وقال أبو عمرو بن العلاء ووجهه في العربية أن يكون الواحد على لفظ مقلد ثم يجمع مقاليد فمن شاء أن يشعب كسرة اللام قال مقاليد كما يقال درهم ودراهم قال وسمعت أبا المنذر يقول واحد المفاتيح مفتاح وواحد المفاتيح مفتاح والمعنيان جميعاً واحد والمراد بمقاليد السموات والارض ههنا والله اعلم أي مفاتيح خيراتها ومعادن بركاتها من اذارار الامطار وايراق الاشجار وسائر وجوه المنافع وعوائد المصالح وقد وصف تعالى السماء في عدة مواضع بأن لها خزائن وابواباً فحسن على مقتضى الكلام أن توصف بأن لها مقاليد واغلاق قال تعالى ﴿لَا تَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ﴾^(٣) وقال تعالى ﴿فَنَفْتَحُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَا مِنْهُمْ﴾^(٤) وقال عز من قائل ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٥) وقالوا خزائن السماوات الامطار وخزائن الارض النبات وقد يجوز ان يكون معنى ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي طاعة السموات والارض ومن فيهن كما يقال القى فلان الى

(١) ط . ودل على .

(٢) ن . خلعت من لفظة (معنى)

(٣) الاعراف ، الآية - ٤٠ .

(٤) القمر ، الآية ١١ .

(٥) المنافقون ، الآية - ٧ .

فلان مقاليدہ أي اطاعہ وفوفس امرہ الیہ وعلى ذلك قول الاعشى :

فتی لو ینادی الشمس القت قناعها او القمر الساری لألقى المقالدا

أي لسلّم العلو الیہ واعترف له به وقال بعض العلماء ليس قول الشاعر
ههنا ینادی الشمس من النداء الذي هو رفع الصوت وإنما هو من المجالسة
تقول نادیت فلاناً اذا جالسته في النادي فكأنه قال لو يجالس الشمس لألقت
قناعها شغفاً به وتبرجاً له وهذا من غریب القول .

٤٣٨ - وقوله تعالى ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ
بِیَمِينِهِ ﴾ .

[الزمر - الآية ٦٧]

وهاتان استعارتان ومعنى « قبضته » ههنا أي ملك له خالص^(١) قد
ارتفعت عنه أيدي المالكين من بريتہ والمتصرفين فيه من خليفته وقد ورث
تعالى عباده ما كان ملكهم في دار الدنيا من ذلك فلم يبق ملك إلا انتقل ولا
مالك إلا بطل وقيل ايضاً معنى ذلك ان الأرض في مقدوره كالذي يقبض
عليه القابض ويستولي عليه كفه ويمحوه ملكه ولا يشاركه فيه غيره ومعنى قوله
﴿ والسماوات مطويات بيمينه ﴾ أي مجموعات^(٢) في ملكه ومضمونات بقدرته
واليمين ههنا بمعنى الملك يقول القائل هذا ملك يميني وليس يريد اليمين التي
هي الجارحة وقد يعبرون عن القوة ايضاً باليمين فيجوز على هذا التأويل ان
يكون معنى قوله تعالى ﴿ مطويات بيمينه ﴾ أي يجمع اقطارها ويطيوي انتشارها
بقوته كما قال سبحانه ﴿ يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب ﴾ وقيل لليمين ههنا
وجه آخر وهو ان يكون^(٣) بمعنى القسم لأنه تعالى لما قال في سورة الانبياء^(٤)
﴿ يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا

(١) ط . وخالص .

(٢) ن . خلت من (أي مجموعات في ملكه ومضمونات بقدرته)

(٣) ن . خلت من (أن يكون)

(٤) سورة الانبياء الآية ١٠٤ .

إننا كنا فاعلين ﴿ كان التزامه تعالى معل ما أوجبه على نفسه بهذا الوعد كأنه قسم أقسم به ليفعلن ذلك فأخبر سبحانه في هذا الموضع من السورة الأخرى إِنَّ ﴿ السماوات مطويات بيمينه ﴾ أي بذلك الوعد الذي ألزمه نفسه تعالى وجرى تجرى القسم الذي لا بد أن يقع الوفاء به والخروج منه والاعتماد على القولين المتقدمين اولى .



سورة المؤمن (١)

ومن السورة التي يذكر فيها المؤمن

٤٣٩ - قوله تعالى ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ .

[المؤمن - الآية ٧]

وهذه استعارة لأن حقيقة السعة إنما توصف بها الأوعية والظروف التي هي اجسام ولها اقدار ومساحات والله سبحانه يتعالى عن ذلك والمراد والله اعلم أن رحمتك وعلمك وسع كل شيء فنقل الفعل إلى الموصوف على جهة المبالغة كقولهم طبت بهذا الأمر نفساً وضقت بهذا ذرعاً أي طابت نفسي وضاق ذرعني وجعل العلم موضع المعلوم كما جاء قوله سبحانه ﴿ ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء ﴾ (٢) أي بشيء من معلومه .

٤٤٠ - وقوله تعالى ﴿ رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴾ .

[المؤمن - الآية ١٥]

وفي هذه الآية استعارتان : إحداهما قوله تعالى ﴿ رفيع الدرجات ﴾ والمعنى أن منازل العز ومراتب الفضل التي ينحس بها عباده الصالحين وأوليائه المخلصين رفيعة الاقدار مشرفة المنار فالدرجات المذكورة هي التي يرتفع عباده إليها لا التي يرتفع هو بها تعالى عن ذلك علواً كبيراً . والاستعارة

(١) وتسمى أيضاً سورة غافر .

(٢) سورة البقرة الآية ٢٥٥

الأخرى^(١) قوله سبحانه ﴿بَلِّغِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾
والروح ههنا كناية عن الوحي لقوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ
أَمْرِنَا﴾^(٢) وإنما سمي روحاً لأن الناس يعيون به من موت الضلالة وينشرون
من مدافن الغفلة وذلك أحسن تشبيه وأوضح^(٣) تمثيل .

٤٤١ - وقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ .

[المؤمن - الآية ١٩]

وهذه استعارة والمراد بخائنة الأعين والله اعلم الريب في كسر الجفون
ومرامز العيون وسمى سبحانه ذلك خيانة لأنه أمانة للريبة ومجانب للعنة
وقد يجوز أن تكون خائنة الأعين ههنا صفة لبعض الأعين بالمبالغة^(٤) في
الخيانة على المعنى الذي أشرنا إليه كما يقال علامة ونسابة وانشدوا قول
الشاعر في ذلك :

حدثت نفسك بالوفاء ولم تكن للمغدر خائنة المغل الاصبع

أي لم يكن موصوفاً في الخيانة ومعنى مغل الاصبع أي سارق مختلس
فأنضاف الاغلال الى الاصبع كما اضاف الآخر الخيانة إلى اليد في قوله^(٥) :

أوليت العراق ورافديه فزارياً أخذ يد التميمص

أي خفيف اليد في السرقة والأخذ الخفيف السريع وعنى برافديه دجنه
والفرات وإنما ذكرت اليد والاصبع في هذين البيتين لأن فعل السارق
والمختلس في الأكثر إنما يكون باستعمال يده واستخدام أصابعه .

(١) ط . خلت من (الأخرى) .

(٢) سورة الشورى الآية ٥٢ .

(٣) ن . وأصح تمثيل .

(٤) ن . المبالغة .

(٥) البيت هو للفردق .

سورة حم^(١)

ومن السورة التي يذكر فيها (حم) التي تجب فيها السجدة

٤٤٢ - قوله تعالى ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ بِمَا نَدْعُونَ إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ ﴾ .

[السجدة - الآية ٥]

وهذه استعارة والاكنة جمع كنان وهو السر والغطاء مثل عنان وأعنة وسانن وأسنة وليس هناك على الحقيقة شيء مما اشاروا اليه وإنما اخرجوا هذا الكلام مخرج الدلالة على استغفالهم ما يسمعون من قوارع القرآن وبقاع^(٢) البيان فكانهم من قوة الزهادة فيه وشدة الكراهية له قد وقرت اسماعهم عن فهمه واكنت قلوبهم دون علمه وذلك معروف في عادة الناس أن يقول القائل منهم لمن يشأ^(٣) كلامه ويستثقل خطابه ما اسمع قولك ولا اعي لفظك وإن كان صحيح حاسة السمع إلا أنه حمل الكلام على الاستثقال والمقت وعلى هذا قول الشاعر :

وكلام سيء قد وقرت أذني عنه وما بي من صمم

٤٤٣ - وقوله تعالى ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ .

[السجدة - الآية ١١]

(١) حم السجدة وتسمى أيضاً فصلت

(٢) ن . نوافع .

(٣) من شأ : شئى كان مكروهاً ولو جبراً .

وهذه استعارة وليس هناك مل الحسنة قول ولا جواب وإنما ذلك عبارة عن سرعة تكوين السموات والأرض كما قال تعالى ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(١) ولولم يكن المراد ما ذكرنا لكان في هذا الكلام أمر للمعدوم وخطاب لغير الموجود وذلك يستحيل من فعل الحكيم سبحانه ومعنى قوله تعالى ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ أنها جرتا^(٢) على المراد ووقفنا عند الحدود والاقدار من غير معاناة طويلة ولا مشقة شديدة فكانتا في ذلك جاريتين مجرى الطائع المميز إذا انقاد إلى ما أمر به ووقف عند ما وقف عنده وقال بعضهم معنى قوله سبحانه ﴿إِنَّمَا طَوْعاً أَوْ كَرْعاً﴾ أي كونا على ما أريد منكما من لين وشدة وسهل وحزونة وصعب وذلول ومبرم وسحيل والكره والشدة بمعنى واحد في اللغة العربية يقول القائل منهم لغيره أنا أكره فراقك أي يصعب عليّ أن أفارقك وقال سبحانه ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَّكُمْ﴾^(٣) أي شديد عليكم ومعنى الطوع ههنا التسهيل^(٤) والانقياد من غير إبطاء ولا اعتياص^(٥) وإنما قال سبحانه ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ وكان وجه الكلام أن يكون طائعتين أو طائعات رداً على التأنيث^(٦) فالمراد به والله اعلم عند بعضهم قالتا أتينا بمن فينا من الخلق طائعين . فكان طائعين وصفاً للخلق المميزين لا وصفاً للسموات والأرضين وقال بعضهم لما تضمن الكلام ذكر السموات والأرض في الخطاب لهما والكناية عنهما بما يخاطب به أهل التميز ويكنى به عن السامعين الناطقين أجرينا في رد الفعل اليها مجرى العاقل اللبيب والسامع المجيب وذلك مثل

(١) سورة النحل الآية ٤٠ .

(٢) ن . حدثنا .

(٣) سورة البقرة الآية ٢١٦ .

(٤) التسهيل

(٥) ن . ولا اعتراض .

(٦) ط . على معنى التأنيث .

قوله تعالى ﴿والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين﴾^(١) ولو اجري اللفظ على حقيقته وحمل على محجته لقبل ساجدات ولكن المراد بذلك لما كان ما أشرنا إليه حسن ان يقال ساجدين وطائعين .

٤٤٤ - وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ .

[السجدة - الآية ١٧]

وهذه استعارة والمراد بالعمى^(٢) ههنا ظلام البصيرة والمناه في الغواية فإن ذلك اخف على الانسان واشد ملاءمة^(٣) للطباع من تحمل مشاق النظر والتلجج في غمار الفكر .

٤٤٥ - وقوله تعالى: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَأَيْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ .

[السجدة - الآية ٢٣]

وهذه استعارة لأن الظن الذي ظنوه على الحقيقة لم يردهم بمعنى لم يهلكهم وإنما اهلكهم الله سبحانه جزاء على ما ظنوه من الظنون السيئة ونسبوه اليه من الافعال القبيحة فلما كان ذلك الظن سبباً في هلاكهم جاز أن ينسب اليه الهلاك الواقع بهم .

٤٤٦ - وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ .

[السجدة - الآية ٣٩]

وهذه استعارة وقد مضى الكلام على نظيرها في الحج إلا أن ههنا زيادة وهي صفة الأرض بالخشوع كما وصفت^(٤) هناك بالهمود واللفظان جميعاً

(١) سورة يوسف الآية ٤ .

(٢) ن . بها .

(٣) ط . ملاءمة .

(٤) ن . وصف .

يرجعان إلى معنى واحد وهو ما يظهر على الأرض من آثار الجذب واعلام
المحل فتكون كالانسان الخاشع^(١) الذي قد سكنت اطرافه وتطاولا
استشراقه .

٤٤٧ - وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا
مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ .

[السجدة - الآيتان ٤١ / ٤٢]

وهذه استعارة وقد قيل فيها اقوال منها أن يكون المراد بذلك أن هذا
الكتاب لا يشبهه شيء من الكلام المتقدم له ولا يشبهه شيء من الكلام
الوارد بعده وهذا معنى ﴿من بين يديه ولا من خلفه﴾ لأنه لو اشبهه شيء
من الكلام المتقدم أو الكلام المتأخر لأبطل معجزته وخصم حجته فكان
الباطل قد أتاه من إحدى الجهتين المذكورتين إما من جهة أمامه وإما من
جهة ورائه وهذا معنى عجيب وقال بعضهم معنى ذلك أنه لا تعلق به
الشبهة من طريق المساكلة ولا الحقيقة من جهة المناقضة فهو الحق الخالص
الذي لا يشوبه شائب ولا يلحقه باطل^(٢) وقال بعضهم معنى ذلك أن
الشیطان والانسان لا يقدران ان ينتقضا منه حقاً ولا يزيدا فيه باطلاً وقال
بعضهم معنى ذلك أنه لا باطل فيه من الاخبار عما كان وما يكون فالله
بقوله سبحانه ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾ أي من جهة ما
اخبر عنه من الأمور المتوقعة .

٤٤٨ - وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ .

[السجدة - الآية ٤٤]

وهذه استعارة والمراد بها والله اعلم صفتهم بالتباعد عن طريق الرشد
والاعراض عن دعاء الحق فكأنهم من شدة الذهاب بأسماعهم والانصراف

(١) ن . الجامع .

(٢) ط . طلب .

بقلوبهم ينادون من مكان بعيد فالنداء غير مسمع لهم ولا واصل اليهم ولو سمعوه لضل عنهم فهمه للأمد المنفرج بينهم وبينه .

٤٤٩- وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴾ .

[السجدة - الآية ٥١]

وهذه استعارة والمراد بها والله اعلم^(١) صفة الدعاء بالسعة والكثرة وليس المراد^(٢) العرض الذي هو ضد الطول وذلك أن صفة الشيء بالعرض يفيد فيه معنى الطول لأنه لو لم يكن مع العرض^(٣) طول لكان العرض هو الطول ألا ترى انهم يصفون الرمح بالطول ولا يصفونه^(٤) بالعرض اذ كان طوله اضعاف عرضه ويصفون الازار^(٥) بأنه عريض اذ كان عرضه مقارباً لطوله وقد استقصينا شرح ذلك في كتابنا الكبير واقتصرنا منه ههنا على البلغة^(٦) الكافية والنكتة^(٧) الشافية .

(١) ط . خلت من (والله اعلم) .

(٢) ط . يراد .

(٣) ن . مع الدهر كذا .

(٤) ن . ولا يصفون .

(٥) من ازور : جمع أزرة وأزور : وهو كل ماسترك ، الملحفة ، العفاف .

(٦) ط . عل اللغة .

(٧) ن . والركبة الساقية .

سورة الشورى

ومن السورة التي يذكر فيها الشورى وهي (حَم * عَسَق)

٤٥٠ - قوله تعالى: ﴿ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ .

[الشورى - الآية ١٣]

وهذه استعارة والمراد باقامة الدين اعلان شعاره واعلاء مناره والدوام على اعتقاده والثبات على العمل بواجباته وقد مضى الكلام على نظائر هذه الاستعارة فيما تقدم .

٤٥١ - وقوله تعالى: ﴿ حُجَّتْهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ .

[الشورى - الآية ١٦]

وهذه استعارة والدحوض الزلق فكأنه تعالى قال حجتهم ضعيفة غير ثابتة وزالة^(١) غير متماسكة كالواطىء الذي تضعف قدمه فيزلق^(٢) عن مستواه الأرض ولا يستمر على الوطاء وداحضة ههنا بمعنى مدحوضة وإذا استعمل الفعل اليها في الدحوض كان أبلغ في ضعف سنادها ووهاء عمادها فكأنها هي المبطللة لنفسها من غير مبطل ابطلها لظهور أعلام الكذب فيها وفيما شواهد التهافت عليها واطلق سبحانه اسم الحجة عليها وهي مشبهة لاعتقاد المدلي بها أنها حجة وتسميته لها بذلك في حال النزاع والمناقلة وايضا

(١) ن . غير ثابت وزائلة غير متماسكة .

(٢) ن . خلعت من هذه الجملة (فيزلق عن مستوى الأرض ولا يستمر على الوطاء)

فان المتكلم بها لا اردها مورد الحجة واساكنها طريقها واقامها مقامها جاز
ان يطلق عليها اسمها .

٤٥٢ - وقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ
يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ .

[الشورى - الآية ٢٠]

وهذه استعارة والمراد بحرث الآخرة والدنيا كدح الكادح لثواب الأجلة
او حطام العاجلة فهذا من التشبيه العجيب والتمثيل المصيب لأن الحارث
المزدورع إنما يتوقع عاقبة حرثه فيجني ثمرة غراسه^(١) ويفوز^(٢) بعوائد ازدراعه
وقيل معنى ﴿نزد له في حرثه﴾ أي نعطيه بالحسنة عشرأ إلى ما شئنا من
الزيادة على ذلك ومن عمل للدنيا دون الآخرة أعطيناه نصيباً من الدنيا دون
الآخرة .

٤٥٣ - وقوله تعالى: ﴿وَيَنْشُرْ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ .

[الشورى - الآية ٢٨]

وهذه استعارة وليس المراد أنه هناك كانت رحمة^(٣) مطوية فنشرت وختية
فأظهرت^(٤) وإنما معنى الرحمة ههنا الغيث^(٥) المنزل لاهياء الارض واخراج
النبت ونشره عبارة عن اظهار النفع به وتعريف الخلق عواقب المصالح
بوقعه .

٤٥٤ - وقوله تعالى: ﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ
طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ .

[الشورى - الآية ٤٥]

(١) ن . غرسة .

(٢) ن . ويعود بعوائد .

(٣) رحمة كانت

(٤) ن . فظهرت .

(٥) ن . غلت من (الغيث)

وهذه استعارة وقد أشرنا إليها فيما تقدم لمعنى جبر ذكرها والمراد بذلك أن
نظروهم نظر الخائف الدليل والمرتاب الظن فهو لا ينظر إلا مسترقاً ولا
يغض إلا مشفقاً وهذا معنى قوهم فلان لا يملأ عينه من فلان إذا وصفوه
بعظم الهيبة له أو شدة المخافة منه وكأنهم^(١) لا ينظرون بمتسع عيونهم
وإنما ينظرون بشفافاتهم^(٢) من ذلهم وخافتهم وقد يجوز أن يكون الطرف
ههنا بمعنى العين نفسها^(٣) فكانه تعالى وصفهم بالنظر من عين ضعيفة على
المعنى الذي أشرنا إليه أو يكون الطرف مصدراً لقولك طرفت اطرف طرفاً
إذا لحظت فيكون المعنى أن لحظهم خفي لأن نظروهم استراق كما قلنا أولاً
من عظيم الخيفة وتوقع العقوبة .



(١) ط . فكانهم .

(٢) الشفافات وأحدثها الشفافة كالكناسة ومعناها البقية .

(٣) ن . يعيتها .

سورة الزخرف

ومن السورة التي يذكر فيها الزخرف (

٤٥٥ - قوله تعالى: ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ ﴾ .

[الزخرف - الآية ٥]

وهذه استعارة ويقال ضربت عنه واضربت عنه بمعنى واحد وسواء قولك ذهب عنه صفحاً واعرضت عنه صفحاً وضربت عنه صفحاً واضربت عنه صفحاً ومعنى صفحاً ههنا أي اعترضت عنه بصفحة وجهي والمراد والله اعلم أفنضرب عنكم بالذكر فيكون الذكر مروراً لصفحه عنكم من أجل اسرافكم وبغيكم أي لسانا نفعل ذلك بل نوالي تذكيركم لتذكروا وتتابع زجركم لتتزجروا ولما كان سبحانه يستحيل أن يصف نفسه بأعراض الصفحة كان الكلام محمولاً على وصف الذكر بذلك على طريق الاستعارة .

٤٥٦ - وقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ .

[الزخرف - الآية ١١]

وهذه استعارة وقد مضى مثلها فيما تقدم إلا أن ههنا إبدال لفظة مكان لفظة لأن ما مضى من نظائر هذه الاستعارة إنما كان^(١) يرد بلفظ إحياء الأرض من^(٢) بعد موتها وورد ذلك ههنا بلفظ الانشاز بعد الموت وهو ابلفظ (١) ط . يكون .

(٢) ط . بعد موتها بدون حرف الجر .

لأن الانشاز صفة تختص به الاءاءء بعد الموت والاءفاء قد يشترك فيه ما يعاء من الاءوان بعد موته وما يعاء من النبات والاشجار بعد يسه^(١) واءفوفه يقال قءأءى الله الشجر كما يقال قءأءى البشر ولا يقال انشر الله النبات كما يقال انشر الله الأموات .

٤٥٧ - وقوله سبحانه ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ .

[الزخرف - الآية ٢٨]

وهذه استعارة لأن الكلام الذي هو الاصوات المتقطعة^(٢) والحروف المنظومة لا يجوز عليه البقاء وإنما المراد والله اعلم أن ابراهيم عليه السلام جعل الكلمة التي قالها لأبيه وقومه وهي قوله ﴿ إِنِّي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ إلا الذي فطرنى فإنه سيهدين^(٣) باقية في عقبه بأن وصى بها ولده وأمرهم أن يتواصوا بها ما تناقلتهم الاصلاب وتناسختهم الادوار^(٤) وهذه الكلمة^(٥) هي كلمة الاخلاص والتوحيد والله اعلم .

٤٥٨ - وقوله سبحانه ﴿ وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ .

[الزخرف - الآية ٤٥]

وهذه الكلام أيضاً داخل في قبيل^(٦) الاستعارة لأن مسألة الرسل الذين درجت قسروهم وخلت أزمانهم غير ممكن وإنما المراد والله اعلم وأسأل اصحاب من ارسلنا من قبلك من رسلنا واستعلم ما في كتبهم وتعرف حقائق سننهم وذلك على مثال ﴿ وأسأل القرية ﴾^(٧) وقال بعضهم مسألة الرسل

(١) ط . تسلية كذا .

(٥) ن . وهذه الكلمة كلمة الاخلاص .

(٦) ن . في قبل .

(٧) يوسف ، الآية ٨٢ .

(٢) ط . المتقطعة .

(٣) سورة الزخرف الايتان ٢٦ - ٢٧ .

(٤) ن . الادولة

ههنا بمعنى المسألة ٣٣٠ عليهم السلام وعما أتوا به من شريعة وأقاموه من
 عماد سنة وقد يأتي في كلامهم اسأل كذا أي اطلبه واسأل عنه قال سبحانه
 ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾^(١) أي مسؤولاً عنه وقال سبحانه
 ﴿وَإِذَا الْمَوْزُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾^(٢) أي سئل عن قتلها^(٣) وطلب بدمها
 فكأنه تعالى قال لنبيه عليه السلام واسأل عن سنن الأنبياء قبلك وشرائع^(٤)
 الرسل الماضين أمامك فإنك لا تجد فيها إطلاقاً لعبادة معبود إلا الله
 سبحانه وقد استقصينا الكلام على ذلك في كتابنا الكبير .



(١) سورة الاسراء الآية ٣٤ .

(٢) سورة التكوين الآية ٨ .

(٣) ن . أي سئل عنها .

(٤) ط . شرايع بدون حرف عطف .

سورة الدخان

ومن (حَم) وهي السورة التي يذكر فيها الدخان

٤٥٩ - قوله سبحانه ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ .

[الدخان - الآية ٤]

وهذه استعارة وقد مضى الكلام على مثلها في بني اسرائيل والمراد والله اعلم نبين كل أمر حكيم في هذه الليلة حتى يصير كفروق الصبح في بيانه أو مفرق الطريق في ابضاحه^(١) ومنه قولهم فرقت الشعر إذا اخلصت بعضه من بعض وبينت غلطه وسلطه بالمدرى أو بالأصبع^(٢) .

٤٦٠ - وقوله سبحانه ﴿ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنْ أَنْتُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ .

[الدخان - الآية ١٩]

وهذه استعارة والمراد بالعلوه هنا الاستكبار على الله سبحانه وعلى أوليائه ويوصف المستكبر^(٣) في كلامهم بأن يقال قد شمش بانفه وهذه الصفة مثل وصفه بالعلو لأن الشامخ العالي وقال سبحانه ﴿ إِنْ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾^(٤) أي تجبر فيها واستكبر على أهلها وليس يراد بذلك العلو الذي هو الصعود

(١) ط . في اتضاحه .

(٢) ن . والأصبع .

(٣) ن . ويوصف التكبرين .

(٤) سورة القصص الآية ٤ .

وإنما يراد به العلو الذي هو الاستكبار والعتو وضد وصفهم المستكبر بالجلو والتطاول وصفهم المتواضع بالخشوع والتضاول .

٤٦١ - وقوله سبحانه: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ .

[الدخان - الآية ٢٩]

وهذه استعارة وقد قيل في معناها اقوال : أحدها ان البكاء ههنا بمعنى الحزن فكانه قال فلم تحزن عليهم السماء والأرض بعد هلاكهم وانقطاع آثارهم وإنما عبر سبحانه عن الحزن بالبكاء لأن البكاء يصدر عن الحزن في أكثر الاحوال^(١) ومن عادة العرب أن يصفوا الدار إذا ظعن^(٢) عنها سكانها وفارقها قطانها بأنها باكية عليهم ومتوجعة^(٣) لهم على طريق المجاز والاتساع بمعنى ظهور علامات الخشوع والوحشة عليها وانقطاع أسباب النعمة والأنسة منها^(٤) ووجه آخر وهو أن يكون المعنى لو كانت السموات والأرض من الجنس الذي يصح منه البكاء لم تبكيا عليهم ولم تتوجعا لهم إذ كان الله سبحانه عليهم ساططاً ولهم مائتاً . ووجه آخر قيل معنى ذلك ما بكى عليهم من السماوات والأرض ما يبكي على المؤمن عند وفاته من مواضع صلواته ومساعد أعماله على ما ورد به الخبر وفي ذلك وجهان آخران يخرج بهما الكلام عن طريق الاستعارة : فأحدهما أن يكون المعنى فما بكى عليهم أهل السماء والأرض ونظائر ذلك في القرآن كثيرة . والآخر أن يكون المعنى أنه^(٥) لم ينتصر أحد لهم ولم يطلب^(٦) طالب بثارهم ويعني في أشعار العرب (بكينا فلاناً بأطراف الرماح وبمضارب^(٧) الصفاح) أي طلبنا دمه وأدركنا ثاره .

(١) ط . في أكثر الأقوال كذا .

(٢) من ظَعَنَ : سار ورحل .

(٣) ن . ومتوجعة .

(٤) ن . عنها .

(٥) ن . انهم .

(٦) ن . ولم يطلب طالب .

(٧) ن . وتضارب .

سورة الجاثية

ومن (حم) وهي السورة التي يذكر فيها الجاثية

٤٦٢ - قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا ۖ ﴾ .

[الجاثية - الآية ١٨]

وهذه استعارة لأن الشريعة في أصل اللغة اسم للطريق المفضية إلى الماء المورود وإنما سميت الأديان شرائع لأنها الطرق الموصلة إلى موارد الثواب ومنافع العباد تشبيهاً بشرائع المناهل التي هي مدرجة إلى الماء ووصلة إلى الرواء^(١).

٤٦٣ - وقوله سبحانه: ﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ ۖ ﴾

[الجاثية - الآية ٢٩]

وهذه استعارة وقد مضت الإشارة إلى نظيرها فيما تقدم والمعنى وأن الكتاب بالحق^(٢) ناطق من جهة البيان كما يكون الناطق من جهة اللسان وشهادة الكتاب ببيانه أقوى من شهادة الإنسان بلسانه .

(١) الرواء : المنظر أو حُسنه .

(٢) ط . خلعت من لفظة (بالحق)

سورة الاحقاف

ومن (حَم) وهي السورة التي يذكر فيها الاحقاف .

٤٦٤ - قوله سبحانه: ﴿إِنسُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلُ هَذَا أَوْ أَنَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ .

[الاحقاف - الآية ٤]

وهذه استعارة على أحد التأويلات^(١) وهو أن يكون معنى أو إشارة من علم^(٢) أي شيء يستخرج من العلم بالكشف والبحث والطلب والفحص فتطور حقيقته وتظهر خبيثته كما تستثار الارض بالمحافر فيخرج نباتها وتظهر ثنائليها أو كما يستثار القنص من مجائمه ويستطلع من مكانه وسائر التأويلات في الآية يخرج الكلام عن حيز^(٣) الاستعارة مثل تأويلهم^(٤) ذلك على معنى خاصة من علم أي بقية من علم وما يجري هذا المجرى وأنشد أبو عبيدة للراعي في صفة ناقة :

و ذات إشارة أكلت^(٥) عليها نباتاً في أكمثته قفارا

أي ذات بقية من شحم رعت عليها هذا النبات المذكور وقوله قفارا أي

(١) ن . عل أحد التأويلين .

(٢) ن . معنى أو اشارة أي شيء .

(٣) ن . من حيز .

(٤) ن . تأويلهم .

(٥) ن . غلبت .

خالياً من الناس ليس به^(١) راعية فبسرّها فهو اهنأ لها وارفق بها وقال
صاحب الغريب المصنف يقال سمّنت الناقة على إثارة أي على سمن متفدم
قد كان قبل ذلك .



(١) ط . بها .

سورة محمد

ومن السورة التي يذكر فيها محمد صلى الله عليه وآله

٤٦٥ - قوله سبحانه: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ .

[محمد - الآية ٤]

وهذه استعارة والمراد بالاوزار ههنا الاثقال وهي آلة الحرب وعتادها من الدروع والمغافر والرماح والمناصل وما يجري هذا المجرى لأن جميع ذلك ثقل على حامله وشاق على مستعمله وعلى هذا قول الأعشى :

وأعددت للحرب أوزارها رماحاً طوالاً وخيلاً ذكورا
ومن نسج داوود موضونة^(١) تساق مع الحي عيراً فعيروا

والمراد بذلك في الظاهر الحرب وفي المعنى أهل الحرب لأنهم الذين يصح وصفهم بحمل الاثقال ووضعها ولبس الأسلحة ونزعها .

٤٦٦ - وقوله سبحانه: ﴿فَإِذَا غَرِمَ أَلَمْرُ فَلَوْ ضِدْقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ﴾ .

[محمد - الآية ٢١]

وهذه استعارة لأن العزم لا يوصف بحقيقته إلا الانسان المميز الذي يوطن النفس على فعل الأمر قبل وقته عقداً بالمشيئة على فعله فيصح أن

(١) من وَضَنَ : الدرع المقاربة النسيج أو المنسوجة بالجواهر .

يسمى عازماً عليه وإنما قال تعالى ﴿عزم الأمر﴾ مجازاً أي قويت العزائم على فعله فصار كالعازم في نفسه^(١) . وقال بعضهم معنى عزم الأمر أي جده^(٢) الأمر ومنه قول النابغة الذبياني :

حيّاك ودّ فائلا لا يحل لنا هو النساء لأن الدين قد عزمنا
أي استحکم وجداً وقوي واشتد .

٤٦٧ - وقوله تعالى : ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾

[محمد - الآية ٢٤]

وهذه استعارة والمراد ام قلوبهم كالأبواب المغلقة لا تفتح ليعظ واعظ ولا يلج فيها عدل^(٣) عاذل وفي لغة العرب أن يقول القائل إذا وصف نفسه بضيق الصدر وتشعب الفكر قلبي مقفل وصدري ضيق وإذا وصف غيره بضد هذه الصفات قال انفتح قلبه وانفسح صدره وقد يجوز أن يكون المعنى ان أسمعهم^(٤) لا تعي قولاً ولا تسمع عدلاً وإنما شبهت الأسماع بالاقفال على القلوب لأنها ابواب عليها وطرق فهمها فإذا عرضت على الأسماع كانت كالأقفال الموثقة والأبواب المغلقة .

٤٦٨ - وقوله تعالى : ﴿وَأَنْتُمْ أَاعْلُونَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتْرُكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ .

[محمد - الآية ٣٥]

وهذه استعارة ومعناها مأخوذ من الوتر وهو ما ينقصه الانسان من مال أو دم وما أشبههما ظلياً فيكسبه ذلك عداوة لفاعله وارصاداً بالمكروه لمستعمليه فكأنه تعالى قال «ولن ينقصكم ثواب أعمالكم أو لن يظلمكم في الجزاء على أعمالكم فيكون بمنزلة من اودعكم ترة واطلبكم طائلة» وقال الأخفش ﴿ولن يترككم أعمالكم﴾ أي في أعمالكم كما نقول دخلت البيت والمراد دخلت في البيت .

(١) ن . على نفسه . (٢) ن . معنى عزم الأمور ومنه قول الخ .

(٣) عدل : لام .

(٤) ط . فيها نقبضة تبدأ من « وقد يجوز ان يكون المعنى الى قوله وأراد سبحانه » عند البحث في

آية ١٦ من سورة ق .

سورة الفتح

ومن السورة التي يذكر فيها الفتح

٤٦٩ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ .

[الفتح - الآية ١٠]

وهذه استعارة واليد ههنا تعرف على وجوه : أحدها أن يكون المعنى عقد البيعة فوق عقدهم وقيل المراد قوة الله تعالى في نصرة نبيه عليه السلام فوق قوة نصرتهم . وقيل اليد ههنا بمعنى السلطان والقدرة كما يقول القائل فلان تحت يد فلان أي تحت يد^(١) سلطانه وأمره فيكون المعنى أن سلطان الله تعالى في هذا الأمر فوق سلطانهم وأمره فوق أمرهم . وقيل في ذلك وجه آخر وهو أن العادة جارية في المبايعات والمعاهدات أن تقع الصفقة بالأيدي من البائع والمشتري ومن هناك قالوا صفقة رابحة و صفقة خاسرة فقيل ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ ذهاباً إلى هذا المعنى كأنه سبحانه قال فالذي أعطاكم الله في هذه المبايعة أعلى مما أعطيتهم وأجل وأربح وأفضل .

٤٧٠ - وقوله تعالى: ﴿كَزَرَعٍ أُخْرَجَ شَطْأُهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوْقِهِ﴾ .

[الفتح - الآية ٢٩]

وهذه استعارة وذلك أنه تعالى شبه اصحاب النبي عليه السلام في

(١) لعل (يد) زينت من الناسخ سهواً .

نفسا فرهم وتآزرهم واشتد ادهم^(١) بالزراع الملتف المتكاثف الذي يقوي بعضه ببعض ويستند بعضه إلى بعض وشطأ الزرع خرجت افرخه التي تثبت إلى أصوله ويقال شطأه ممدود ويقال قد اشطأ الزرع فهو مشطى، إذا افرخ ومعنى آزره أي صار فراخ الزرع له ازراً وقوة ودعاماً ومسكة وقيل شطأه سنبله فيكون المراد هو آزره حب النسيب لبعضه لبعض حتى تشتد كل حبة بأختها والتأويلان متقاربان وقوله تعالى ﴿فاستغلف فاستوى على سوقه﴾ أي قوي وغلظ فانصب في منتصبه واستقام على نصبه كما قوم القائم على ساقه ويعتمد على قدمه وهذه استعارة أخرى .



(١) كذا في النسخة ونظن أن الأصل واحتشادهم

سورة الحجرات

ومن السورة التي يذكر فيها الحجرات

٤٧١ - قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ .

[الحجرات - الآية ١]

وهذه استعارة وقد قرئ « لا تقدموا » بفتح التاء والبدال والمعنيان واحد والمراد بذلك لا تسبقوا أمر الله ورسوله بفعل ما لم يأمر به ويندب اليه وقال أبو عبيدة العرب تقول فلان تقدم بين يدي الامام أي تعجل بالأمر والنهي دونه وذلك مضاد لما وصف الله به ملائكته أن يقول^(١) ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾^(٢) ومن قرأ ﴿تقدموا﴾ بضم التاء فإنما يريد به لا تقدموا كلامكم بالحكم في الأمر قبل كلام الله سبحانه وكلام رسوله (ص) أي قبل الوحي النازل منه وقبل أداء رسوله اليكم ما أوحى به وأمر بتبليغه .

٤٧١ - وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَلَيْسَ أَحَدُكُمْ أَنْ
يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ .

[الحجرات - الآية ١٢]

وهذه استعارة ومبناها على أصل معروف في كلام العرب وهو تسميتهم

(١) كذا في النسخة ولعل الأصل إذ يقول .

(٢) سورة الأنبياء الآية ٢٧

المغتتاب يأكل لحوم الناس حتى قال شاعرهم (١) :

فإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا

وقال حسان بن ثابت في مريثة ابنة له (٢) :

حصان رزان لا تزئ بزنية (٣) وتصبح غرثي من لحوم الغوافل

أي تمسك عن غيبة النساء الغافلات عن غيبتها فتكون بامساكها عن الغيبة التي يسمى فاعلها آكل لحم صاحبه كأنها غرثي أي جائعة لم تطعم شيئاً لأن الغيبة لما سميت أكلاً وقرماً (٤) حسن أن يسمى تركها جوعاً وغرثاً ومعنى ﴿ فكرهتموه ﴾ أي عافته (٥) أنفسكم فكرهتموه وهذا محذوف مقدر في الكلام دلالة وقال بعضهم تلخيص هذا المعنى أن من دعي إلى أكل لحم أخيه ميتاً فعافته نفسه وكرهه من جهة طبعه فإنه ينبغي له إذا دعي إلى غيبة أخيه أن تعاف ذلك نفسه من جهة عقله لأنه يجب أن يكره هذا عقلاً كما كره الأول طبعاً لأن داعي العقل أحق بالاتباع من داعي الطبع إذ كان داعي الطبع أعمى جاهلاً وداعي العقل بصيراً عالماً فكلاهما في صفة الناصح إلا أن نصح العقل سليم مأمون ونصح الطبع ظنين مدخول .

(١) هو المقنع الكندي .

(٢) المعروف أن هذا البيت من قصيدة له في مدح عائشة .

(٣) وردت في بعض الأصول لفظة « بريبة » محل بزنية .

(٤) من قرم : أكل أكلاً ضعيفاً وذلك في أول ما يأكل .

(٥) في النسخة عاقبة وهو وهم من الناسخ .

سورة ق

ومن السورة التي يذكر فيها (ق)

٤٧٣ - قوله سبحانه: ﴿ وَضَعْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ .

[ق - الآية ١٦]

وهذه استعارة والوريد هو العرق الذي يسمى حبل العاتق وهما وريدان عن يمين العنق وشمالها وأراد سبحانه أنه يعلم غيب الانسان ووساوس اضماره ونجي أسرارهِ فكأنه باستبطانه ذلك منه أقرب اليه من وريده لأن العالم بخفايا قلبه أقرب اليه من عروقه وعصبه وليس القرب ههنا من جهة المسافة والمساحة ولكن من جهة العلم والاحاطة .

٤٧٤ - وقوله سبحانه: ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ .

[ق - الآية ١٩]

وهذه استعابة والمراد بسكرة الموت ههنا الكرب الذي يتغشى المحتضر عند الموت فيفقد تمييزه ويفارق معه معقوله فشبه تعالى ذلك بالسكرة من الشراب إلا أن تلك السكرة منعمة وهذه السكرة مؤلمة وقوله تعالى بالحق يحتمل معنيين أحدهما أن يكون وجاءت بالحق من أمر الآخرة حتى عرفه الانسان اضطراباً ورآه جهاراً والآخر أن يكون المراد بالحق ههنا أي بالموت الذي هو الحق .

٤٧٥ - وقوله سبحانه: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ .

[ق - الآية ٢٢]

وهذه استعارة والمراد بها ما يراه الانسان عند زوال التكليف عنه من اعلام الساعة واشراط القيامة فتزول عنه اعتراضات الشكوك ومشبهات^(١) الأمور فيصدق بما كذب ويقر بما جحد^(٢) ويكون كأنه قد نفذ بصره بعد وقوف وأحد بعد كلال ونبؤ فهذا معنى قوله سبحانه ﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ .

٤٧٦ - وقوله سبحانه: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِلْجَهَنَّمَ هَلْ آمَلْتُمْ هَذَا وَقُولُوا هَلْ مِنْ مُزِيدٍ﴾ .

[ق - الآية ٣٠]

وهذه استعارة لأن الخطاب للنار والجواب منها في الحقيقة لا يصحان^(٣) وإنما المراد والله أعلم انها في ما ظهر من امتلائها وبيان من اغتصاصها^(٤) بأهلها بمنزلة الناطقة بأنه لا مزيد فيها ولا سعة عندها وذلك كقول الشاعر :

امتلاً الخوض وقال قطني مهلاً رويداً قد ملأت بطني

ولم يكن هناك قول من الخوض على الحقيقة ولكن المعنى ان ما ظهر من امتلائه في تلك الحال جار مجرى القول منه فأقام تعالى الأمر المدرك بالعين مقام القول المسموع بالأذن وقيل ان^(٥) المعنى انا نقول لخزنة جهنم هذا القول ويكون الجواب منهم على حد الخطاب لهم يوكون ذلك من قبيل ﴿واسأل القرية﴾ في اسقاط المضاف وإقامة المضاف اليه مقامه كقولهم : يا خيل الله

(١) ن . وشبهات .

(٢) جَحَدَ : كَفَرَ . انكر الشيء مع علمه به .

(٣) ن . لا يصح .

(٤) ن . اعتصاصها

(٥) ط . نلت من (أَب) .

اركيبي والمراد يا رجال خيل الله اركبي وعلى القول الأول يكون مخرج هذا القول لجهنم على طريق التقدير لاستخراج الجواب بظاهر الحال لا على طريق الاستفهام والاستعلام إذ كان الله سبحانه قد علم امتلاءها قبل أن يظهر ذلك فيها وإنما قال تعالى هذا الكلام ليعلم الخلائق صحة وعده ووعيده^(١) إذ يقول تعالى ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾^(٢) والصحيح أنه^(٣) قوله تعالى في الحكاية عن جهنم ﴿هل من مزيد﴾ بمعنى لا مزيد في وليس ذلك على طريق الزيادة وهذا معروف في الكلام ومثله قوله عليه السلام «هل ترك عقيل لنا من دار» أي ما ترك لنا داراً .

٤٧٧ - وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ .

[ق - الآية ٣٧]

وهذه استعارة وقد مضى نظيرها فيما تقدم والمعنى أنه بالغ في الاصغاء إلى الذكرى وأشهدها قلبه فكأنه كالملقي إليها سمعه دنواً من سماعها وميلاً إلى قائلها والمراد بقوله تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ أي عقل ولب فعبّر عنها بالقلب لأنها يكونان بالقلب أو يكون المعنى ﴿لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ ينتفع به لأن من القلوب ما لا ينتفع به إذا كان مائلاً إلى الغي ومنصرفاً عن الرشd .

(١) ط . خلت من « ووعيده »

(٢) سورة السجدة الآية ١٣ .

(٣) ط . والوجه وبعد بياض .

سورة الذاريات

ومن السورة التي يذكر فيها الذاريات

٤٧٨ - قوله سبحانه في صفة حجارة القذف: ﴿مُسَوَّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ .

[الذاريات - الآية ٣٤]

وهذه استعارة والمسومة المعلمة^(١) وأصل ذلك مستعمل في تسويم الخيل في الحرب أي تعليمها بعلامات تميزها من خيل العدو شبهت هذه الحجارة بها لأنها معلمة بعلامات تدل على مكروه المصابين وضرر المعاقبين وكما كانت الخيل المسومة تدل على ذلك في لقاء الاعداء وارسال هذه للعراك كارسال تلك للهلاك وقيل ان التسويم في تلك الحجارة هو أن تجعل نكتة سوداء في الحجر^(٢) الابيض ونكتة بيضاء في الحجر الاسود وقيل كان عليها امثال تلك الطوايع والخواتيم وقد تكلمنا على نظير هذه الاستعارة في هود والمراد بقوله تعالى ﴿عند ربك﴾ أي خلقها سبحانه كذلك من غير أن يفعلها فاعل أو يجعلها جاعل فلاجل هذه الحال وجب أن يجعل لها هذا الاختصاص بقوله ﴿عند ربك﴾ وقد يجوز أيضاً أن يكون المراد بذلك أنها^(٣) مسومة في سلطان الله وملكوته أو في موضع العقاب المعد للمذنبين من خلقه .

(١) ن . خلت من جملة (والمسومة المعلمة)

(٢) ن . حجر يدون أداة التعريف .

(٣) ن . خلت من (انها)

٤٧٩ - وقوله تعالى ﴿ فَتَوَلَّىٰ بُرْكَتُهُ وَقَالَ سَاجِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ .

[الذاريات - الآية ٣٩]

وهذه استعارة وقد قيل المراد بها اعرض بجنوده الذين هم كالركن له والحجاز دونه وقد يسمى اعوان المرء وانصاره اركانه واعماده إذ كان بهم وصول واليههم يؤول وقيل ايضاً معنى ذلك فتولى بقوته^(١) وسلطانه فان ذلك كالركن له والمانع منه ونظيره قوله سبحانه حاكياً عن لوط (ع) ﴿لَوْ أَن لِّي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ أَوْيَ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾^(٢) أي إلى عز دافع وسلطان قانع^(٣).

٤٨٠ - وقوله سبحانه ﴿ وَفِي غَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيْحَ الْعَقِيمَ ﴾ .

[الذاريات - الآية ٤١]

وهذه استعارة ومعنى العقيم ههنا التي لا تحمل القطار ولا تلقح الاشجار ولا تعود بخير ولا تنكشف عن عواقب نفع فهي كالمرأة التي لا يرجى ولدها ولا ينمى عددها .

(١) ط . بياض مكان بقوته .

(٢) سورة هود الآية ٨٠ .

(٣) ن . إلى عز رافع وسلطان مانع .

سورة الطور

ومن السورة التي يذكر فيها الطور

٤٨١ - قوله تعالى ﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ .

[الطور - الآية ٣٢]

وهذه استعارة أي ان^(١) كانوا حلماء عقلاء كما يدعون^(٢) فكيف تحملهم أحلامهم وعقولهم على ان يرموا رسول الله (ص) بالسحر والجنون وقد علموا بعده عنها ومباينته لها^(٣) وهذا القول منهم سفه^(٤) وكذب وهاتان الصفتان منافيتان^(٥) لأوصاف الحلماء ومذاهب الحكماء وخرج قوله سبحانه ﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا ﴾ مخرج التبكيت لهم والإزراء عليهم ونظير هذا الكلام قوله سبحانه حاكياً عن قوم شعيب (ع) ﴿ يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتِكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾^(٦) أي دينك وما جئت به من شريعتك التي فيها الصلوات وغيرها من العبادات تحملك على أمرنا بترك ما يعبد آبائنا وقد مضى الكلام على ذلك في موضعه .

(١) ط . أي كانوا حلماء بدون أداة الشرط .

(٢) ن . كما كانوا يدعون .

(٣) ط . لها .

(٤) ط . صفة كذا .

(٥) ن . متناقضان .

(٦) سورة هود الآية ٨٧ .

٤٨٢ - وقوله تعالى ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبَّحَهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴾ .

[الطور - الآية ٤٩]

وقرىء وإدبار النجوم بكسر الهمزة وهذه استعارة على القراءتين جميعاً فمن قرأ بفتح الهمزة كان معناه وأعقاب النجوم أي اواخرها إذا انصرفت كما يقال جاء فلان في أعقاب القوم أي في اواخرهم وتلك صفة تخص الحيوان المتصرف الذي يوصف بالمجيء والذهاب والاقبال والادبار ولكنها استعملت في النجوم على طريق الاتساع فأما قراءة من قرأ وإدبار النجوم بالكسر فمعناه قريب من المعنى الأول فكانه تعالى وصفها بالادبار بعد الاقبال والمراد بذلك الافول بعد الطلوع والهبوط بعد الصعود .



سورة النجم

ومن السورة التي يذكر فيها النجم

٤٨٣ - قوله سبحانه: ﴿ مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ .

[النجم - الآية ١١]

وهذه استعارة والمراد والله اعلم أن ما اعتقده القلب من صحة ذلك المنظر الذي نظره والأمر الذي باشره لم يكن عن تخيل وتوهم بل عن يقين وتأمل فلم يكن بمنزلة الكاذب من طريق تعمد الكذب ولا من طريق الشكوك والشبه^(١).

٤٨٤ - وقوله سبحانه: ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ . [النجم - الآية ١٧]

وهذه استعارة وهي قريبة المعنى من الاستعارة الأولى والمراد بذلك والله اعلم أن البصر لم يزل عن جهة المبصر إلى غيره ميلاً^(٢) يدخل عليه به الاشتباه حتى يشك فيما رآه ولا طغى أي لم يتجاوز المبصر ويرتفع عنه فيكون مخطئاً لإدراكه ومتجاوزاً لمحاذاته فكان تلخيص المعنى أن البصر لم يقصر عن المرئي فيقع دونه ولم يزد عليه فيقع وراءه بل وافق موضعه ولم يتجاوز^(٣) موقعه وأصل الطغيان طلب العلو والارتفاع من طريق الظلم والعدوان وهو في صفة البصر خارج على المجاز والانساع .

(١) ن . والتشبه .

(٢) ط . الكلمتان (غيره ميلاً) غير واضحتين .

(٣) ط . ولم يحاوز

سورة القمر

ومن السورة التي يذكر فيها القمر

٤٨٥ - قوله سبحانه ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ .

[القمر - الآيتان ١١ / ١٢]

وهذه استعارة والمراد والله أعلم بفتح ابواب السماء تسهيل سيل لا مطار حتى لا يحبسها حابس ولا يلفتها لافق ومفهوم ذلك ازالة العوائق عن مجاري الغيوث من السماء حتى تصير بمنزلة حيس فتح عنه باب أو معقول أطلق عنه عقال وقوله سبحانه ﴿ فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ أي اختلط ماء الامطار المنهمرة^(١) بماء العيون المتفجرة^(٢) فاللقى ماءاهما على ما قدره الله سبحانه من غير زيادة ولا نقصان وهذا من افصح الكلام وواقع العبارات عن هذه الحال .

٤٨٦ - وقوله سبحانه: ﴿ أَلْبَقِيَ الذَّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ ﴾ .

[القمر - الآية ٢٥]

(١) ن . المنهمر .

(٢) ن . المتفجر .

ولفظ القاء^(١) الذكر ههنا مسجعاً والمراد به أن القرآن لعظم شأنه وصعوبة أدائه كالعبء الثقيل الذي يشق على من حمّله والقي عليه ثقله وكذلك قوله تعالى ﴿إنا سنلقي عليك قولاً ثقیلاً﴾^(٢) وكذلك قول القائل القيت على فلان سؤالاً والقيت عليه حساباً أي سألته عما يُستكد^(٣) له^(٤) حاجته ويُستعمل به خاطره .

٤٨٧ - وقوله سبحانه: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذًى وَأَمْرٌ﴾ .

[القمر - الآية ٤٦]

وهذه استعارة لأن المرارة لا يوصف بها إلا المذوقات والمطعمومات^(٥) ولكن الساعة لما كانت مكروهة عند مستحقي العقاب حسن وصفها بما يوصف به الشيء المكروه المذاق ومن عادة من يلاقي ما يكرهه ويرى ما لا يحبه أن يحدث ذلك تكليحاً^(٦) في وجهه فيدلّ على تنور جأشه^(٧) وشدة استيحاشه فكذلك هؤلاء إذا شاهدوا أمارات العذاب ونوازل العقاب ظهر في وجوههم ما يستدل به على فظاعة الحال عندهم وبلوغ مكروهها من قلوبهم فكانوا كاللثك^(٨) المضغّة المقرّة^(٩) وذائق الكأس المصبرة في فرط التقطيب وشدة التكليح وشاهد ذلك قوله سبحانه ﴿تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون﴾^(١٠) .

(١) ن . خلت من (القاء)

(٢) سورة المزمل الآية ٥ .

(٣) من كدّ : اشتد في العمل . الخ في الطلب .

(٤) ن . خلت من (له)

(٥) ن . والمتطعمات .

(٦) من كليح : عبس وتكشر .

(٧) ن . جأشته .

(٨) اسم فاعل من لاث ، يلوك .

(٩) ن . المقرّة . من مقرّ : مقر الشيء . صار مرأ .

(١٠) سورة المؤمنون الآية ١٠٤ .

سورة الرحمن

ومن السورة التي يذكر فيها الرحمن

٤٨٨ - قوله سبحانه: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ .

[الرحمن - الآية ٦]

وهذه استعارة والنجم ههنا ما نجم من النبات أي طلع وظهر والمراد بسجود النبات والشجر والله اعلم ما يظهر عليها من آثار صنعة الصانع الحكيم والمقدّر العليم بالتقل من حال الاطلاع الى حال الالناع ومن حال الاوراق الى حال الأثمار غير ممتنعة على المصرف ولا آية على المدبر .

٤٨٩ - وقوله سبحانه: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ .

[الرحمن - الآية ٧]

والميزان ههنا مستعار على أحد التأويلين وهو أن يكون معناه العدل الذي تستقيم به الأمور ويعتدل عليه الجمهور وشاهد ذلك قوله تعالى ﴿وَزَنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾^(١) أي بالعدل في الأمور وروي عن مجاهد انه قال القسطاس العدل بالرومية ويقال قسطاس وقسطاس بالضم والكسر كقسطاس وقسطاس .

٤٩٠ - وقوله سبحانه: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾^(٢) لَا يَبْغِيَانِ﴾ .

[الرحمن - الآيتان ١٩ - ٢٠]

(١) سورة الأسراء الآية ٣٥ . (٢) البرزخ : الحاجز بين الشيئين .

وهذه استعارة والمراد بها أنه سبحانه أرسل البحرين طاميين وأماهما طائعين وهما يلتقيان بالمقاربة لا بالمازجة وبينهما حاجز يمنعهما^(١) من الانخراق يصدّهما عن الاختلاط ومعنى قوله تعالى ﴿لَا يَبْغِيَانِ﴾ أي لا يغلب أحدهما الآخر^(٢) فيقلبه إلى صفته أما الملح على العذاب أو العذب على الملح وكُنِيَ تعالى بلفظ البغي عن غلبة أحدهما على صاحبه لأن الباغي في الشاهد اسم لمن تغلب من طريق الظلم بالقوة والبسطة والتطاول والسطوة وقد مضى الكلام على مثل هذه الاستعارة فيما تقدم إلا أن فيها ههنا زيادة أوجبت إعادة ما ذكر^(٣).

٤٩١ - وقوله سبحانه ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾.

[الرحمن - الآية ٢٧]

وهذه استعارة وقد تقدم الكلام على نظيرها والمراد وتبقى ذات ربك وحقيقته ولو كان الكلام محمولاً على ظاهره لكان فاسداً مستحيلاً على قولنا وقول المخالفين لأنه لا أحد يقول من المشبهة والمجسمة الذين يثبتون لله سبحانه ابعاضاً مؤلفة واعضاءً مصروفة أن وجه الله تعالى يبقى وسائرته يبطل^(٤) ويبقى تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . ومن الدليل على أن المراد بوجه الله ههنا ذات الله سبحانه قوله ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ فكأنه قال^(٥) « ويبقى ربك ذو الجلال والإكرام » ألا ترى أنه سبحانه لما قال في خاتمة هذه السورة ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ﴾ قال ذي ﴿ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ ولم يقل « ذو » لأن اسم الله غير الله ووجه الله هو الله وهذا واضح البيان وقد مضى الكلام على هذا المعنى فيما تقدم .

٤٩٢ - وقوله سبحانه : ﴿سَنَقْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾ . [الرحمن - الآية ٣١]

(١) ن . خلت من (يمنعها)

(٢) ط . لا يغلب أحدهما على الآخر .

(٣) ط . إعادة ذكرها .

(٤) ن . يبقى ويبطل .

(٥) ط . خلت من قوله : (فكأنه قال : ويبقى ربك ذو الجلال والإكرام) .

وهذه استعارة وقد كان والدي الطاهر الأوحى ذو المناقب أبو أحمد الحسين بن موسى الموسوي رضي الله عنه وارضاه سألني عن هذه الآية في عرض كلام جر ذكرها فأجبت في الحال بأعرف الأجوبة المقولة فيها وهو ان يكون المراد بذلك سنعمد لعقابكم ونأخذ في جزائكم على مساوى أعمالكم وأنشدته بيت جرير كاشفاً عن حقيقة هذا المعنى وهو قوله :

الا وقد فرغت إلى غير فهذا حين صرت لها عذابا

فقال فرغت الى غير كما يقول^(١) عمدت اليها فأعلمنا ان معنى فرغت ههنا عمدت وقصدت ولو كان يريد الفراغ من الشغل لقال فرغت لها ولم يقل فرغت اليها . وقال بعضهم إنما قال تعالى ﴿سفرغ﴾ ولم يقل «سنعمد»^(٢) لأنه أراد^(٣) سنفعل فعل من يفرغ^(٤) للعمل من غير تضجيع^(٥) فيه ولا اشتغال بغيره عنه ولأنه لما كان الذي يعمد الى الشيء ربما قصر فيه اشغله معه بغيره وكان الفراغ له في الغالب هو المتوفر عليه دون غيره دُللنا بذلك على المبالغة في^(٦) الوعيد من الجهة التي هي اعرف عندنا ليقع الزجر بأبلغ الالفاظ وأدل الكلام على معنى الایعاد وقال بعضهم أصل الاستعارة موضوع على مستعار منه ومستعار له فالمستعار منه أصل وهو أقوى والمستعار له فرع وهو اضعف وهذا مطرد في سائر الاستعارات فاذا تقرر ذلك كان قوله تعالى ﴿سفرغ لكم ايها الثقلان﴾ من هذا القليل فالمستعار منه ههنا ما يجوز فيه الشغل وهو افعال العباد والمستعار له ما لا يجوز فيه الشغل وهو افعال الله تعالى والمعنى الجامع لهما الوعيد لأن^(٧) الوعيد بقول القائل سأفرغ لعقوبتك أقوى من الوعيد بقوله سأعاقبك من قبل كأنما قال سأعجزد لمعاقبتك كأنه يريد استفرغ قوته في

(١) ن . يقال .

(٢) ن . سنعمل كذا .

(٣) ط . أراد أن سنفعل .

(٤) ن . يفرغ .

(٥) ن . لعل الأصل تضجيع .

(٦) ن . عل للوعيد .

(٧) ط . الا أن الوعيد .

العقوبة له ثم جاء القرآن على ما طرح كلام العرب لأن معناه أسبق إلى النفس وأظهر للعقل والمراد به تغليظ الوعيد والمبالغة في التحذير ومثل ذلك قوله تعالى في المائدة ﴿ذُرِّي وَمَنْ خَلَقْتَ وحيداً﴾^(٢) فالمستعار منه ههنا ما يجوز فيه المنع وهو أفعال العباد والمستعار له ما لا يجوز فيه المنع وهو أفعال القديم تعالى كما قلنا والمعنى الجامع لهما التخويف والتهديد . والتهديد بقول القائل ذُرِّي وفلاناً إذا أردا المبالغة في وعيده أقوى له^(٣) من قوله خوف فلاناً من عقوبي وحذره من سطوتي وهذا بين بحمده تعالى وقد يجوز أن يكون لذلك وجه آخر وهو أن يكون معنى قوله ﴿سَنُفْرِغْ لَكُمْ﴾ أي سنفرغ لكم ملائكتنا الموكلين بالعذاب المعدين لعقاب أهل النار ونظير ذلك قوله تعالى ﴿وجاء ربك والملك صفاً صفاً﴾^(٤) أي جاء ملائكة ربك ويكون تقدير الكلام وجاء ملائكة ربك وهم صفاً صفاً كما يقول القائل^(٥) اقبل القوم وهم زحفاً زحفاً والملك ههنا لفظ الجنس وإنما اعيد ذكر الملك ليدل^(٦) على المحذوف الذي هو اسم الملائكة لأنه ما كان يسوغ أن يقال^(٧) وجاء ربك وهم صفاً صفاً ويريد الملائكة على التقدير الذي قدرناه لأن الكلام كان يكون ملبساً والنظام مختلفاً مضطرباً وقد يجوز أن يكون المعنى وجاء أمر^(٨) ربك والملك صفاً صفاً وكلا القولين جائز وقرأنا حمزة والكسائي ﴿سَنُفْرِغْ لَكُمْ﴾ بالياء وفتحها وقرأنا ﴿سَنُفْرِغْ لَكُمْ﴾ بالنون لبقية^(٩) القراء السبعة .

(١) ن . لأن معنى .

(٥) الآية ١١ .

(٣) ط . خلعت من له .

(٤) سورة الفجر الآية ٢٢ .

(٥) ط . كما تقول اقبل القوم .

(٦) ن . خلعت من (ليدل)

(٧) ط . أن يقول .

(٨) ن . وجاء ربك .

(٩) ط . خلعت من (البقية) .

سورة الواقعة

ومن السورة التي يذكر فيها الواقعة

٤٩٣ - قوله تعالى ﴿لَيْسَ لَوْفَعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ .

[الواقعة - الآية ٢]

وهذه استعارة والمراد أنها إذا وقعت لم ترجع عن وقوعها ولم تعدل عن طريقها كما يقال^(١) قد صدق فلان الحملة ولم يكذب أي ولم يرجع على عقبه ويقف عن وجهة عزمه جبناً وضعفاً ووجلأً وخوفاً وكاذبة ههنا مصدر كقولك عافاه الله عافية فيكون^(٢) كذب كذباً وكاذبة وتلخيص المعنى ليس لوقعها كذب ولا خلف وقيل أيضاً معنى ذلك^(٣) ليس لها قضية كاذبة لاخبار الله سبحانه بها وقيام الدلائل عليها فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه وذلك في كلامهم أظهر من أن يتعاطى بيانه وقيل أيضاً ليس لها نفس كاذبة في الخبر عنها والاعلام بوقوعها والمعنيان واحد .

(١) ط . كما يقولون .

(٢) ن . خلت من (فيكون كذب كذباً وكاذبة)

(٣) ط . يوجد بياض مكان (معنى ذلك ليس)

سورة الحديد

ومن السورة التي يذكر فيها الحديد

٤٩٤- قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ .

[الحديد - الآية ٣]

وهذه الأسماء إنما وصف تعالى نفسه بها ههنا مجازاً واستعارة وليس^(١) إطلاقاً لفظ الاستعارة عليه سبحانه كإطلاقنا لذلك على غيره لأنه سبحانه لا يأتي بالكلام المستعار والمجاز لضيق العبارة^(٢) عليه كما قلنا في أول هذا الكتاب ولكن لأن ذلك اللفظ^(٣) أبعد في البلاغة منزعاً وأبهر في الفصاحة مطلقاً والواحد منا في الأكثر إنما^(٤) يستعير أغلاق الكلام ويعدل عن الحقائق إلى المجازات لأن طرق القول ربما ضاق بعضها عليه فخالف إلى السعة وأعتة^(٥) الكلام ربما استعصى بعضها على فكره فعدل إلى المطاوعة فمعنى قوله تعالى ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾ أي الذي لم يزل قبل الأشياء كلها لا عن ابتداء مدة^(٦) والآخر

(١) ط . خلت من (وليس إطلاقاً لفظ الاستعارة)

(٢) ط . بياض مكان (لضيق العبارة)

(٣) ن . لأن اللفظ بعد في البلاغة مبرعاً

(٤) ن . إنما يشعر أغلاق الكلام .

(٥) ط . الكتابة فيها مطموسة .

(٦) ن . أمد .

أي الذي لا يزال بعد الأشياء كلها لا إلى انتهاء غاية والظاهر أي المتجلي للعقول بأدلتها والباطن أي الذي لا تدركه أبصار بريته . وقال بعضهم قد يجوز أن يكون معنى الظاهر ههنا أي العالم بالأشياء كلها من قولهم ظهرت على أمر فلان أي علمته ويكون الظاهر مخصوصاً بما كان في الوجود والجمهور ويكون الباطن مخصوصاً بعلم^(١) ما كان في العدم والسر وتلخيص معنى الظاهر والباطن انه العالم بما ظهر وما بطن وما استسر وما علن .

٤٩٥ - وقوله تعالى: ﴿وَبِهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ .

[الحديد - الآية ١٠]

وهذه استعارة على ما تقدم في كلامنا من نظير ذلك والمعنى ان الخلائق إذا فنوا وانقرضوا واخلوا^(٢) ما كانوا يسكنونه وزالت أيديهم عما كانوا يملكونه ولم يبق^(٣) إلا الله تعالى صار سبحانه كأنه قد ورث عنهم ما تركوه وحاز ما خلقوه لأنه الباقي بعد فنائهم والدائم بعد انقضائهم .

٤٩٦ - وقوله سبحانه: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ .

[الحديد - الآية ١٢]

وهذه استعارة على احد التأويلين وهو أن يكون المعنى أن إيمانهم في القيامة حاد لهم ومُطَّرَق بين أيديهم وواصل لأجنتحتهم فجري مجرى النور الحادي في طريقهم بمعنى أنهم يسعون الى الموقف غير عائرين ولا متعتين ولا مخوفين ولا مروَّعين كما يكون غيرهم من لا إيمان له ولا هدى معه فكأنهم لكونهم على تلك الحال يسرون بدليل مسكون إلى دلالته وفي ضياء موثوق بهدايته .

(١) ط . خلت من (يعلم)

(٢) ط . اذا خلوا .

(٣) ط . أغلب هذا البحث وما بعده بياض .

٤٩٧ - وقوله سبحانه : ﴿ مَا أَرْحَمُ النَّارَ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبَنَسَ الْمَصِيرُ ﴾ .

[الحديد - الآية ١٥]

وهذه استعارة ومعنى مولاكم اي املك بكم وأولى بأخذكم وهذا بمعنى المولى^(١) من طريق الرق لا المولى من جهة العنق فكان النار نعوذ بالله منها تملكهم رقاً ولا تحررهم عتقاً .

٤٩٨ - وقوله سبحانه : ﴿ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ .

[الحديد - الآية ٢٩]

وهذه^(٢) استعارة ومعنى بيد الله أي في ملك الله وقدرته بيسطه إذا شاء ويقبضه^(٣) إذا شاء على حسب المصالح والمفاسد والمغاوي والمرشد وقد مضى الكلام على نظائر^(٤) ذلك

(١) ط . بمعنى أولى .

(٢) ن . خلت من (وهذه استعارة ومعنى بيد الله) .

(٣) ط . خلت من (ويقبضه إذا شاء)

(٤) ط . على نظائرها .

سورة المجادلة

ومن السورة التي يذكر فيها المجادلة

٤٩٩- قوله سبحانه: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ .

[المجادلة - الآية ٧]

وظاهر هذا الكلام محمول على المجاز والاتساع لأن المراد به إحاطته تعالى بعلم نجوى المتناجين ومعارض^(١) المتخافتين فكأنه سبحانه يعلم جميع ذلك سامع للمحاور وشاهد للسرار ولو حمل هذا الكلام على ظاهره لتناقض ألا ترى انه تعالى لو كان رابعاً لثلاثة في مكان على معنى قول المخالفين استحال أن يكون سادساً خُمسة في غير ذلك المكان إلا بعد^(٢) أن يفارق المكان الأول وبصير الى المكان الثاني فينتقل كما تنتقل الاجسام ويجوز عليه الزوال^(٣) والمقام وهذا واضح بحمد الله وتوفيقه .

٥٠٠- وقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صِدْقَةٌ﴾ .

[المجادلة - الآية ١٢]

(١) ن . معارض .

(٢) ن . خلت من (إلا بعد أن يفارق المكان)

(٢) ط . والانتقال والمقام .

وهذه استعارة وقد مضى لها مظاهر كثيرة والمراد بقوله تعالى ﴿ بين يدي
 نجواكم ﴾ أي أمام نجواكم وذلك كقوله سبحانه ﴿ وهو الذي يرسل الرياح
 بشراً بين يدي رحمته ﴾ (١) أي مُطَرِّفة أمام الغيث الوارد ومبشرة بالخير الوافد .
 ٥٠١ - وقوله سبحانه ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ .

[المجادلة - الآية ١٦]

وهذه استعارة والكلام وارد في شأن المنافقين والمراد أنهم جعلوا إظهار
 الايمان الذي (٢) يظنون ضده جُنَّةً يعتصمون بها ويستلثمون فيها نفوذاً بظاهر
 الاسلام الذي يسع من دخل فيه ويعيد من تعذبه .
 ٥٠٢ - وقوله سبحانه ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَيْنَا أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ .

[المجادلة - الآية ٢١]

وهذه استعارة والمراد بالكتابة ههنا الحكم والقضاء وإنما كنى تعالى عن
 ذلك بالكتابة مبالغة في وصف ذلك الحكم بالثبات وان بقاء كبتاء
 المكتوبات .
 ٥٠٣ - وقوله سبحانه ﴿ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ ﴾ .

[المجادلة - الآية ٢٢]

وفي هذا الكلام استعارتان إحداهما قوله تعالى ﴿ أولئك كتب في قلوبهم
 الإيمان ﴾ ومعناه انه ثبت في قلوبهم وقرره في ضمائرهم فصار كالكتابة الباقية
 والرقوم الثابتة على ما أشرنا اليه من الكلام على الاستعارة المتقدمة وذلك
 كقول القائل هو أبقي ومن النقش في الحجر ومن النقش في الزبر .
 والاستعارة الأخرى قوله تعالى ﴿ وأيدهم بروح منه ﴾ ولذلك وجهان إما أن

(١) سورة الأعراف الآية ٥٧ .

(٢) ط . الدين .

يكون المراد بالروح ههنا القرآن لأنه حياة منه^(١) في الاديان كلها^(٢) كما ان
 الارواح حياة الابدان وقال سبحانه ﴿وكذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا﴾^(٣)
 والمراد القرآن والوجه الآخر أن معنى^(٤) الروح ههنا النصر والغلبة والاطهار
 والدولة^(٥) وقد يعبر عن ذلك بالريح . والروح والريح كلاهما^(٦) يرجعان الى
 معنى واحد وقال سبحانه ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾^(٧) أي
 دولتكم واستظهاركم .



(١) ط . خلت من (منه)

(٢) ط . خلت من (كلها كما أن الارواح حياة الابدان) .

(٣) سورة الشورى الآية ٥٢ .

(٤) ط . أن يكون الروح ههنا معنى النصر والغلبة .

(٥) ط . للدولة .

(٦) ط . خلت من كلاهما .

(٧) سورة الأنفال الآية ٤٦

سورة الحشر

ومن السورة التي يذكر فيها الحشر

٥٠٤ - قوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ الآية .

[الحشر - الآية ٩]

وهذه استعارة لأن تبوء الدار هو استيطانها والتمكن فيها ولا يصح حمل ذلك على حقيقة في الايمان فلا بد إذا من حمله على المجاز والانساع فيكون المعنى أنهم استقروا في الايمان كاستقرارهم في الاوطان وهذا من صميم البلاغة ولباب الفصاحة وقد زاد اللفظ المستعار ههنا معنى الكلام رونقاً ألا ترى كم بين قولنا استقروا في الايمان وبين قولنا تبوأوا الايمان وأنا أقول أبداً ان الألفاظ خدم للمعاني لأنها تعمل^(١) في تحسين معارضها وتنميق مطالعها .

٥٠٥ - وقوله سبحانه: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ .

[الحشر - الآية ٢١]

وهذا القول على سبيل المجاز والمعنى أن الجبل لو كان مما يعي^(٢) القرآن ويعرف البيان لخشع لسماعه^(٣) ولتصدع^(٤) من عظم شأنه على غلظ أجرامه وخشونة اكتافه فالانسان أحق بذلك منه إذ كان واعياً لقوارعه وعالمًا بصواعده .

(٣) ط . في سماعه .

(١) ن . يكمل .

(٤) ن . وانصدع .

(٢) ن . لو كان مما يعي .

سورة الامتحان^(١)

ومن السورة التي يذكر فيها الامتحان

٥٠٦ - قوله سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا غَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ
أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ ﴾

[المتحنة - الآية ١]

وهذه استعارة على احد التأويلين وهو أن يكون المعنى تلقون اليهم بالمودة لئلا يمتسكوا^(٢) بها منكم كما يقول القائل القيت الى فلان بالحبل ليتعلق به وسواء قال القيت بالحبل أو القيت الحبل وكذلك لو قال^(٣) القيت الى فلان بالمودة أو القيت اليه المودة وكذلك قولهم رميت اليه بما في نفسي وما في نفسي بمعنى واحد . وقال الكسائي : القه من يدك والى به من يدك واطرحه من يدك واطرح به من يدك كلام عربي صحيح وقد قيل إن في الكلام مفعولاً محذوفاً فكأنه تعالى قال : « تلقون اليهم أسرار النبي عليه السلام بالمودة التي بينكم » وهذه الآية نزلت في قوم من المسلمين كانوا يخالون^(٤) قوماً من المنافقين فيستقطنهم أسرار النبي صلى الله عليه وآله استزلاً لهم واستغماراً لعقولهم .

٥٠٧ - وقوله سبحانه : ﴿ وَيَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ ﴾ .

[المتحنة - الآية ٢]

(١) وتسمى المتحنة

(٢) ط . لئلا يمتسكوا كذا .

(٣) ن . خلت من (لو قال) .

(٤) ن . يخالون .

وهذه استعارة لأن بسط اللسان على الحفيظة لا يتأتى كما يتأتى بسط الأيدي وإنما المراد اظهار الكلام السرى فيهم بعد زَمَّ اللسان عنهم فيكون الكلام كالشيء الذي بسط بعد انطوائه^(١) وأظهر بعد إخفائه وقد يجوز أيضاً أن يكون تعالى إنما حمل بسط اللسان على بسط الأيدي ليتوافق الكلام ويتزاج النظام لأن الأيدي واللسان مشتركة في المعنى المشار اليه فللايدي الأفعال ولللسان الأقوال وتلك ضررها بالابقاع وهذه ضررها^(٢) بالسماع .

٥٠٨ - وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعَصَمِ الْكُوفَرِ﴾ .

[المتحنة - الآية ١٠]

وقرأ أبو عمرو وحده تمسكوا بالتشديد وقرأ بقية السبعة تمسكوا بالتخفيف وهذه استعارة والمراد بها لا تقيموا على نكاح المشركات وخلاط الكافرات فكأن سبحانه عن العلق التي بين النساء والازواج بالعصم وهي ههنا بمعنى الحبال لأنها تصل بعضهم ببعض وتربط بعضهم إلى بعض وإنما سميت الحبال عصماً لأنها تعصم المتعلق بها والمستمسك بقوتها وقال الشاعر^(٣):

وأخذ من كل حيٍّ عصم

أي حبالاً وهي بمعنى العهود ، في هذا الشعر . وقال ابو عبيدة : العصمة الحبل والسبب وقال غيره : « العصم عقد » فكانه تعالى قال : ولا تمسكوا بعقد الكوافر أي بعقود نكاحهن . وأبو حنيفة يستشهد بهذه الآية على أنه لا عدة للحرية^(٤) إذا خرجت الى دار الإسلام مسلمة وبانت من زوجها بتخليفها له في دار الحرب كافراً ويقول : إن في الاعتداد منه تمسكاً بعصمة

(١) ن . بعد الطواية .

(٢) ن . خلّت من (ضررها)

(٣) الشاعر هو أعتى فبس وصدر البيت « الى المرء قبس أطيل السرى » .

(٤) ط . في الحرية .

الكافر التي وقع النبي عن التمسك بها ويذهب الى ان الكوافر ههنا جمع فرقة
كافرة كما ان الخوارج جمع فرقة خارجة ليصح حمل الكوافر على الذكور
والإناث ويكون قوله : ﴿ وَلَا تَمْسِكُوا ﴾ خطاب للنبي (ص) والمؤمنين
والمعنى ولا تأمروا النساء بالاعتداد من الكفار فتكونوا كأنكم قد امرتموهن
بالتمسك بعضهم . وقال أبو يوسف ومحمد تجب عليها العدة .



سورة الصف

ومن السورة التي يذكر فيها الصف

٥٠٩ - قوله سبحانه: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ .

[الصف - الآية ٥]

وهذه استعارة وكنا أغفلنا الكلام على نظيرها في آل عمران وهو قوله ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ﴾^(١) لأن ذلك أدخل في باب الكلام على الآي المتشابه وأبعد من الكلام على الألفاظ المستعارة إلا أننا رأينا الإشارة إلى هذا المعنى ههنا لأنه مما يجوز أن يجري في مضمار كتابنا هذا فنقول إن المراد بقوله تعالى ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا ﴾ أي لا تحملنا من التكليف^(٢) مالا طاقة لنا به فتزيع قلوبنا أي تخيل طاعتك وتعديل عن طريق مرضاتك فتصادفها زائغة أو تحكم عليها بالتزيع^(٣) عند كونها زائغة وقد يجوز أن يكون المراد بذلك أي أدم لنا الطافك وعصمك لتدوم قلوبنا على الاستقامة ولا تزيع^(٤) عن مناهج الطاعة وحسن أن يقال ﴿ لا تزغ قلوبنا ﴾ بمعنى الرغبة في إدانة اللطاف لما كان اعدام تلك اللطاف في الأكثر يكون عنه زيع القلوب وموافقة الذنوب وقد استقصينا الكلام على ذلك في كتابنا الكبير وأما قوله تعالى في هذه السورة ﴿ فلما زاغوا

(١) الآية ٨ .

(٢) ن . من التكليف .

(٣) ط . الزيع .

(٤) ط . ولا تزغ كذا .

أزاع الله قلوبهم ﴿١﴾ فهو أوضح فيما يذهب اليه من الأول لأنه سبحانه لما زاغوا عن الحق حكم عليهم بالزيغ عنه وحكمه بذلك أن يأمر أوليائه بدمهم ولعنهم والبراءة منهم عقوبة لهم على ذميم فعلهم وقد يجوز أن يكون معنى ذلك انهم لما زاغوا عن الحق خذلهم وأبعدهم وخلاهم واختيارهم وأضاف سبحانه الفعل إلى نفسه على طريق الاتساع لما كان وقوع الزيغ منهم مقابلاً لأمره لهم باتباع الحق وسلوك الطريق ^(١) النهج كما قال تعالى ﴿فَاتَّخَذْتَهُمْ بَخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي﴾ ^(٢) أي دفع نسيانكم لذكري عن ^(٣) مقابلة أمر أولئك العباد الصالحين ولكم بأن تسلكوا الطريق الأسلم وتنبعوا الدين الأقوم .



(١) ط . طريق النهج .

(٢) سورة المؤمنون الآية ١١٠ .

(٣) ط . في مقابلة .

سورة الجمعة

ومن السورة التي يذكر فيها الجمعة

٥١٠ - قوله تعالى: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ .

[الجمعة - الآية ٧]

وهذه استعارة والمراد ولا يتمنون الموت أبداً خوفاً مما فرط منهم من الأعمال السيئة والقبائح المجرمة ونسب تعالى تلك الأفعال إلى الأيدي لغلبة الأيدي على الأعمال وإن كان فيها ما يعمل بالقلب واللسان .



سورة المنافقون

ومن السورة التي يذكر فيها المنافقون .

٥١١ - قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ .

[المنافقون - الآية ٧]

وهذه استعارة والمراد بخزائن السماوات والأرض مواضع أرزاق^(١) العباد من مدار السحاب ومخارج الاعشاب وما يجري مجرى ذلك من الأرفاق وقال بعضهم المراد بالخزائن ههنا مقادير الله سبحانه لأن فيها كل ما يشاء اخراجه من مصالح العباد ومنافع البلاد وقد مضى الكلام على هذا المعنى فيما تقدم .



(١) ن . مواضع الرزق وارزاق .

سورة التغابن

ومن السورة التي يذكر فيها التغابن

٥١٢ - قوله تعالى ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ الْبَرِّ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾ .

[التغابن - الآية ٨]

وهذه استعارة والمراد بالنور ههنا القرآن وإنما سمي نوراً لأن به يهتدى في ظلم الكفر والضلال كما يهتدى بالنور الساطع والشهاب اللامع وضياء القرآن أشرف من ضياء الانوار لأن القرآن يعشوا اليه القلب والنور يعشوا اليه الطرف .

٥١٣ - وقوله سبحانه ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ .

[التغابن - الآية ٩]

فذكر التغابن ههنا مجاز والمراد به والله أعلم تشبيه المؤمنين والكافرين^(١) بالمتعاقدين والمتبايعين فكان المؤمنين ابتاعوا دار الثواب وكان الكافرين اعتاضوا منها دار العقاب فتفاوتوا في الصفقة وتغابنوا في البيعة فكان الربح مع المؤمنين والخسران مع الكافرين ويشبه ذلك قوله تعالى ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تَجْعِيلِكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ تؤمنون بالله ورسوله^(٢) .

وليس في السورة التي يذكر فيها الطلاق شيء من الغرض الذي نقصده في هذا الكتاب .

(١) ط . خلعت من (والكافرين بالمتعاقدين والمتبايعين فكان المؤمنين)

(٢) سورة الصف الآيتان ١٠ و ١١ .

سورة التحريم

ومن السورة التي يذكر فيها التحريم

٥١٤ - قوله سبحانه ﴿ إِنَّ تَوْبًا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ .

[التحريم - الآية ٤]

وهذه استعارة ومعنى صغت قلوبكما أي مالت وانحرفت قال النضربين شميل يقال قد صغوت اليه وصغيت واصغيت اليه وهو الكلام ولم تمل قلوبهما على الحقيقة وإنما اعتقد قلباهما خلاف الاستقامة في طاعة النبي صلى الله عليه وآله فحسن أن يوصفا^(١) بميل القلبين من هذا الوجه وذلك لقول القائل : قد مال إلى فلان قلبي إذا أحبه وقد نفر^(٢) عن فلان قلبي إذا أبغضه والقلب في الامرين جميعاً بحاله لم يخرج عن نياطه^(٣) ولم يزل عن مناطه وإنما قال سبحانه ﴿ قُلُوبُكُمَا ﴾ والخطاب مع امرأتين لأن كل شئيين تجوز العبارة عنهما بلنظ الجمع في عادة العرب قال الراجز^(٤) :

ومهممين قذفين مرتين ظهراهما مثل ظهور الترسين

وقال الله في موضع آخر ﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما ﴾^(٥) وإنما أراد

(١) ط . أن توصف .

(٢) ن . تفرق .

(٣) النياط : الفؤاد .

(٤) الراجز هروذية بن الحجاج .

(٥) سورة المائدة الآية ٣٨ .

قطع عين السارق وعين السارقة وذلك مشهور في هذه اللغة .

٥١٥ - وقوله سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا ۝ ﴾ .

[التحريم - الآية ٨]

وهذه استعارة لأن نصوحاً من أسماء المبالغة يقال رجل نصوح إذا كان كثير النصح لمن يستنصحه وذلك غير متأب^(١) في صفة التوبة على الحقيقة فنقول إن المراد بذلك والله اعلم أن التوبة لما كانت بالغة غاية الاجتهاد في تلافي ذلك الذنب كانت كأنها بالغة غاية الاجتهاد في نصح صاحبها ودلائله على طريق النجاة بها فحسن أن تسمى نصوحاً من هذا الوجه . وقال بعضهم النصوح هي التوبة التي ينصح الإنسان فيها نفسه ويبذل مجهوده في إخلاص الندم والعزم على ترك معاودة الذنب . وقرأ أبو بكر بن عياش عن عاصم نصوحاً بضم النون على المصدر وقرأ بقية السبعة بفتح النون على صفة التوبة .

٥١٦ - وقوله سبحانه: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَاتَمَهُمَا ۝ ﴾ .

[التحريم - الآية ١٠]

وهذه استعارة لأن وُصف المرأة بأنها تحت الرجل ليس يراد به حقيقته الفوق والتحت وإنما المراد أن منزلة المرأة منخفضة عن منزلة الرجل^(٢) لقيامه عليها وغلبته على أمرها كما قال سبحانه ﴿ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ﴾^(٣) وكما يقول القائل فلان الجندي تحت يدي فلان الأمير إذا كان من شحنة عمله ومتصرفاً على أمره وكما يقول الآخر لا أخذ رزقي من تحت يدي فلان إذا كان هو الذي يلي اطلاق رزقه وتوفية مستحقته وذلك مشهور في كلامهم .

(١) ن . غير متأب .

(٢) ن . عن منزله .

(٣) سورة النساء الآية ٣٤ .

سورة الملك

ومن السورة التي يذكر فيها الملك

٥١٧ - قوله سبحانه: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

[الملك - الآية ١]

وهذه استعارة وقد مضت لها نظائر فيما تقدم والمراد بذكر اليد ههنا استيلاء الملك وتدبير الأمر يقال هذه الدار في يد فلان أي في ملكه وهذا الأمر في يد فلان أي هو المدبر له فمعنى ﴿ بيده الملك ﴾ أي ^(١) هو مالك الملك ومدبر الأمور ^(٢) .

٥١٨ - وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَرْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ .

[الملك - الآية ٤]

وهذه من الاستعارات المشهورة والمراد بها والله أعلم أي كرر أيها الناظر بصرك إلى السماء مفكراً في عجائبها ومستنبطاً غوامض تركيبها يرجع إليك بصرك بعيداً مما طلبه ذليلاً بقوة ما قدره والخاسيء في قول قوم البعيد من قولهم خست الكلب إذا أبعدته وفي قول قوم هو الذليل يقال رجل خاسيء أي ذليل وقد خس أي خضع وذل والحسير هو البعير المعبي الذي قد بلغ السير بمجهوده واعتصر عوده فتلخيص المعنى أن البصر يرجع بعد سروحه في

(١) ن . خلت من (أي)

(٢) ن . الأمور .

طلب مراده وابعاده في غايات مرامه كالآ معبياً بعيداً عن (١) إدراك بغيته خائباً من نيل طلبته .

٥١٩ - وقوله سبحانه في صفة نار جهنم نعوذ بالله منها: ﴿ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورٌ ﴾ تكاد تميز من الغيظ ﴿ الآية .

[الملك - الآيتان ٧ - ٨]

وفي هذا الكلام استعارتان : إحداهما قوله تعالى ﴿ سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورٌ ﴾ والشهيق الصوت الخارج من الجوف عند تضايق القلب من الحزن الشديد والكمد الطويل وهو صوت مكروه السماع فكأنه تعالى وصف النار بأن لها اصواتاً مفضعة يهول من سماعها ويصعق من قرب منها . والاستعارة الأخرى قوله سبحانه ﴿ تكاد تميز من الغيظ ﴾ من قولهم تغيظت القدر إذا اشتد غليانها ثم صارت الصفة به خصوصاً بالانسان المغضب فكأنه تعالى وصف النار نعوذ بالله منها بصفة المغيظ الغضبان الذي من شأنه إذا بلغ ذلك الحد أن يبالغ في الانتقام ويتجاوز الغايات في الايقاع والايلام وقد جرت عادتهم (٢) في صفة الانسان الشديد الغيظ بأن يقولوا يكاد فلان يتميز غيظاً أي تكاد أعضاؤه المتلاحمة تترايل وأخلاقه المتجاوزة تتنافى وتتباعد من شدة احتياج غيظه واحتدام طبعه فأجرى تعالى هذه الصفة التي هي ابلغ صفات الغضبان على نار جهنم لما وصفها بالغيظ ليكون التمثيل في أقصى منازل وأعلى مراتبه .

٥٢٠ - وقوله سبحانه: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا ﴾ .

[الملك - الآية ١٥]

وهذه استعارة لأن الذلول من صفة الحيوان المركوب يقال بعير ذلول وفرس ذلول إذا أمكن من ظهره وتصرف على مراد راحته وضد ذلك وصفهم

(١) ط . من .

(٢) ن . عادته .

للمركوب المانع لظهوره والمنتع على راحته بالصعب والمصعب والمعنى
 سبحانه جعل الأرض للناس كالمركوب الذلول ممكنة من الاستقرار عليها
 والتصرف فيها طائعة غير مانعة ومذعنة غير مدافعة والمراد بقوله تعالى ﴿فامشوا
 في مناكبها﴾ أي في ظهورها وأعاليتها وأعلى كل شيء منكب له وقال بعضهم
 معنى ذلك أنه تعالى لما أصابها^(١) في بعض الأحيان بالرجفات والزلازل التي لا
 قرار معها على وجه الأرض وخلق الجبال الملاص الصعبة المسالك لتكون
 للأرض ثقلًا وللخلق معقلًا أعلمنا سبحانه أنه لولا ما أنعم به علينا من
 تسكين الأرض وتوطئتها ونفي الحزون والوعوث^(٢) عن أكثرها حتى امكنت من
 التصرف على ظهرها لما كان عليها مثبت قدم ولا مسرح نعم وقد استقصينا
 الكلام على ذلك في كتابنا الكبير .

٥٢١ - وقوله سبحانه: ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا
 عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ .

[الملك - الآية ٢٢]

وهذه استعارة^(٣) والمراد بها صفة من يتخبط في الضلال وينحرف عن
 طريق الرشاد لأنهم يصفون من تلك حاله بأنه ماشٍ على وجهه فيقولون فلان
 يمشي على وجهه ويمضي على وجهه إذا كان كذلك وإنما شبهوه بالماشي^(٤)
 على وجهه لأنه لا ينتفع بمواقع بصره إذ كان البصر في الوجه وإذا كان الوجه
 مكبياً على الأرض كان الانسان كالأعمى الذي لا يسلك جددًا ولا يقصد
 سددًا ومن الدليل على قوله تعالى ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ﴾ من
 الكنايات عن عمى البصر قوله تعالى في مقابلة ذلك ﴿أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا﴾ لأن
 السوي ضد المنقوص في خلقه والمبثلى في بعض كرائم جسمه .

(١) ط . لما أصابنا .

(٢) الوعث : من وعث : تعثر سلوكه : الشدة والشر .

(٣) ن . خلعت من (وهذه استعارة)

(٤) ن . بالماضي .

سورة القلم

ومن السورة التي يذكر فيها ن والقلم

٥٢٢- قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ .

[القلم - الآية ٤٢]

وهذه استعارة والمراد بها الكناية عن هول الأمر وشدته وعظم الخطب وفضاعته لأن من عادة الناس أن يشمروا عن سوقهم عند الأمور الصعبة التي يحتاج فيها الى المعاركة ويفزع عندها^(١) الى الدفاع والممانعة فيكون تشمير الذبول عند ذلك أمكن للقراع وأصدق للمصاع وقد جاء في اشعارهم ذكر ذلك في غير موضع قال قيس بن زهير بن جذيمة العبسي :

وَإِذْ شَمَّرْتَ لَكَ عَنْ سَاقِهَا فَوَيْهَا رَبِيعٌ فَلَا تَسَامُ
وقال الآخر :

قَدْ شَمَّرْتَ عَنْ سَاقِهَا فَشَدُّوا وَجَدْتَ الْحَرْبَ بِكُمْ فَجَدُّوا
٥١- وقوله سبحانه: ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ .

[القلم - الآية ٤٤]

وهذه استعارة ولها في القرآن نظائر منها قوله تعالى ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ

(١) ن . خلت من عندها .

أولي النعمة ومهلهم قليلاً ﴿١١﴾ وقوله تعالى ﴿ذرني ومن خلقت وحيداً﴾ (٢) ومعنى ذلك أن الكلام خرج على مذهب للعرب معروف وغرض مقصود يقول قائلهم لمخاطبه إذا أراد تغليظ الوعيد لغيره : ذرني وفلاناً فستعلم ما أنزل به فالمراد إذا بهذا الخطاب النبي (ص) فكانه تعالى قال له ذر عقابي وهؤلاء المكذبين اترك مسألتي في التخفيف عنهم والابقاء عليهم لأنه سبحانه لا يجوز عليه المنع فيصح معنى قوله لنبيه (ص) ذرني وكذا لأنه المالك لا ينازع والقادر لا يدافع .

٥٢٤ - وقوله سبحانه: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ .

[القلم - الآية ٥١]

وهذه استعارة والمراد بالازلاق ههنا ازلاق القدم حتى لا تستقر على الأرض وذلك خارج على طريقة للعرب (٣) معروفة يقول القائل منهم نظر إلي فلان نظراً كاد يصرعني به وذلك لا يكون إلا نظر المقت والابغاض وعند النزاع والخصام قال الشاعر :

يتقارضون (٤) إذا التقوا في موقفٍ نظراً يزيل مواقف الاقدام

وقد انكر بعض العلماء أن يكون المراد بقوله تعالى ﴿لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ﴾ الاصابة بالعين لأن هذا من نظر السخط والعداوة وذلك من نظر الاستحسان والمحبة .

(١) سورة المزمل الآية ١١ .

(٢) سورة المدثر الآية ١١ .

(٣) ن . طريقة العرب .

(٤) ن . يتقارضون .

سورة الحاقة

ومن السورة التي يذكر فيها الحاقة

٥٢٥ - قوله سبحانه: ﴿وَأَمَّا غَادُ فَأَهْلِكُوا بَرِيحٍ صُرْصُرٍ غَاتِيَةٍ﴾ .

[الحاقة - الآية ٦]

وهذه استعارة والمراد بالصرصر الباردة وهو مأخوذ من الصر والعاتية الشديدة الهبوب التي ترد بغير^(١) ترتيب مشبهة بالرجل العاتي وهو المتمرد الذي^(٢) لا يبالي على ما أقدم ولا في ما ولج ووقع .

٥٢٦ - وقوله سبحانه: ﴿فَأَخَذَهُمُ أَخْذَةً رَابِيَةً﴾ .

[الحاقة - الآية ١٠]

وهذه استعارة والمراد بالرابية ههنا الغالبة القاهرة من قولهم ربا الشيء إذا زاد والربا مأخوذ من هذا فكان تلك الأخذة^(٣) كانت قاهرة لهم^(٤) وغالبة عليهم .

٥٢٧ - وقوله سبحانه: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ .

[الحاقة - الآية ١١]

(١) ن . بعد .

(٢) ن . (بالذي) .

(٣) ن . ذلك الأخذة .

(٤) ن . خلعت من (لهم) .

وهذه استعارة والمراد بها قريب من المراد بالاستعارتين الأولين وهو تشبيه
 للماء في طمو أمواجه وارتفاع أثباجه^(١) بحال الرجل الطاغى الذي علا متجبراً
 وشمخ مستكبراً^(٢) وقال بعضهم معنى طغى الماء ، أي كثر على خزانة فلم
 يضبطوا مقدار ما خرج منه كثرة لأن للماء خزانة وللرياح خزانة من الملائكة
 عليهم السلام يخرجون منها على قدر ما يراه الله تعالى من مصالح العباد
 ومنافع البلاد على ما وردت به الآثار .

٥٢٨ - وقوله سبحانه : ﴿ فَهَوُ فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾ .

[الحاقّة - الآية ٢١]

وهذه استعارة وكان الوجه أن يقال في عيشة^(٣) مرضية ولكن المعنى
 خرج على مخرج قولهم شعر شاعر وليل ساهر إذا شعر في ذلك الشعر وسهر
 ذلك الليل فكأنها وصفا بما يكون فيها لا بما يكون منها فيان أن تلك العيشة
 لما كانت بحيث يرضى الإنسان فيها حاله جاز أن توصف هي^(٤) بالرضا فيقال
 راضية على المعنى الذي أشرنا إليه وعلى ذلك قول اوس بن حجر :

جدلت على ليلة ساهره بصحراء سرح إلى ناظره

فوصف الليلة بصفة الساهر وظاهر الصفة أنها لها وقال بعضهم إنما قال
 تعالى في عيشة راضية . لأنها في معنى ذات رضا كما يقال لابن وتامر أي ذو
 لبن وتمر وكما قالوا لذي الدرع دارع ولذي النبل نابل ولصاحب الفرس
 فارس وإنما جاءوا به على النسب ولم يمينوا به على الفعل وعلى ذلك قول
 النابغة الذبياني :

كليني هُم يا أميمة ناصب وليل اقاسيه بطيء^(٥) الكواكب

(١) من شبح : جمع أثباج : معظّم . اعلاه .

(٢) ط . متكبراً .

(٣) ن . خلت من حرف الجر .

(٤) ن . خلت من (هي) .

(٥) ن . على الكواكب .

أي ذي نصب فإن فكان العيشة اعطيت من النعيم حتى رضية فحسن
أن يقال راضية لأنها بمنزلة الطالب للرضا كما أن الشهوة بمنزلة الطالب
للمشهى^(١).

٥٢٩ - وقوله سبحانه: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ .

[الحاقة - الآيتان ٤٤ - ٤٥]

وهذه استعارة على أحد التأويلات وهو أن يكون المراد باليمين ههنا
القوة والقدرة فيكون المعنى انه لو فعل ما نكره فعله لانتقمنا منه عن قدرة
وعاقبناه عن قوة وقد يجوز أن تكون اليمين ههنا راجعة الى النبي(ص) فيكون
المعنى^(٢) لو فعل ذلك لسلبناه قدرته وانتزعنا منه قوته ويكون ذلك كقوله
تعالى: ﴿تَنَبَّأَ بِالذَّهْنِ﴾^(٣) أي تنبأ الدهن على بعض التأويلات وكقول
الشاعر :

(يضرب بالسيف ويرجو بالفرج)

أي يرجو الفرج .



(١) ط . المشهى .

(٢) ن . فيكون لو فعل ذلك .

(٣) سورة المؤمنون الآية ٢٠ .

سورة سأل سائل^(١)

ومن السورة التي يذكر فيها سأل سائل

٥٣٠ - قوله سبحانه : ﴿ كَلَّا إِنَّهَا لَأُظْلَىٰ ۖ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۖ تَدْعُو مِّنْ أَذْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ۖ ﴾

[المعارج - الآيات ١٥ - ١٦ - ١٧]

وهذه استعارة والمراد بدعائها من أدبر وتولى والله اعلم انه لما استحقها بادباره عن الحق صارت كأنها تدعوه اليها وتسوقه نحوها وعلى ذلك قول ذي الرمة في صفة الثور (٢) :

عدا بوهنين مجتازاً لمرتعته بذى الفوارس تدعو أنفه الرب (٣)

والرب جمع ربة وهي نبت من نبات الصيف يقول لما وجد ربح^(٤) الرب مضى نحوها فكأنها^(٥) دعتة إلى أكلها وقد يجوز أيضاً أن يكون المراد بذلك انها لا يفوتها ذاهب ولا يعجزها^(٦) شارب فكأنها تدعو الحارب منها فيجيبها مدأ له بأسبابها^(٧) ورداً له إلى عذابها قال بعض المفسرين : فإنه يخرج عنق من النار فيتناول الكافر حتى يقحمه فيها فكأنها بذلك الفعل داعية إلى دخولها وقد يجوز ان يكون المراد انها تدعو من أدبر عن الحق بمعنى أنها تخوله بفضاعة الخبر عنها وتغليظ الوعيد بها فكأنها تستعطفه إلى الرشد^(٨) وتستصرفه

(١) وتسمى المعارج .

(٢) ن . خلعت من (في صفة الثور) .

(٣) رواية اللسان هذا البيت :

(٤) ط . رائحة . أمسى بوهين مجتازاً لمرتعته من ذى الفوارس يدعو أنفه الرب

(٥) ن . فكأنها دعتة اليها . (٧) ن . بأسانها .

(٦) ن . ولا يعجز عنها . (٨) ط . إلى الرتبة .

عن الغي . وحكي عن المبرد انه قال : ﴿ تدعوا من أدبر وتولى ﴾ أي تعذبه . وحكي عن الخليل أن اعرابياً قال لآخر : دعاك الله أي عذبك الله . وقال ثعلب : معنى دعاك الله أي أماتك الله ، فعل هذا القول يدخل الكلام في باب الحقيقة ويخرج عن حيز الاستعارة .



سورة نوح

ومن السورة التي يذكر فيها نوح عليه السلام

٥٣١ - وقوله تعالى : قوله سبحانه ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ بِهِ قَارًا ﴾ .

[نوح - الآية ١٣]

وهذه استعارة لأن الوقار ههنا وضع موضع ^(١) الحلم مجازاً . يقال : رجل وقور يعني ^(٢) حليم ، وأما حقيقة الوقار الذي هو الرزانة والثقل فلا يجوز أن يوصف ^(٣) به القديم تعالى لأنه من صفات الأجسام وإنما يجوز وصفه تعالى بالوقار على معنى الحلم كما ذكرناه ، والمعنى أنه يؤخر عقاب المذنبين مع الاستحقاق إمهالاً للتوبة وانتظاراً للفتنة ^(٤) والرجعة لأن الحليم في الشاهد اسم لمن يترك الانتقام عن قدرة ولا يسمى غير القادر إذا ترك الانتقام حليماً لليلة التي ذكرناها . وقوله تعالى ﴿ لَا تَرْجُونَ اللَّهَ ﴾ ههنا أي لا تخافون فكأنه سبحانه قال : ما لكم لا تخافون الله حلماً وإنما أخر عقوبتكم إمهالاً لكم ، وإيجاباً للحجة عليكم ، وإلا فعذابه ^(٥) من ورائكم وانتقامه قريب منكم . وقد جاء في أشعار ^(٦) العرب لفظ الرجاء ، والمراد به الخوف ولا يرد ذلك إلا وفي الكلام حرف نفي لا يقال فلان يرجو فلاناً بمعنى يخافه ، بل يقال : فلان لا يرجو فلاناً أي لا يخافه قال أبو ذؤيب الهذلي ^(٧) :

(١) ط . وضع وضع الحلم .

(٤) الفتنة : المرة . الرجعة .

(٢) ط . بمعنى .

(٥) ط . فعقابه .

(٣) ط . يوصف بها .

(٦) ط . في شعر .

(٧) أبو ذؤيب الهذلي : شاعر مخضرم . خرج مع عبد الله بن أبي سريته لفتح إفريقية في عهد عثمان (٦٤٧) توفي في مصر نحو ٦٤٨ .

إذا لسعته الدبر لم يرح لسعها وخالفها في بيت نوب عوامل
أراد لم يخف لسعها وقال الآخر :

لا ترتجي حين تلاقي الرائد أخسة لاقيت معاً أو واحداً

أي لا تخاف وقال بعض العلماء : إنما كنا عن الخوف بالرجاء في هذه
المواضيع لأن الراجي ليس بمستيقن^(١) فمعه طرف من المخافة . وقال
بعضهم : الوقار ههنا بمعنى العظمة وسعة المقدرة وأصل الوقار ثبوت ما به
يكون الشيء عظيماً من الحلم والعلم اللذين يؤمن معهما الخرق والجهل ومن
ذلك قول القائل : قد وقر قول فلان في قلبي أي ثبت واستقر وחדش وأثر .

٥٣٢ - وقوله سبحانه : ﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتُكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً ﴾ ۝ ١٧ **يَقُولُ السَّامِيُّ**
[نوح - الآية ١٧]

وهذه استعارة لأن حقيقة الانبات إنما تجري على ما تطلعه الأرض من
نباتها وتخرجه عند ازديادها^(٢) . ولما كان تعالى يخرج البرية من مضايق
الأحشاء إلى مفاسح الهواء ويدرجهم من الصغر إلى الكبر وينقلهم من الهيئات
والصور وكل ذلك على وجه الأرض جاز أن يقول تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتُكُمْ مِنَ
الْأَرْضِ نَبَاتاً ﴾ . وقال بعضهم : فإذا خلقه تعالى من طين الأرض كان نسله
مخلوقين منها لرجوعهم إلى الأصل المخلوق من طينها فحسن أن يقول تعالى :
﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتُكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً ﴾ ، أي^(٣) استخرجكم من طين الأرض ونباتاً
ههنا مصدر وقع مخالفاً لما يوجب بناء فعله وكان الوجه أن يكون إنباتاً لأنه في
الظاهر مصدر أنبتكم وقد قيل : إن هناك فعلاً محذوفاً جرى المصدر عليه
فكانه تعالى قال : واللَّهُ أَنْبَتُكُمْ مِنَ الْأَرْضِ فنبتم نباتاً لأن أنبت يدل على نبت
من جهة أنه مضمّر^(٤) به .

(١) ط . ليس بمتيقن .

(٢) ازدرع : بمعنى زرع .

(٣) ن . خلقت من (أي استخرجكم من طين الأرض) .

(٤) ن . تضمن به .

٥٣٣ - قوله سبحانه : ﴿ وَاتَّخَذَ لَكُمْ الْأَرْضَ بَسَاطًا ﴾ لَتَسْلُكُوا مِنْهَا
فِي حَاجَاتٍ ۖ

[نوح - الآية ١٩ - ٢٠]

وهذه استعارة والمراد بالبساط ههنا المكان الواسع المستوي شبه بالبساط
وهو النمط الذي يمد على الأستواء فيجلس عليه . وقال الأصمعي : وبنو نعيم
خاصة تقول بساط بفتح الباء وقال الشاعر (١) :

ودون يد الحجاج من أن تنالني بساط لأيدي الناعجات عريض

وتصير الأرض بساطاً كتصيرها فراشاً ومهاداً وهذه الألفاظ الثلاثة ترجع
إلى معنى واحد .



(١) ن . الشاعر وهو العديل العجلي .

سورة الجن

ومن السورة التي يذكر فيها الجن

٥٣٤ - قوله سبحانه ﴿ وَأَنَا مَبْنَى الصَّالِحِينَ وَبَنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قَدْدًا ﴾ .

[الجن - الآية ١١]

وهذه استعارة والمراد بذلك والله أعلم ، كنا ضرورياً مختلفين وأجناساً مفترقة . والطرائق جمع طريقة وهي في هذا الموضع المذهب والنحلة والقصد جمع قدة وهي القطعة من الشيء المقدود طولاً مثل : فلذة وفلذ وقربة وقرب وقد غلب على ما كان من القطع طولاً لفظ القد ، وعلى ما كان من القطع عرضاً لفظ القط فكأنه سبحانه شبه اختلافهم في الأقوال واقتراحهم في الآراء بالسيور المقدودة التي تتفرق عن أصلها وتشعب بعد ائتلافها .

٥٣٥ - وقوله سبحانه ﴿ وَأَمَّا الْفَاسِقُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ .

[الجن - الآية ١٥]

وهذه استعارة والمراد أن نار جهنم نعوذ بالله منها يستدام وقودها بهم كما يستدام وقود النار بالحطب لأن كل نار لا بد لها من حشاش يحشها ووقود يمدّها .

٥٣٦ - وقوله سبحانه: ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ۖ ﴾ .

[الجن - الآية ١٩]

وهذه استعارة واللبد ههنا كناية عن الجماعات المتكاثرة التي تظاهرت من الكفار على النبي عليه السلام أي اجتمعوا عليه متآلبين وركبوه مترادفين فكانوا كلبد الشعر وهي طرائقه وقطعه التي يركب بعضها بعضاً وواحدتها لبدة ، ومنه قيل : لبدة الأسد وهي الشعر المتراكب على مناكبه وذلك أبلى ما شبهت به الجموع المتعاطلة والأحزاب المتآلفة . وقال بعض أهل التأويل : المراد بذلك أن النبي صلى الله عليه وآله لما صلى الصبح يبطن نخلة عند انصرافه^(١) من حنين وقد حضره الوفد من الجن وخبرهم مشهور كادوا يركبون منكبهم ويطأون أثوابه لما سمعوا قراءته استحساناً لها وارتياحاً إليها وتعجباً منها . وروي^(٢) عن ابن عباس في هذا المعنى وهو أغرب الأقوال أن هذا الكلام الحسن لقومهم^(٣) لما رجعوا إليهم فقالوا : ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قِرَاءَتَكَ عَجْبًا ۖ ﴾^(٤) وذلك أن النبي صلى الله عليه وآله لما قام يبطن نخلة يصلي بأصحابه عجب الجن الحاضرون من طواعيتهم له في الركوع والسجود والقيام والعود فلما رجعوا إلى قومهم قالوا في جملة ما قصوه عليهم ﴿ وَإِنَّ لِمَا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ ﴾ أي يصلي له كادوا يكونون عليه لبداً أي كاد أصحابه يركبونه احماً عليه وتدانياً إليه واحتذاء^(٥) لمثاله واستماعاً لمقاله .

(ط : منصرفاً .

(١) ط . خلت من حرف العطف .

(٢) ن . خلت من (لقومهم) .

(٤) الجن - الآية ١٩ .

(٥) من هذا : امثل به - اقتدى وتشبه به .

سورة المزمل

ومن السورة التي يذكر فيها المزمل

٥٣٧ - قوله سبحانه: ﴿إِنَّا سُبُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ .

[المزمل - الآية ٥]

وهذه استعارة لأن القرآن كلام وهو عرض من الأعراض والثقل والخفة من صفات الأجسام والمراد بها صفة القرآن بعظم القدر ورجاحة الفضل كما يقول القائل : فلان رصين رزين وفلان راجح ركين إذا أراد صفته بالفضل الراجح والقدر الوازن .

٥٣٨ - وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ .

[المزمل - الآية ١٦]

وقد قرئ وطأً بالقصر وهذه استعارة والمراد بناشئة الليل ههنا ما ينشأ فعله أي يبدأ به من عمل الليل كالتهجد في أثنائه والتلاوة^(١) في آثائه ومعنى أشد وطأً في قول بعضهم أشد مواطأة وهو مصدر يقال : واطأ مواطأة ووطأ أي : يواطئ فيها السمع القلب واللسان العمل لقلة الشواغل العارضة واللوات الصارفة ولأن البال فيها أجمع والقلب أفرغ والقراءة^(٢) فيها أقوم والصلاة

(١) ن . خلت من (والتلاوة في آثائه)

(٢) ط . فالقراءة .

اسلم ومن جعل وطأ ههنا اسماً لما يستولى ، ويفترش كالمهاد وما يجري مجراه ، فإنه ذهب إلى أن عمل الليل أوعث مقاماً وأصعب مراراً وعندهم أن كل ما ينشأ بالليل من قراءة أو تهجد^(١) أو طروق أو ترحل أشق على فاعله وأصعب على مستعمله لأن الليل موحش هائل وخوف مخاذر وكل^(٢) ما وقع فيه مما أومأنا اليه كان كالنسيب له والشبيه به ومن قرأ وطأ بالقصر فالمعنى فيه قريب من المعنى الأول والمراد : إن قيام الليل أشد وطأً أي أصعب وأشق كما يقول القائل : هذا الأمر شديد الوطأة عليّ إذا وصف بلوغه منه وصعوبته عليه ومع أن عمل الليل أشد كلفة وشقة فهو أقوم صلاة وقراءة للمعنى الذي قدمنا ذكره .

٥٣٩ - وقوله سبحانه : ﴿ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۖ ﴾ .

[المزمّل - الآية ٧]

وهذه استعارة والمراد بها المضطرب الواسع والمجال الفاسح ، وذلك مأخوذ من السباحة في الماء وهي الاضطراب في غمراته والتقلب في جهاته فكأنه سبحانه قال : إن لك في النهار مصرفاً متسعاً ومذهباً متفسحاً تقضي فيه أوطارك وتبلغ آراك .

٥٤٠ - وقوله سبحانه : ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ۖ ﴾ .

[المزمّل - الآية ١٧]

وهذه استعارة ، والمراد بها أن الولدان الذين هم الأطفال لو جاز أن يشيخوا لرائع خطب أو طارق كرب لشابوا في ذلك اليوم لعظيم أهواله وفظاعته حواله وذلك كقول القائل : قد لقيت^(٣) من هذا الأمر ما تشيب منه النواصي ناية عن فظيع ما لاقى وعظيم ما قاسى .

(١) من هَجَدَ : النائم . المصلي في الليل . التهجد : صلاة الليل .

(٢) ط . خلّت من (كل) .

(٣) ن . قد كنت . كذا .

سورة المدثر

ومن السورة التي يذكر فيها المدثر عليه الصلاة والسلام

٥٤١ - قوله سبحانه ﴿وَيْثَابِكَ فَطْهَر﴾

[المدثر - الآية ٤]

وهذه استعارة على بعض التأويلات وهو أن تكون الثياب ههنا كناية عن النفس أو عن الأفعال والأعمال الراجعة إلى النفس قال الشاعر :

ألا أبلغ^(١) أبا حفص رسولاً فدئ لك من أخي ثقةً ازارني

قيل أراد فدئ لك نفسي وكذلك قول الفرزدق :

سكنت^(٢) جروتها وقلت لها اصبري وشددت في ضيق المقام ازارني
أي شددت نفسي وذمرت^(٣) قلبي والأزار والثياب يتقارب معناهما وعلى هذا فسروا قول امرئ القيس :

(فسلني^(٤) ثيابي من ثيابك تنسل)

(١) ن . خلت ن هذا البيت .

(٢) في ديوان الفرزدق ذكر البيت هكذا : (فربطت جروتها وقلت لها اصبري) وذكر الشارح عن البحرني (فربطت نقرتها)

(٣) ن . ودبرت قلبي .

(٤) صدر البيت هو (وان كنت قد ساءت منك مني خليفة) .

أي نفسي من نفسك أو قلبي من قلبك ويقولون فلان طاهر الثياب أي طاهر النفس أو طاهر الأفعال فكأنه سبحانه قال : ونفسك فطهر أو أفعالك فطهر وقد يجوز أن تكون الثياب ههنا بمعنى آخر^(١) وهو أن الله تعالى سمي الأزواج لباساً فقال : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾^(٢) واللباس والثياب بمعنى واحد فكأنه تعالى أمره أن يستطهر النساء أي يختارهن طاهرات من دنس الكفر ودرن العيب لأنهن مظان الإستيلاد ومضام الأولاد .

٥٤٢ - وقوله سبحانه: ﴿ وَالصُّبْحُ إِذَا أَسْفَرٌ ﴾

[المدثر - الآية ٣٤]

وهذه استعارة والمراد بها انكشاف الصبح بعد استتاره ووضوحه بعد التباسه تشبيهاً بالرجل المسفر الذي قد حط لثامه فظهرت مجالي وجهه ومعالم صورته .



(١) ط . معنى آخر :

(٢) البقرة ، الآية ١٨٧ .

سورة القيامة

ومن السورة التي يذكر فيها القيامة

٥٤٣ - قوله تعالى ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۖ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرُهُ ۚ﴾ .

[القيامة - الآيتان ١٤ - ١٥]

وهذه استعارة والمراد والله أعلم : أن الانسان حجة على نفسه في يوم القيامة وشاهد عليها بما اقترفت من ذنب واحتملت من وزر وإن ألقى معاذيره أي هو وإن تعلق بالمعاذير ، ولفق الأقاويل شاهد على نفسه بما يوجب^(١) العقاب ويجر النكال . وقال الكسائي : المعنى بل على نفس الانسان بصيرة فجاء على التقديم والتأخير أي عليه من الملائكة رقيب يرقبه وحافظ يحفظ عمله . وقال أبو عبيدة : جاءت هذه الهاء في بصيرة والموصوف بها مذكر كما جاءت في علامة ونسابة وراوية وطاغية والمراد بها المبالغة في المعنى الذي وقع الوصف به ووجه المبالغة في صفة الملك المحصي لأعمال المكلف بأنه بصيرة أن ذلك الملك يتجاوز علم الظواهر إلى علم السرائر بما جعل الله له على ذلك من الأدلة وأعطاه^(٢) من أسباب المعرفة فهو للعلة التي ذكرناها يوفي على كل رقيب حافظ ، ومراع ملاحظ . والتأويل الآخر يخرج به الكلام عن حيز الاستعارة فهو أن تكون المعاذير ههنا من أسماء الستور لأن أهل اليمن يسمون الستر بالمعذار وكان المراد أن الانسان رقيب على نفسه وعالم بمستسر غيبه فيما

(١) ن . بما يوجب .

(٢) ن . وأعطاه .

يقارنه من المعصية أو يقاربه من ريبة^(١) وإن ألقى ستوره مستخفياً وأغلق أبوابه متوارياً .

٥٤٤ - وقوله سبحانه: ﴿وَالْتَقَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٢٩﴾ .

[القيامة - الآيات ٢٩ - ٣٠]

وهذه استعارة على أكثر الأقوال والمراد بها والله أعلم صفة الشدتين المجتمعتين على المرء^(٢) من فراق الدنيا ولقاء أسباب الآخرة وقد ذكرنا فيما تقدم مذهب العرب في العبارة عن الأمر الشديد والخطب الفظيع بذكر الكشف عن الساق والقيام على ساق^(٣) ، فلا فائدة في تكرير ذلك وإعادته وقد يجوز أيضاً أن يكون الساق ههنا جمع ساقة كما قالوا : حاجة وحاج وغاية وغاي والساقة هم الذين يكونون في اعقاب الناس يحفزونهم^(٤) على السير وهذا في صفة أحوال الآخرة وسوق الملائكة للناس^(٥) إلى القيامة ، فكأنه تعالى وصف الملائكة السائقين بالكثرة^(٦) حتى يلتف بعضهم ببعض من شدة الحفز وعنيف السير^(٧) والسوق وما يقوي ذلك قوله تعالى : ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ والوجه الأول أقرب وهذا الوجه أغرب .

(١) ن . من ذنب .

(٢) ن . على أكثر من فراق .

(٣) ط . والقيام عن ساق .

(٤) من حَفَزَ : حَفَزَهُ أَي حَثَّ وَحَرَّكَه .

(٥) خلعت من (الناس إلى القيامة فكأنه تعالى وصف الملائكة)

(٦) ن . بالكثرة .

(٧) ن . خلعت من (السير) .

سورة الانسان

ومن السورة التي يذكر فيها الانسان

٥٤٥ - قوله سبحانه: ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ .

[الانسان - الآية ٧]

وهذه استعارة وحقيقة الاستطارة^(١) من صفات ذوات الأجنحة يقال : طار الطائر واستطرت أنا إذ بعثته على الطيران . ويقولون أيضاً من ذلك على طريق المجاز : استطار لهب النار ، إذا انتشر وعلا وظهر وفشا فكأنه سبحانه قال : يخافون يوماً كان شره فاشياً ظاهراً وعالياً منتشرأ .

٥٤٦ - وقوله سبحانه: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا غَیْبًا قَمَطًا لِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ .

[الإنسان - الآية ١٠]

وهذه استعارة لأن العبوس من صفة الانسان القاطب المعبس فشبه تعالى ذلك اليوم لقوة دلالة على عظيم عقابه وأليم عذابه بالرجل العبوس الذي يستدل بعبوسه وقطوبه على ارتصاده^(٢) بالمكروه وعزمه على إيقاع الأمر المخوف وأصل العبوس تقبض الوجه وهو دليل السخط وضده الاستبشار والتطلق وهما

(١) ط . الاستطار .

(٢) ط . أرصاده .

دليلاً الرضا والخير وكما سمت العرب اليوم المحمود طلقاً فكذلك سمت اليوم المذموم عبوساً ويقال : يوم قمطير وقماطر^(١) اذا كان شديداً ضربه طويلاً شره .

٥٤٧ - وقوله سبحانه : ﴿ وَذَانِيَةٌ عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذِيلًا ﴾ .

[الانسان - الآية ١٤]

وهذه استعارة والمراد بتذليل القطوف وهي عناقيد الأعناب وواحدها قطف انها جعلت قريبة من أيديهم غير ممتعة على مجانيهم لا يحتاجون الى معانة في اجتثاثها ولا مشقة في اختصار افنانها فهي كالظفر الذلول الذي يوافق صاحبه ويواقي راكبه والتذليل ههنا مأخوذ من الذل بكسر الذال وهو ضد الصعوبة والذل بضم الذال ضد العز والحمية .

٥٤٨ - وقوله سبحانه : ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُجِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴾ .

[الانسان - الآية ٢٧]

وهذه استعارة وقد مضى الكلام على نظيرها فيما تقدم والمراد باليوم الثقيل^(٢) ههنا استثقاله من طريق الشدة والمشقة لا من طريق الاعتماد بالأجزاء الثقيلة وقد يوصف الكلام بالثقل على هذا الوجه وهو عرض من الأعراض فيقول القائل : قد ثقل عليّ خطاب فلان وما أثقل كلام فلان .

(١) ن . وقماطر .

(٢) ن . خلت من (الثقيل) .

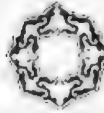
سورة المرسلات

ومن السورة التي يذكر فيها المرسلات

٥٤٩ - قوله سبحانه: ﴿ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴾ .

[المرسلات - الآية ٨]

وهذه استعارة والمراد بطمس النجوم والله أعلم محو آثارها وإذهاب^(١) أنوارها وإزالتها عن الجهات التي كان يستدل بها ويهتدى^(٢) بسمتها فصارت كالكتاب المطموس الذي اشكلت سطورهِ واستعجمت حروفه والطمس في المكتوبات حقيقة وفي غيرها استعارة .



(١) ط . وإذهاب .

(٢) ن . لم ترد فيها جملة (ويهتدى بسمتها فصارت)

سورة النبأ

ومن السورة التي يذكر فيها عم يتساءلون

٥٥٠ - قوله سبحانه ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا * وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا *

[النبأ - الايتان ٦ - ٧]

وهاتان استعارتان وقد مضى الكلام على الأولى منهما وأما^(١) معنى كون الجبال أوتاداً فلأن بها مساك الأرض وقوامها واعتدالها وثباتها كما يثبت البيت بأوتاده ويقوم الخباء^(٢) على عمداه .



(١) ط . أما معنى .

(٢) ط . والخباء على اعماده .

سورة النازعات

ومن السورة التي يذكر فيها النازعات

٥٥١ - قوله تعالى: ﴿ فَأَنمَأْهِنِي زُجْرَةَ وَاحِدَةً * فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴾ .

[النازعات - الآيتان ١٣ - ١٤]

وهذه استعارة لأن المراد بالساهرة ههنا على ما قال المفسرون ، والله أعلم ، الأرض قالوا : إنما سميت ساهرة على مثال عيشة راضية . كأنه جاء على النسب أي^(١) ذات السهر وهي الأرض المخوفة أي يسهر في ليلها خوفاً من طوارق شرها وقيل أيضاً : إنما سميت الأرض ساهرة لأنها لا تنام عن أنماء نباتها وزروعها فعملها في ذلك ليلاً كعملها فيه نهاراً .

ولم نجد في السورة التي يذكر فيها ﴿ عبس وتولى ﴾^(٢) شيئاً من المعنى الذي قصدنا له .

(١) ط . لم ترد فيها (أي) .

(٢) ونسب سورة عبس .

سورة كورت (١)

ومن السورة التي يذكر فيها إذا الشمس كورت

٥٥٢ - قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ .

[كورت - الآيتان - ٨ - ٩]

وهذه استعارة والمراد والله أعلم: انها سئلت لا لاستخراج الجواب منها ولكن لاستخراج الجواب من قاتلها ويكون ذلك على وجه التوبيخ للقاتل اذ قتل من لا يعرف عن نفسه (٢) ولم يذنب ذنباً يؤخذ بجريته . وقيل : معنى سئلت أي طلب بدمها كما يقول القاتل : سئلت فلاناً حقي عليه أي طالبته به وإنما سميت مؤودة (٣) للثقل الذي يلقي عليها من التراب تقول (٤) وأدني هذا الأمر أي أثقلني ومنه قوله تعالى : ﴿ لا يؤوده حفظهما وهو العلي لعظيم ﴾ (٥) ، أي لا يثقله ذلك كما يثقل أحدنا الشاهد حفظ المشعبات ضبط المنتشرات .

٥٥٣ - قوله سبحانه: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخَنَسِ﴾ * الْجَوَارِ الْكُنَسِ .

[كورت - الآيتان ١٥ - ١٦]

وهاتان استعارتان وهما جميعاً في صفة النجوم ، فأما الخنس فالمراد بها

(١) وتسمى التكوير .

(٢) ط . من لا يعرف عن نفسه .

(٤) ط . ويقول أدبي .

(٥) البقرة ، الآية ٢٥٥

(٣) ن . المؤودة .

التي تنفس نهاراً وتطلع ليلاً والخنس جمع خانس وهو الذي يبيع ويستسر ويخفي ويستتر . وأما الكنس فجمع كانس وهو أيضاً المتواري المستخفي مشبهاً بانضمام الوحشية الى كناسها وهو الموضع الذي تأوي اليه من ظلال شجر والتفاف خمر وجميعه كنس فشبه تعالى انقباع النجوم في بروجها بتواري الوحوش في كنسها .

٥٥٤ - وقوله سبحانه: ﴿ وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ .

[كورت - الآية ١٨]

وهذه من الاستعارات العجيبة والتنفس ههنا عبارة عن خروج ضوء الصبح من غيوم غسوق الليل ، فكأنه متنفس من كرب أو متروج من هم ومن ذلك قولهم : قد نفس عن فلان الخناق أي انجلى كربيه وانفسح قلبه وقد يجوز أن يكون معنى ﴿ إذا تنفس ﴾ أي إذا انشق وانصدع من قولهم : تنفس الأناء إذا انشق وتنفست القوس إذا انصدعت وهذا التأويل يخرج اللفظ من باب الاستعارة وقد استقصينا الكلام على هذا المعنى في كتابنا الكبير عند موضع اقتضى ذكره .

وليس في السورة التي يذكر فيها : ﴿ إذا الشمس انقضت ﴾ ^(١) شيء من غرض كتابنا هذا .

(١) وتسمى سورة الانفطار .

سورة المطففين

ومن السورة التي يذكر فيها المطففون وبقية الفصل إلى آخر القرآن

٥٥ - قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ .

[المطففين - الآية ١٥]

وهذه استعارة ومجاز لأن الحجاب لا يطلق إلا على من يصح عليه الظهور والبطون والاستتار والبروز وذلك من صفة الاجسام المحدثه والاشخاص المؤلفة والمراد بذكر الحجاب ههنا انهم ممنوعون من ثواب الله سبحانه مذكودون^(١) عن دخول جنته ودار مقامته وأصل الحجب المنع ومنه قولنا في الفرائض الأخوة يحجبون الأم عن الثلث إلى السدس أي يمنعونها من الثلث ويردونها الى السدس ومن ذلك ايضاً قولهم حُجب فلان عن باب الأمير أي رد عنه ودفع دونه ويجوز أن يكون لذلك معنى آخر وهو أن يكون المراد أنهم غير مقربين عند الله تعالى بصالح الاعمال واستحقاق الثواب فعبّر تعالى عن هذا المعنى بالحجاب لأن المبعد المقصي يحجب عن الابواب ويبعد من الجناب .

٥٥٦ - وقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ .

[الانشقاق - الآيتان ٣ - ٤]

وهذه استعارة والمراد بها بعث الأموات واعادة الرفات وكأن الأرض كانت حاملاً بهم فوضعتهم أو حاملة لهم فالتفتهم فكانوا كالجنين المولود أو

(١) من ذاد : دفع وطرد .

٥٥٧ - وقوله سبحانه: ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ .

[الانشقاق - الآية ١٧]

وهذه استعارة ومعنى وسق ههنا أي ضم وجمع فكأنه يضم الحيوانات الانسية إلى مساكنها والحيوانات الوحشية إلى مواطنها والطيور إلى أوكارها ومواطنها فكأنه ضم ما كان بالنهار^(٢) منتشراً أو جمع ما كان متبدداً متفرقاً والأوساق مأخوذة من ذلك لأنها الاحمال التي يجمع فيها الطعام وما يجري مجراه ويقال طعام موسوق أي مجموع في أوعية وقد قيل ان معنى وسق أي طرد والوسيقة الطريدة فكان الليل يطرد الحيوانات كلها إلى مثاومها^(٣) ويسوقها إلى مخافيتها .

٥٥٨ - وقوله سبحانه: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبِقٍ﴾ .

[الانشقاق - الآية ١٩]

وهذه استعارة على بعض التأويلات والمراد بها لتنتقلن من حال شديدة إلى حال مثلها أي من حال الموت وشدته إلى حال الحشر وروعته وقيل لتركبن سنة من كان قبلكم من الأمم وقيل المراد بذلك تنقل الناس في احوال الاعمار^(٤) واطوار الخلق والاخلاق والعرب تسمي الدواهي بنات طبق وربما سموا الداهية ام طبق قال الشاعر^(٥) :

قد طرقت بيكرها أم طبق فتجوها خيراً ضخم العنق

موت الامام فلقة من الفلق

والفلق ايضاً من أسماء الدواهي واحدها فلقة وفليقة .

(١) ط . والثقل .

(٢) ن . ما كان النهار .

(٤) ط . الأعمال .

(٥) الشاعر هورؤبة بن العجاج .

(٣) المثوى : المأوى : النزول .

٥٥٩ - وقوله سبحانه ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ .

[الانشقاق - الآية ٢٣]

وهذه استعارة والمراد بها ما يسرون في قلوبهم ويكونون في صدورهم يقول القائل اوعيت هذا الأمر في قلبي ^(١) أي جعلته فيه كما يجعل الزاد في وعائه ويضم المتاع في عيابه ^(٢) والقلوب أوعية لما يجعل فيها من خير أو شر وعلم أو جهل أو باطل أو حق .

٥٦٠ - وقوله سبحانه ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ وما أذكراك ما الطَّارِقُ ﴿

[الطارق - الآيتان ١ / ٢]

وهذه استعارة لأن الطارق ههنا كناية عن النجم وحقيقة الطارق هو الانسان الذي يطرق ليلاً فلما كان النجم لا يظهر إلا في حال الليل حسن أن يسمى طارقاً وأصل الطرق الدق ومنه المطرقة قالوا وإنما سمي الآتي بالليل طارقاً لأنه يأتي في وقت يحتاج فيه إلى الدق أو ما يقوم مقامه للتنبيه على طروقه والايذان بوروده .

٥٦١ - وقوله سبحانه ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ .

[الطارق - الآيتان ٦ - ٧]

وهذه استعارة وحقيقة هذا الماء أنه مدفوق لا دافق ولكنه خرج مثل قولهم سر كاتم وليل نائم وقد مضت لهذه الآية نظائر كثيرة وعندي في ذلك وجه آخر وهو أن الماء لما كان في العاقبة يؤول الى ان يخرج منه الانسان المتصرف والقادر جاز أن يقوي أمره فيوصف بصفة الفاعل لا صفة المفعول تمييزاً له عن غيره ^(٣) من المياه المهرقة ^(٤) والمائعات المدفوقة وهذا واضح لمن تأمله .

(١) ن . في قلبه .

(٢) العيبة جمع عيَاب وعيب : ما تجعل فيه الثياب كالصندوق .

(٣) ن . من غيره .

(٤) من خرَّق الماء أي صبّه .

٥٦٢ - وقوله سبحانه: ﴿ وَالسَّاءِ ذَاتِ الرُّجْعِ ۖ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ۖ ﴾ .

[الطارق - الآيتان ١١ - ١٢]

وهذه استعارة والمراد بها صفة السماء بأنها^(١) ترجع بحدوث الأمطار وتعاقب الأنواء مرة بعد مرة وتعطي الخير حالة بعد حالة وقد قيل ان الرجوع الماء نفسه وانشدوا للمتنخل الهذلي يصف السيف :

أبيض كالرجع رسوب إذا ما ناخ^(٢) في محتفل يخلي

والمراد بـ ﴿ الأرض ذات الصدع ﴾ انصداعها عن النبات وتشققها عن الاعشاب وانشد صاحب العين لبعض العرب :

وجاءت^(٣) سلم لا رجع فيها ولا صدع فتحلب الرعاء

فالرجع المطر والصدع العشب والسلم السنة المجدة .

٥٦٣ - وقوله سبحانه: ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۖ غَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ۖ ﴾ .

[الغاشية - الآيتان ٢ - ٣]

وهذه استعارة ، والمراد بالوجوه ههنا أرباب الوجوه ومثل ذلك قوله تعالى في السورة التي يذكر فيها القيامة: ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴾^(٤) والدليل على ما قلناه إضافته سبحانه النظر اليها والنظر إنما يصح من أربابها لا منها لأنه تعالى قال عقيب ذلك ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ۖ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾^(٥) وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ۖ لَسِعِمُهَا رَاضِيَةٌ ﴾^(٦) والرضاء والسخط إنما يوصف بهما^(٧) اصحاب الوجوه لا الوجوه^(٨) فانكشف الكلام عن^(٩) الغرض المقصود .

(١) ط . كانها .

(٢) ناخ : خاضت وغابت فيه .

(٣) هكذا ذكر البيت صاحب لسان العرب أما في النسخة ط . فبعض الكلمات فيها غير واضح وكذا في نسخة ن

(٤) سورة الغاشية الآيتان ٨ - ٩ .

(٥) ط . به .

(٦) سورة القيامة الآيتان ٢٢ - ٢٣ .

(٧) ط . خلّت من (لا الوجوه) .

(٨) سورة القيامة الآيتان ٢٤ - ٢٥ .

(٩) ط . على الغرض .

٥٦٤ - وقوله سبحانه ﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾ (١) تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً .

[الغاشية - الأيتان ١٠ - ١١]

وهذه استعارة وقد مضت لها نظائر كثيرة جداً فيما تقدم من كلامنا أي لا تسمع فيها كلمة ذات لغو فلما كان صاحب تلك الكلمة يسمى لاغياً بقولها سميت هي لاغية على المبالغة في وصف اللغو (١) الذي فيها وقال بعضهم معنى ذلك لا تسمع فيها نفس حافلة على كذب ولا قاطعة برفث لأن الجنة لا لغو فيها ولا رفث ولا فحش ولا كذب .

٥٦٥ - وقوله تعالى ﴿ وَاللَّيْلُ إِذَا يَنسَرُ ﴾ [الفجر - الآية ٤]

وهذه استعارة والمراد بسرى الليل دوران فلكه وسيران نجومه حتى يبلغ غايته ويستوفي قاصيته ويستخلف النهار موضعه .

٥٦٦ - وقوله سبحانه ﴿ وَفَرَعُونَ ذِي الْاَوْتَادِ ﴾ [الفجر - الآية ١٠]

وهذه استعارة والمراد فرعون ذي الملك المتفرد والأمر المتوطد والاسباب المتمهدة التي استقر بها بنيانه وتمكن سلطانه كما ثبت البيوت بالاوتاد المضروبة والدعائم المنصوبة وقد مضى نظير ذلك .

٥٦٧ - وقوله سبحانه ﴿ فَضَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾

[الفجر - الآية ١٣]

وهذه من مكشوفات الاستعارة والمراد بها العذاب المؤلم والنكال المرمض لأن السوط في عرف عادة العرب يكون على الأغلب سبباً للعقوبات الواقعة والآلام الموجهة وقال بعضهم يجوز أن يكون معنى سوط عذاب أي وقع عذاب يخالط اللحم والدماء فيسوطها من قولهم (٢) ساط القدر يسوطها سوطاً إذا حرك ما فيها وخلطه فالسوط على هذا القول ههنا مصدر وليس

(١) ن . وصف المعنى التي .

(٢) ط . خلت من (قولهم ساط القدر يسوطها) .

(٣) التوى : الماوى : النزول .

٥٦٨ - وقوله تعالى: ﴿ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا ﴾ [البلد - الآية ٦]

وهذه استعارة وقد مضى نظير لها والمراد بالبلد ههنا المال الكثير الذي قد تراكب بعضه على بعض كما تلبدت طرائق الشعر وسبائح^(١) القطن وقد يجوز أن يكون ذلك مأخوذاً من قولهم رجل لبدا إذا كان لازماً لبيته لا يبرحه وبه سمي نسر لقمان لبداً لمأطلته العمر وطول بقائه على الدهر وكأنه قال « أهلكت مالا » كان باقياً لي وثابتاً عندي .

٥٦٩ - وقوله سبحانه: ﴿ وَهَذَيْنَا إِلْتَجِدِينَ ﴾ [البلد - الآية ١٠]

وهذه استعارة والمراد بالنجدين ههنا الطريقان المفضيان الى الخير والشر والتجد المكان العالي وإنما سمي تعالى هذين الطريقين بالنجدين لأنه بينهما للمكلفين بياناً واضحاً ليتبعوا سبيل الخير ويبتئوا سبيل الشر فكأنه تعالى بفرط البيان لهما قد رفعهما للعيون ونصبهما للنظرين .

٥٧٠ - وقوله تعالى: ﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴾ [البلد - الآية ١١]

وهذه استعارة أخرى وفسر تعالى المراد بالعقبة هنا^(٢) فقال ﴿ فَكَرْبَةٌ أَوْ اطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴾^(٣) الآية فشبه تعالى هذا الفعل لو فعله الانسان باقتحام العقبة أي صعودها وقطعها^(٤) لأن الانسان يتجو بذلك كالناجي من الطريق الشاق إذا اقتحم عقبته وتجاوز مخافته وحسن تمثيل هذا الفعل ههنا بالعقبة لما شبه تعالى سبيل الخير والشر بالنجدين اللذين هما الطريقان الواضحان والعقاب إنما تكون في طرق السالكين وسبل المسافرين وعليها يكون بهر الانفاس وشدة الضغوط والمراس .

(١) سبائح القطن قطع القطن إذا ندف . لسان العرب .

(٢) ط . خلعت من (هنا) .

(٣) من سَغَبَ : جاع . اسغَب القوم : دخلوا في المجاعة .

(٤) ط . أوقطعها .

٥٧١ - وقوله سبحانه ﴿ وَالضُّحَى ﴾ وَاللَّيْلَ إِذَا سَجَى .

[الضحى - الأيتان ١ - ٢]

وهذه استعارة ومعنى سجي أي سكن والليل لا يسكن وإنما تسكن حركات الناس فيه^(١) فأجرى تعالى صفة السكون عليه لما كان السكون واقعاً فيه وقد مضى الكلام على نظائر ذلك .

٥٧٢ - وقوله سبحانه ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿ الَّذِي أَتَقَضَّ ظَهْرَكَ ﴾ .

[الانشراح - الآيات ١ - ٢ - ٣ -]

وهذا القول مجاز واستعارة لأن النبي (ص) لا يجوز ان ينتهي عظم ذنبه الى حال انقاض الظهر^(٢) وهو صوت تقعقع العظام من ثقل الحمل لأن هذا القول لا يكون إلا كناية عن الذنوب العظيمة والأفعال القبيحة وذلك غير جائز على الأنبياء (ص) في قول من لا يميز عليهم الصغائر ولا الكبائر وفي قول من يميز عليهم الصغائر دون الكبائر . لأن الله تعالى قد نزههم عن موبقات الآثام ومستحقات^(٣) الأفعال إذ كانوا أمناء وحيه والسنة أمره ونهيه وسفراءه الى خلقه وقد استقصينا الكلام على ذلك في باب مفرد من كتابنا الكبير فنقول ان المراد ههنا بوضع الوزر ليس على ما يظنه المخالفون من كونه كناية عن الذنب وإنما المراد به ما كان يعاينه النبي (ص) من الامور المستعصبة والمواقف الخطرة في إداء الرسالة وتبليغ النذارة^(٤) وما كان يلاقيه (ص) من مضار قومه ويتلفاه من مرامي ابدى معشره وكل ذلك حرج^(٥)

(١) ن . خلت من (فيه) .

(٢) ن . الظهر

(٣) كذا في النسخين ونظن الأصل ومنفجات .

(٤) النذارة : الإنذار .

(٥) ن . جرح .

في صدره وثقل على ظهره فقرره^(١) الله تعالى بأنه أزال عنه تلك المخاوف كلها وحط عن ظهره تلك الاعباء^(٢) بأسرها وأداله من أعدائه وفضله على اكفائه وقدم ذكره على كل ذكر ورفع قدره على كل قدر حتى آمن بعد الخيفة واطمأن بعد القلقة^(٣) وخرج من حقائق الضغطة الى مفاسح الغبطة ومن عقال الانقباض الى محال الانبساط فلذلك قال سبحانه ﴿ ألم نشرح لك صدرك ﴾ ووضعنا عنك وزرك ﴾ الذي انقض ظهرك ﴾ ورفعنا لك ذكرك ﴾ وهذه الامور التي أمتن الله تعالى عليه بأنه فعلها به متشابهة في المعنى لأن شرح الصدر ووضع الوزر اذا كان بمعنى إزالة الثقل من الهم ورفع الذكر أحوال يشبه بعضها البعض فلا معنى لتأول الوزر هنا على انه الذنب والمعصية ولا دليل في الآية على ذلك مع ما في القول به من العمر^(٤) في مزايا الانبياء الذين^(٥) قد رفع الله سبحانه أقدارهم وأعلى منارهم والزما اتباع مناهجهم وتقبل طرائقهم وتقبل أوامرهم فإن قال قائل ان هذه السورة مكية وكان نزولها وهو عليه السلام بعد في حال الخوف والمراقبة وضعف اليد عن المغالبة قيل له لا يمتنع ان يكون الله تعالى بشره بما تؤول اليه عواقب أمره من انجلاء الكربه وانحسار اللزبة^(٦) وقوة السلطان وانتشار الاعلام فقام المتوقع من ذلك عنده مقام الواقع لتصديقه وسكونه إلى صحته فزال ما كان يعانيه من اثقال الهموم ويقاسيه من خناق الكروب وهذا جواب مقنع بتوفيق الله وعونه .

(١) ن : فقره .

(٢) ن : الاعناء .

(٣) الى هذا الموضع انتهت النسخة الطبرانية .

(٤) الظاهر انه الغمز .

(٥) في النسخة الذي وهو وهم من الناسخ .

(٦) اللزبة : جمع لزب : الشدة . القحط .

٥٧٣ - وقوله سبحانه ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ * ثُمَّ رَدَّاهُ
أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿

[التين - الأيتان ٤ - ٥]

وهذه استعارة والمراد بها انعكاس صحة أحوال الناس^(١) ورجوعه بعد الشباب الى الهرم وبعد الصحة الى السقم وبعد الحفظ الى النسيان وبعد الزيادة الى النقصان فكانه قد حط^(٢) عال الى سافل ورد من منصات^(٣) إلى أرذل العمر لكي لا يعلم بعد علم شيئاً .

٥٧٤ - وقوله سبحانه ﴿كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ * نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿

[العلق - الأيتان ١٥ - ١٦]

وهذه استعارة لأن صفة الناصية بالكذب والخطأ مجاز والمراد بذلك صاحب الناصية وذلك نظير قوله تعالى : ﴿وَجِوْهُ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾ * لسعيها راضية ﴿وقد مضى الكلام على هذا المعنى وجاء في الآية ابدال النكرة من المعرفة وهو قليل في القرآن والكلام لأن الناصية الاولى معرفة والناصية الثانية نكرة وهي بدل من الاولى .

٥٧٥ - وقوله سبحانه ﴿وَأَخْرَجْتَ الْأَرْضَ أَثْقَالًا﴾ * وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا *
يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿

[الزلزال - الآيات ٢ - ٣ - ٤ - ٥]

وفي هذا الكلام استعارتان احدهما قوله تعالى ﴿وَأَخْرَجْتَ الْأَرْضَ أَثْقَالًا﴾ والاثقال هنا كناية عن الاموات لأنهم كانوا ثقلًا على ظهر الأرض

(١) كذا ولعل الأصل الانسان .

(٢) كذا في النسخة ونظن أن الأصل (قد حط من عال)

(٣) نظن أن الأصل من منصات الصفر الى الخ .

في حال الحياة . أجرى عليهم هذا الاسم لهم عند حصولهم في بطونها بعد الوفاة أو يكونون انما سموا أثقالاً لأنهم في بطن الارض بمنزلة الاجنة في بطون الامهات واذا جاز أن يسمى الجنين حملاً جاز أن يسمى ثقلًا لأن المعنى واحد قال تعالى ﴿فلما أثقلت دعوا الله ربهما﴾^(١) أي صار ما في بطنها من الجنين ثقلًا لها وقالت الحنساء^(٢):

أبعد ابن عمرو من آل الشريد حلت به الارض أثقالها

أي زينت به موتها وقال أبو عبيدة اذا كان الميت في بطن الارض فهو ثقل لها واذا كانت فوقه فهو ثقل عليه^(٣) فتسمية الاموات بالاثقال على أحد هذين الوجهين أما ان تكون هي المثقلة به وأما أن يكون هو المثقل بها وقال غيره معنى قوله تعالى ﴿وأخرجت الأرض أثقالها﴾ أي لفطت ما فيها من مدافن الاموات والمكتون الى ظهرها والاستعارة الاخرى قوله تعالى ﴿يومئذ تحدث أخبارها﴾ والمراد بذلك ما يظهر فيها من دلائل انقطاع أحوال الدنيا واقبال اشراط الآخرة فيكون ما يظهره الله تعالى فيها من ذلك قائماً مقام الاخبار ونائباً عن النطق باللسان وهذا كما جاء في الكلام سل الارض من شق انهارك وغرس اشجارك وجنى ثمارك فان لم تحبك حواراً اجابتك اعتباراً فكان الارض تحدث من يسأل عن أمرها بأن الله تعالى أوحى لها بأن تكون على تلك الصفة التي ظهرت منها ومعنى ﴿أوحى لها﴾ أي أوحى الى ملائكته عليهم السلام بأن يظهرها فيها تلك الاشراط ويحدثوا بها تلك الاعلام فلذلك قال ﴿أوحى لها﴾ ولو كان الوحي خاصة لها لكان الوجه أن يقال أوحى اليها وقد قال بعضهم ﴿أوحى لها﴾ وأوحى

(١) سورة الاعراف الآية ١٨٩ .

(٢) (٥٧٥ - ٦٤٤) الحنساء من اعظم شعراء العرب . قُتل أخوها معاوية وصخر فرثها محرضة قومها على الأخذ بالثأر . لها ديوان اكثره في الرثاء شرحه ابن السكيت وابن الأعرابي والشعالبي . طبع في بيروت (١٨٨٨) .

(٣) نظن الأصل (واذا كان فوقها فهو ثقل عليها) .

اليها بمعنى واحد والاعتماد على القول الذي قدمناه لأن الوحي يتضمن
 اوامر ومخاطبات ولا يجوز أن يؤمر ولا يخاطب الا العاقل المميز والمجيب
 السامع وليس الوحي الى الارض جارياً مجرى الوحي الى النحل في قوله
 ﴿ وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذ من الجبال بيوتاً ﴾ (١) الآية لأن المراد عندنا
 بذلك انه سبحانه ألهما ما اراد منها وهي ما يصح فيه ذلك لأنها حيوان
 متصرف والارض لا يصح فيها ذلك لأنها جماد خامد .

٥٧٦ - وقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمَّهُ هَاوِيَةٌ ﴾ وما أدراك ما هي
 * نَارٌ حَامِيَةٌ *

[القارعة - الآيات ٨ - ٩ - ١٠ - ١١]

وهذه استعاره وهواية هنا من اسماء النار كأنها تهوي بأهلها الى قعرها
 وانما جعلت امه لضمها له واشتمالها عليه ويشبه ذلك قوله تعالى ﴿ مأواكم
 النار هي مولاكم وبئس المصير ﴾ (٢) وقد فسر ذلك سبحانه بقوله : ﴿ وما
 أدراك ما هي * نار حامية ﴾ . وقال بعضهم : بل سميت هاربة لهوي المعذبين
 - قعرها فكان ظاهر الفعل لها وحقيقته لغيرها كما قال تعالى : ﴿ فهو في عيشة
 راضية ﴾ والمراد مرضية ونظائر ذلك كثيرة وقال بعضهم : إنما خرج ذلك على
 مخرج كلام العرب لأنهم يقولون للواقع في المكروه والمرتكس في الأمر هوت أم
 يقولون ويولون ويل أم فلان ويعني هوت أي سقطت في مهواة وهو مثل
 - ولهم ظلت وهلكت لأن هلاك ولدها كهلاكها وقال كعب بن سعد الغنوي
 زمني أخاه أبا المغوار :

هوت امه ما يبعث الصبح غادياً وماذا يوارى الليل حين يؤوب

وقال بعضهم معنى ذلك هوت أم رأسه واذا هوت أم رأسه وهي معظم
 دماغه فقد هوى سائرته وهلك .

(١) سورة النحل الآية ٦٨ .

(٢) سورة الحديد الآية ١٥ .

٥٧٧ - وقوله سبحانه ﴿ ثُمَّ لَتَرَوْهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴾ .

[التكاثر - الآية ٧]

وهذه استعارة على بعض الاقوال وهو ان يكون المراد ثم لترونها بعين اليقين ثم نزع الباء فنصب العين ويكون ذلك من باب قول الشاعر .

(كما غسل الطريق الثعلب)

أي في الطريق ، وقال بعضهم : معنى ذلك على مثال قولهم عين الشيء أي حقيقته وشاهد ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ لِحَقِّ الْيَقِينِ ﴾ ^(١) وقال بعضهم معنى عين اليقين أي حاضر اليقين ومنه قولهم في المثل : تطلب أثراً بعد عين أي غائباً بعد حاضر وعلى ذلك قول الأعشى ^(٢) :

ومن لا يصدع له همة فيجعلها بعد عين ضميراً

والضمار الغائب والعين الحاضر ومنه الحديث في زكاة الضمار أي الغائب والنسيئة .

٥٧٨ - وقوله سبحانه ﴿ كَلَّا لَيَنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴾ وما أذريك من الحُطَمَةِ * نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْنَدَةِ * إِنَّمَا عَلَيْهِمْ مُؤَصَّدَةٌ * فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿

[الحمزة - الآيات - ٩ ، ٨ ، ٧ ، ٦ ، ٥ ، ٤]

وفي هذه الآيات استعارات عدة منها قوله تعالى ﴿ كَلَّا لَيَنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴾ والحطمة اسم من أسماء النار نعوذ بالله منها وإنما سميت بذلك

(١) الخاقية ، الآية ٥١ .

(٢) الأعشى هوميون بن قيس بن جندل والبيت المذكور من قصيدة له وقد جاء صدر البيت في ديوان الأعشىين هكذا : ومن لا تضاع له ذمة . . .

والله اعلم لكثرة اكلها للواقعين فيها يقال رجل حطمة اذا كان كثير الاكل وهذه من صفات المبالغة وقد يجوز ان يكون معنى ذلك انها تحطم كل ما يقع فيها أي تكسره وتأتي عليه ومنها قوله تعالى ﴿التي تطلع على الأفئدة﴾ والمراد بذلك ان أكلها ومضغها^(١) يصلان الى الأفئدة والقلوب ويبلغان منها كل مبلغ ويطبقان كل موضع فكأنها بذلك مطلعة عليها وغالطة ويقول القائل اطلعت ارض بني فلان إذا بلغها وقد يجوز ايضاً ان يكون لذلك معنى آخر وهو أن شعب النار تدخل من افواههم حتى تصل الى افئدتهم وقلوبهم ويكون ذلك ابلغ في المضض واعظم للألم وقد قال بعضهم في ذلك معنى آخر وهو ان يكون المراد أن الله تعالى يخلق في النار علماً تطلع به على معرفة ضمائر المعاقبين فتوصل الآلام اليهم على قدر مراتبهم في الذنوب إن كانوا من مفارقي الملة^(٢) أو من يجري^(٣) أهل القبلة ويكون الاطلاع هنا بمعنى العلم كما قال تعالى ﴿اطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً﴾^(٤). والمراد اعلم لغيب ومن ذلك قول القائل اطلعت من فلان على معنى قبيح أو معتقد جميل أي علمت ذلك منه ومنها قوله تعالى ﴿إنها عليهم مؤصدة﴾ والمراد مطبقة كما يطبق باب البيت على من^(٥) يقال أصدت الباب واوصدته إذا اغلقته ومن ذلك قوله تعالى ﴿وكلبهم باسط ذراعيه بالصيد﴾^(٦) أي بالباب الذي يؤصد على احد الاقوال ومنها قوله تعالى ﴿في عمد ممددة﴾ وقرئ، عمد بضم العين والميم والمراد بذلك انها مطلعة عليهم وثابتة هم كما يُطل الخبء المضروب بانتصابه ويثبت بتمديد اعماده واطنابه ويشبه ذلك قوله

-
- (١) من المَضَض : وجع المصيبة
(٢) في النسخة من مفارقي الصلة ولا معنى لها .
(٣) نظن الأصل (أو من يجري مجراهم من أهل القبلة) .
(٤) سورة مريم الآية ٧٨ .
(٥) لعل الأصل على من فيه .
(٦) سورة الكهف الآية ١٨ .

تعالى ﴿ إِنَّا اعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾ (١) وقد تكلمنا عليه فيما تقدم .

٥٧٩ - وقوله سبحانه : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [تبت - الآية ١] (٢)

وهذه استعارة والتباب الخسران المؤدي الى الهلاك وإنما وصف سبحانه يديه بالتباب وان كما هو المراد بذلك لأن الاعمال في الاكثر إنما تكون بالأيدي على ما تقدم من القول في بعض الفصول المتقدمة فلما فعل فعلاً يؤدي الى الخسار يقضي الى البوار جاز نسب ذلك الى يديه كما يقال هذا ما صنعت يداك وذق ما جنت يداك وقد تقدم الكلام على ذلك والمراد باليدين هنا المال والملك يقال فلان قليل ذات اليد أي قليل المال والملك فكأنه تعالى أخبر بهلاك ماله وملكه ثم قال تعالى ﴿ وتب ﴾ أي هلك هو أيضاً لانه كان يدل بكثرة أمواله وسعة أحواله فاذا خرج عن ملكه قرب من هلكه ودليل ذلك قوله تعالى ﴿ ما أغنى عنه ماله وما كسب ﴾ سيصلي ناراً ذات لهب ﴿ ويكون هلاك ماله حكماً لا غرماً لانه اذا كان مجموعاً من غير حله ومأخوذاً من غير وجهه كان هالكاً باثراً وان كان سالماً وافراً .

٥٨٠ - وقوله سبحانه: ﴿ وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْخَطَبِ ﴾ في جديها جبل من مسدٍ .

[تبت - الأيتان ٤ / ٥]

وهذه استعارة على أحد الأقوال وهو أن يكون المراد بحمالة الخطب هنا أن ما تجمع على ظهرها (٣) الآثام وتحتب الاوزار من قولهم فلان يحتطب على ظهره اذا فعل ما يجر به الآثام الى نفسه . ومن ذلك سمي الوزر لانه الذنب الذي كان فاعله احتمل بفعله ثقلًا على ظهره ويكون ذكر الجبل هنا من تمام المعنى الذي اشرنا اليه أيضاً لانه تعالى لما ذكر الخطب على التأويل الذي ذكرناه جاء بذكر الجبل معه لان الجبل لجمع الحاطب (٤) ما يحتطبه

(١) سورة الكهف الآية ٢٩ . (٢) وتسمى سورة الذهب .

(٣) الظاهر ان الحرف (من) ساقط وكذا من الجملة التي بعدها .

(٤) لعل الاصل (لان الجبل يجمع فيه الحاطب ما يحتطبه) .

ويضم المحتقب ما يحتقبه وقيل انها كانت تمشي بالنميمة بين الناس فلذلك قيل لها حالة الخطب والمعنى يؤول الى ما قلناه اولاً لانها تستحق على فعل النميمة عقاباً فكأنها احتطبت الاثم على ظهرها من هذه الجهة فكانت النميمة سبباً في استحقاقها العقوبة وقيل ايضاً انها كانت تحمل الشوك على ظهرها فتلقيه في طريق رسول الله صلى الله عليه وآله ليستضر به في عشاءه عليه وهذا التأويل يخرج الكلام عن باب الاستعارة . وقال ابو عبيدة المسد عند العرب جبل من اخلاط وجمعه امساد وأنشد للراجز^(١) :

ومسد أمر من أبايق صهب^(٢) عناق ذات مخ زاهق

قيل ان المسد الليف الذي تفتل منه الحبال ان المسد^(٣) اسم للفتل نفسه وانما قال تعالى جبل من فتل تمييزاً للجبل المفتول مما يقع عليه هذا الاسم لانه يقال جبل الذراع وجبل العائق فاذا قيل من مسد علم انه من الحبال المعهودة وخرج من حيز في شاركة وقيل ان المسد جبل من حديد وان ذلك يجعل في عنقها عند دخولها النار واخبر عمرو بن ابي عمرو الشيباني عن أبيه ان المسد محور البكرة اذا كان من حديد فهذا مفسر لقول من ذهب الى هذا الوجه واذا كان الجبل الذي في جيدها من حديد فهو السلسلة فقد قال تعالى « في السلاسل يسحبون »^(٤) .

٥٨١ - وقوله تعالى ﴿ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾ [الفلق - الآية ٣]

وهذه استعارة والمراد بالغاسق هنا الليل وقيل انه في الاصل اسم لكل وارد بما يستضر به ويخاف منه فسمي الليل غاسقاً لأنه يرد بالمخاوف ويطلق الدواهي في الاغلب والاكثر لأنه يستنهض السباع من مرايضها ويستدلق اخوام من مكائنها الى غير ذلك وما يجري هذا المجرى ومعنى وقب أي

ذكر صاحب لسان العرب ان الراجز هو عقبة البهيمة وذكر الراجز هكذا

ومسد أمر من أبايق ليس باناب ولا حقائق

(٢) الصهب . الذي يحافظ بياضه حمرة (٣) كذا في السخنة ولعل الاصل أو أن المسد .

(٤) راجع الآية ٧١ من سورة غافر ونفسها ﴿ إذ الاغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون ﴾ .

دخل بما يدخل به مما اومأنا الى ذكره يقال وقب يقب وقوباً اذا دخل وقال بعضهم الكوكب وانما سمي الليل به لأنه لا يكون إلا بالليل والاول اصح لأن الغسق اسم للظلام ويقال غسق الليل اذا اظلم .

٥٨٢ - وقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾ .

[الفلق - الآية ٤]

وهذه استعارة على احد التأويلين وهو أن يكون المراد بذلك في قول بعضهم الاستعاذة من شر النساء اللاتي يفسخن عزائم الرجال بمكرهن وينقضن ايديهم بكيدهن وعقد الرجال هنا كناية عن عزائمها ومواضع الثبات والتماسك منها وذلك تشبيه بما يلقيه النافث من ريقه على العقدة تكون في الجبل ليسهل انحلالها وينطلق العقادها .

٥٨٣ - وقوله تعالى: ﴿ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴾ الَّذِي يُوسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ .

[الناس - الآيتان ٤ - ٥]

وهذه استعارة والمراد بالوسواس هنا الكلام الخفي الذي يلقيه الشيطان في الانسان الشبيه به في اقصى اذن السامع فيلغته عن رشاد ويصرفه الى سلال والوسوسة كالمهمة وقال رؤية :

وسوس يدعو مخلصاً رب الفلق

(١) جاء الشطر الثاني هذا الرجز غير واضح فآثرنا حذفه من هنا لكونه غير موضع استشهاد .

والخناس هنا صفة للوسواس والمراد به الذي يخنس في القلب ويسكن في الصدر أي يستر ويستجن يقال خنس فلان عن أصحابه يخنس خناساً وخنوساً إذا تغيب عنهم وقد قيل ان الوسواس هنا اسم للشيطان نفسه فيجوز أن يكون اغما سمي بفعله لكثرة وقوعه منه وشياعه عنه وقيل الوسواس بالفتح الشيطان والوسواس بالكسر المصدر وجاء في الخبر ان الشيطان يوسوس في العبد فاذا ذكر العبد ربه خنس وقبع وانقبض وقيل ايضاً ان المراد من شر ذي الوسواس وهو الشيطان أو الانسان فحذف ذي لدلالة الكلام عليه واشارته اليه .

قال الشريف رضي الله عنه وهذا آخر ما وجدناه في القرآن من اللفاظ المستعارة والمجازات الموضوعية مواضع الحقيقة ونحن نواصل حمد الله تعالى على توفيقنا لاستطلاع كوامنها واستخراج دقاتها وهدايتنا من ذلك الى الغرض الذي ما رمى اليه رام قبلنا والمضمار الذي ما جرى فيه مجرى غيرنا ومنه سبحانه نستسبح النعم ونستوهب العصم ونستهدي الطريق الاقوم وما توفيقنا إلا بالله وهو حسبنا ونعم الوكيل وكان الابتداء بتصنيف هذا الكتاب في يوم الخميس لعشر ليالٍ تبقى من شعبان سنة احدى وأربعمائة والفراغ في يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة تخلو من شوال من هذه السنة على ما تخلل هذه المدة من اعتراضات العوائق واقتطاعات الشواغل واختلاط الدواعي بالصوارف والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد وآله الطاهرين .

وقد فرغ من تسويد هذا الكتاب المستطاب العبد المحتاج الى ربه القوي محمد بن احمد الموسوي للمخدوم الاوحد الحاج اقا سيد عبد الصمد دام عمره وفضله وتوفيقه بدوام الامد بمحمد وآله في يوم الثلاثاء الثامن من شهر رجب السنة السابعة والثمانين بعد المائتين والألف والتمس الدعاء بالمغفرة ممن ينظر اليه والسلام .



فهرست

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
تنويه بالطبعة الحاضرة	٥	سورة الكهف	١٥٧
مقدمة المحقق	٧	سورة مريم	١٧١
المجاز والتأويل في القرآن الكريم	٩	سورة طه	١٧٣
التأويل والمعرفة	١٣	سورة الأنبياء	١٨٠
ترجمة الشريف الرضي	١٧	سورة الحج	١٩٠
مقدمة المؤلف	٢٥	سورة المؤمنون	١٩٦
سورة الفاتحة	٢٧	سورة النور	٢٠١
سورة البقرة	٢٨	سورة الفرقان	٢٠٦
سورة آل عمران	٤١	سورة الشعراء	٢١٤
سورة النساء	٥١	سورة النمل	٢١٨
سورة المائدة	٥٤	سورة القصص	٢٢٣
سورة الأنعام	٦٤	سورة العنكبوت	٢٣٠
سورة الأعراف	٦٧	سورة الروم	٢٣٢
سورة الأنفال	٨١	سورة لقمان	٢٣٦
سورة التوبة	٨٥	سورة السجدة	٢٣٩
سورة يونس	٩٦	سورة الأحزاب	٢٤٢
سورة هود	١٠١	سورة سبأ	٢٤٧
سورة يوسف	١١٣	سورة فاطر	٢٤٩
سورة الرعد	١٢٠	سورة يس	٢٥١
سورة إبراهيم	١٢٥	سورة الصافات	٢٥٦
سورة الحجر	١٣٦	سورة ص	٢٥٧
سورة النحل	١٣٩	سورة الزمر	٢٦١
سورة الإسراء	١٤٨	سورة المؤمنون	٢٦٦

٣٣٠	سورة المعارج	٢٦٨	سورة السجدة
٣٣٢	سورة نوح	٢٧٣	سورة الشورى
٣٣٥	سورة الجن	٢٧٦	سورة الزخرف
٣٣٧	سورة المزمل	٢٧٩	سورة الدخان
٣٣٩	سورة المدثر	٢٨١	سورة الجاثية
٣٤١	سورة القيامة	٢٨٢	سورة الأحقاف
٣٤٣	سورة الانسان	٢٨٤	سورة محمد
٣٤٥	سورة المرسلات	٢٨٦	سورة الفتح
٣٤٦	سورة النبأ	٢٨٨	سورة الحجرات
٣٤٧	سورة النازعات	٢٩٠	سورة ق
٣٤٨	سورة التكوير	٢٩٣	سورة الذاريات
٣٥٠	سورة المطففين	٢٩٥	سورة الطور
٣٥١	سورة الانشقاق	٢٩٧	سورة النجم
٣٥٢	سورة الطارق	٢٩٨	سورة القمر
٣٥٣	سورة الغاشية	٣٠٠	سورة الرحمن
٣٥٤	سورة الفجر	٣٠٤	سورة الواقعة
٣٥٥	سورة البلد	٣٠٥	سورة الحديد
٣٥٦	سورة الصخر	٣٠٨	سورة المجادلة
٣٥٦	سورة الانشراح	٣١١	سورة الحشر
٣٥٧	سورة التين	٣١٢	سورة الممتحنة
٣٥٧	سورة العلق	٣١٥	سورة الصف
٣٥٨	سورة الزلزال	٣١٧	سورة الجمعة
٣٦٠	سورة القارعة	٣١٨	سورة المنافقون
٣٦١	سورة التكاثر	٣١٩	سورة التغابن
٣٦١	سورة همزة	٣٢٠	سورة التحريم
٣٦٣	سورة تبت	٣٢٢	سورة الملك
٣٦٤	سورة الفلق	٣٢٥	سورة القلم
٣٦٥	سورة الناس	٣٢٧	سورة الحاقة